

المعارضات في السفر الاندلسي

دراسة نقدية موازنة

تأليف

يونس طرزيك منوم البجارية



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah
المسجد الأموي بدمشق
www.daral Kutub.com

المُعَامِرَاتُ فِي الشَّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ دراسة نقدية مُوازنة

تأليف
يُونُس مُطْرِكُوت سَلُوم البَجَارِي

**Title : The political imitation & comparison
in Andalusia during the fifth & sixth centuries**

classification: Criticism

Author : Youssef Tariqi al-Bajri
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 232
Year : 2006
Printed in : Lebanon
Edition : 1st



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان



Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الكتب العلمية
تسعى دار الكتب العلمية بتبعية بيروت Lebanon
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة إنتاج النسخة المصورة
إلكترونياً أو ميكانيكياً أو أي وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية على الكمبيوتر
أو برمجياتها على أي شكل أو شكل رقمي (بما في ذلك النسخة الإلكترونية)

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of the publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - بيروت

Tous droits réservés. Toute traduction ou reproduction
même partielle par tous procédés, en tout pays, faite
sans autorisation préalable écrite par l'éditeur est illicite
et expose à la confiscation à des poursuites
pénales.

الطبعة الأولى

1971 - 2006 هـ

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Beyroun/Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Amman, al-Ghazal
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg
P.O. Box 119424 Gerdehassan
Riyadh Saudi Arabia 11512 2280

موسم - القيسية
مبنى دار الكتب العلمية
ص.ب. 119424 الرياض
تلفون: 011 3 228 2280
ص.ب. 11512 الرياض
رقم الحساب البنكي: 11512 2280

الكتاب : المعروضات

في النشر الأجنبي

التصنيف : بلد أجنبي

المؤلف : يوسف طارقي بيضون التجاري

النشر : دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات : 232

سنة الطباعة : 2006

بلد الطباعة : لبنان

الطبعة : الأولى

هذا الكتاب والأصل رسالة تقدم بها المؤلف : إلى
مجلس كلية الآداب في جامعة الفيصل سنة 1999 ،
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة
العربية وآدابها ، بالمؤلف الأستاذ الدكتور منجد
مخضملتي هويدي .



http://www.dar-ilmiyah.com
sales@dar-ilmiyah.com
info@dar-ilmiyah.com
bd@bdoun@dar-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ

الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَقُّ مَدَدًا

الوالدين

إلى والديّ حبّاً وعرفاناً ...

وإلى إخوتي وأخواتي ...

وفاءً لهم جميعاً ...

يونس

شكر وعرفان

إنه لمن دواعي الوفاء أن أقدم بالشكر الوافر والإعزاز لأستاذي المشرف الدكتور منجد مصطفى جهت، لما بذله من جهد كبير في توجيه البحث ورعايته، فلم يحفل عليّ طيلة البحث بشورة علمية، وجعل من مكتبته الخاصة الغنية منبأً ليحتي فلولا علمه ودقته لما استوى البحث علي ما هو عليه.

ويطيب لي أن أشكر للدكتور عبد الوهاب محمد علي العديوي مواقفه العلمية المشرفة والأصيلة مع אחوتي طلبة الدراسات العليا ومعى بخاصة، فقد أخذ يهدي في ساعات العشر باعثة الثقة والأمل في النفس.

ولأستاذي الدكتور جليل رشيد قاخ فضل علمي لا توفيه كلمات الشكر، ومن الوفاء أن أسجل اعترافي بحميل الدكتور صلاح خالص - رحمه الله - الذي أتاح لي فرصة اللقاء به في داره ولمدة ثلاث ساعات علي الرغم من مرضه والامه، فقد منحني من علمه الغزير ما أعانني في السير في طريق البحث.

وأقدم بالشكر الجزيل للدكتور حازم عبد الله خضر، الذي تكررت زيارتي له منذ بداية تسجيل الموضوع، فلم يحفل عليّ بإسداء نصيحة أو عرض فكرة من شأنها تقويم البحث.

وللأستاذين الفاضلين الدكتور محسن جمال الدين والدكتور حكمت الأوسي فضل من يستشار في العلم.

وأشكر للأخ الكريم جمعة حسين محمد الذي عرفته في السراء والضراء أحياً موازراً لي طيلة سنوات دراستي الجامعية.

وأشكر كل من أهدى لي البعونة ولو بكلمة ناصحة راشدة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه
أجمعين، وبعد:

لم يخل الأدب الأندلسي حظه من الدراسات الأدبية، على الرغم من شوح الحضارة
الإسلامية، ولا سيما وقد نقلت الأندلس بعض العرب المسلمين زهاء ثمانية قرون.
فقد عانى هذا الأدب من الاضمار إلى وقت ليس ببعيد، ولعل ذلك يعود إلى أن جلَّ
مصادر هذا الأدب قد طُمست، ومن النادر أن يجد الباحث ضلّته لأن أيدي العت على
امتداد العصور قد تركت آثارها في مصادر.

وحين قطعت شوطاً في دراسة الماجستير وكنت يصده اختيار موضوع لرسائي،
وجدت أن الأدب الأندلسي قد عانى من عزوف طلبة الدراسات العليا في جامعة
الموصل، إذ انصرفوا إلى دراسة الأدب العربي في عصوره المختلفة دون أن يتلوثوا عند
الأدب الأندلسي، ولما كان هذا الأدب ثراً في مضامينه غريباً في اتجاهاه، وجدت هوى
في نفسي لدرسته، وكان ميلي أشد إلى دراسة الشعر منه، وأثرت أن أدرس حقبة خصبة
رغم ما يكتنف الباحث من صعوبات، وبواجهه من مشكلات حين يختار هذا المضمار،
ولذا تأتي رسائي بأكورة بين الرسائل في هذه الجامعة.

واستقر الرأي على تسجيل (المعارضات في الشعر الأندلسي في القرنين الخامس
والسادس الهجريين) موضوعاً للدراسة بإشارة من الأستاذ المشرف، وأما تحديد الدراسة
بالقرنين الخامس والسادس الهجريين، فلما امتازت به هذه البنية من وضوح هذه الظاهرة
وضيغها، بحيث بلغت درجة النضج والاكتمال.

وأما الدارسون الذين عنوان بدراسة المعارضة لينتدمهم الأستاذ علي الجارم حيث
نشر سلسلة بحوث عن المعارضات في مجلة الكتاب المصرية^(١)، إلا أنه لم يتناول في
بحوثه المعارضات في الشعر الأندلسي.

ومن الباحثين الأستاذ الدكتور محسن جمال الدين الذي أشار إلى أهمية موضوع
المعارضات ووعد بكتابة دراسة مفصلة عنها بعنوان (ديوان المعارضات الشعرية)^(٢)،

(١) مجلة الكتاب المصرية السنة الأولى، مع ٢، يوليو ١٩٤٦: ٣٨٣ - ١٣٨٧. وينظر: المصدر
نفسه، السنة الأولى، مع ٢، أغسطس ١٩٤٦ (المعارضات في عصر صدر الإسلام): ٥٥٤ -

٥٥٧. وينظر: المعارضات في العصر الأموي، يونيو ١٩٤٦: ٦٨٠ - ٦٨٦. وينظر:

المعارضات في العصر العباسي، السنة الثانية، مع ١، يناير ١٩٤٧: ٤٠٤ - ٤١٦.

(٢) مجلة جامعة الموصل (بحث د. محسن جمال الدين - أبو تمام في الأندلس -)، ع ١، تشرين الثاني

وقد التقيته ولم يقدر لي أن أرى كتابه المذكور، وذلك لظروف خاصة به.

وتسببه الدكتور محمد محمود قاسم نوفل في كتابه (تاريخ المعارضات في الشعر العربي) حيث أورد المبحث الأول والثاني من الفصل الثالث لدراسة المعارضة الشعرية الأندلسية، إلا أن دراسته أتت بالطابع التاريخي.

وأحرر البحوث التي اطّعت عليها، البحث الذي جاء بعنوان (المعارضات)، ضمن الفصل الرابع (التجديد في الأدب الأندلسي) في كتاب استاذنا المذكور منحة مصطفى بهجت للمعد للطبع بعنوان (الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة).

ومن هنا تأتي أهمية اختيار الموضوع لسد نقص في السكبة الأندلسية. ولعل من الصعوبات التي واجهت دراستنا قلة دواوين الشعر الأندلسي التي بين أيدينا، فهي لا تتجاوز أصابع اليدين، فتضيق ففتها بالقباس إلى ما عرفت به الأندلس من ازدهار أدبي وشعري، وقد جاءت نصوص المعارضة مثبوتة في أمات المصادر الأندلسية كالأخيرة، ونجح الطيب، والبديع في وصف الربع، والقلاند ...

ومن المشكلات التي واجهت البحث أن نصوصه لم تجتمع في كتاب أو ديوان مستقل، حيث انتظرت إلى جمع هذا الديوان كي يكون زاد الدراسة ومادتها الأولية، وطبيعة الدراسة التقتني الرجوع إلى دواوين الشعر المشرفي لتوثيق نصوص القصائد المعارضة، وكانت هذه الدواوين متوفرة على امتداد العصور الأدبية في المشرق العربي.

تليق هذه الدراسة في تصبّد وأربعة فصول، أما التصبّد فتناولت فيه دراسة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للأندلس، ووقفت فيه على الأحداث السياسية المعقدة، التي انعكست آثارها على الحياة الاجتماعية والثقافية، وكانت لي وقفة متأنية عند روافد الثقافة الأندلسية المتنوعة.

أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن مفهوم المعارضة وجذورهما في الأندلس، ولتناولت مفهومها في اللغة والاصطلاح، ثم وقفت على الفرق بينها وبين فنون أدبية أخرى تلقى معاً من قريب أو بعيد، كالنقيضة والمحمضة والمراجعة والمقاربة، ثم بيّنت الخيوط الأولى لمعارضة الأندلسيين في ميادين الحياة الثقافية والاجتماعية والحضارية الشاملة للمشاركة.

وفي هذا الفصل وقلت عند دواهي المعارضة محاولاً التعرف على الدواعي الحقيقية التي دعت إلى المعارضة الشعرية وجعلت منها ظاهرة تستحق الترس، وجاءت هذه الدواعي على نوعين عامة وخاصة.

وفي الفصل الثاني عرضت كذلك لشعراء المعارضة في الحقبة التي سبقت القرن الخامس الهجري تجديراً للظاهرة وعودةً إلى البواكير، وكانت وفقاً للأغراض الشعرية فنصرتها المنديح ثم أعقبها الوصف، والنوريات، والمجون، والغزل، وغيرها.

واختص الفصل الثالث بمعارضة الأندلسيين للمشاركة التي كانت نابعة من نظرة الإعجاب والإكبار للتاج الشعري المشرقي، حيث تعمقت جذور هذا الاتجاه أكثر من نظيره معارضات الأندلسيين فيما بينهم، وحسب كثرة هذه المعارضات وقلت عند المنديح أولاً، ثم أعقبه الغزل والوصف والشكوى وأغراض أخرى، وكنت أقدم المعارضة التامة على الناقصة في تناولي للأغراض الشعرية المتقدمة.

أما الفصل الرابع فاختص بمعارضات الأندلسيين فيما بينهم، وفق المنهج الذي اتبعته في الفصل السابق، حيث عرضت لموضوعات المعارضات حسب كثرة التاج في الموضوع فكانت وففتي عند النوريات فالوصف فالمنديح فالغزل فالرثاء ثم موضوعات أخرى.

وختتمت البحث بالحديث عن النتائج التي تسجلت عنها الدراسة، معززة بالملاحق الإحصائية.

وبعد:

فباني لا أستطيع أن أدعي بأنني قد بلغت الغاية في بعثي، والكمال في هدفي الذي أصبو إليه، لأن الكمال لله وحده والتقص مسئول على الإنسان لا يمحي عنه، وأسأل الله أن يتقبل عملي هذا خلاصاً لوجهه الكريم، والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وصحابه النجباء، ومن اهتدى بهدبهم إلى يوم الدين.

يونس طركي سلوم

غرة جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ

العشرون من كانون الثاني ١٩٨٨ م

الموصل - حي المأمون

التمهيد

أولاً - الإطار السياسي:

كان مطلع القرن الخامس الهجري، بنين تغييرات سياسية خطيرة على خارطة السياسة الأندلسية، نظراً لما شهده هذا القرن من صراع وتطاحن واضطراب في الأحوال السياسية، وقد أطلق عليه المؤرخون عهد الفتنة (٣٩٩ - ٤٢٢ هـ) ووصفها ابن حيان بالمسيرة والفتاحة، ونجم عن ذلك انقراض الخلافة في الأندلس وغياب سلطانها، فتلقت نتاجت الأحداث بصورة سريعة، وأطّيح بأكثر من رأس من الأمويين، منهم هشام المؤيد الذي قتل سراً في سنة (٤٠٣ هـ)^(١).

ومما شعور جديد داخل الأندلس مثل بعزلة العاصمة القرطبية عن سائر مدن الأندلس، فضلاً عن حب السيطرة والتوسع على حساب الآخرين، وقد أورد ابن عذاري المراكشي صوراً لمسنا الصراع وتكلم على الحرب التي دارت بين أهل قرطبة سنة ٤١٤ هـ، التي آلت إلى خلع القاسم بن حنون، ولم تكن هذه الحرب متكلفة حيث بلغ تعداد البربر الآلاف، إلا أن أهل قرطبة بشانهم استطاعوا كسب المعركة ومنى البربر بهزيمة عظيمة^(٢).

و ((تلقت الحكومات القرطبية في فترة الفتنة.. في توجيه السياسة الاقتصادية للبلاد وجهة تجلب الاستقرار والطمأنينة والرخاء الاقتصادي كما كانت في ظلّ الخلافة والحجابة))^(٣)، مما زاد الخلافة ضعفاً وهواناً، وهكذا طُلت الخلافة الأموية تنازع الزوال بسبب ((... ما تعرضت له من حروب وفتن استمرت أكثر من عشرين عاماً...))^(٤)، وهذا ما حدا بأهل قرطبة أن يعلنوا إلغاء الخلافة سنة ٤٢٢ هـ^(٥). ولم يكن الغاؤها أمراً يسير النتائج، إما كان ضربة لم تهبض الأندلس من آثارها قط، بل كان بداية الانحلال

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ٣ / ١١٢ لابن عذاري المراكشي، تحقيق ومراجعة: ج. م. كولان و. أ. ليمسي بروكسمال، ط ٢، بيروت ١٩٨٠ وبمطبع: دار الطيب من طبعات الأندلس المطبعية: ١ / ٤٢٩ للمطبعي، طبع: د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨.

(٢) البيان المغرب: ٣ / ١٣٤.

(٣) قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي - الخامس الهجري - الحياة الاقتصادية والاجتماعية: ٨٦ د. محمد عبد الوهاب خلافة، ط ١، تونس ١٩٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ٨٣.

(٥) السذخيرة في محاسن أهل الصحيرة: ١ م ٢: ٢٠٢ لابن بسام الششتري، طبع: د. إحسان عباس، ط ١، بيروت ١٩٧٨.

الطويل الذي لبثت تنقلب فيه زهاء أربعة قرون أخرى^(١٦).

بعد أن سقطت الخلافة تفرقت الدولة العربية الإسلامية التي أقام بنائها عبد الرحمن الثالث، وخرجت من هذه الفتن والحروب وانفردت عقدها حيات متضاربة إلى نحو ما يزيد عن عشرين مملكة، مع أن بعض هذه الممالك فقدت تماسكها وسقطت وسط العواصف ولم تقدر على الدفاع عن نفسها فاجلعتها جيوماتها، وأصبحت خاضعة لمملكة أخرى قبل أن تمزق في الأدب اثرأ^(١٧).

ودام عصر الطوائف قرابة ثمانين عاماً^(١٨)، وامتد عمر بعض الدويلات طويلاً حتى بلغ قرناً من الزمن، أي أن بعضها لم يخضع لسلطان المرابطين.

وتوزعت دويلات الطوائف من الناحية الإقليمية إلى عدة مناطق هي^(١٩): قرطبة وأحوازها من المدن والمناطق الوسطى، وإشبيلية وما يلحق بها من مناطق غرب الأندلس وبظليوس، وغرناطة وبلنسية وما يلحق بها من المناطق شرق الأندلس، وسرقسطة أو الثغر الأعلى، وظليطة أو الثغر الأوسط، ودانية وجزر البليار.

وقد اشتملت كل منطقة من هذه المناطق المشار إليها على إمارة أو أكثر من إمارات الطوائف، وقد اختلفت هذه الدويلات في نواح عديدة منها المساحة وعدد السكان، والأهمية السياسية والعسكرية والاجتماعية والأدبية^(٢٠)، وما يلاحظ على هذه الدويلات^(٢١) أنها كانت على نوعين منها ما كان مشهوراً ومنها ما كان مقصوراً.

الدويلات المشهورة، وتشمل:

دويلة بني جهور في قرطبة، ودولة بني عباد في إشبيلية، ودويلة بني الألفونس في

(١) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي: ١٦ محمد عبد الله عنان، ط ١، القاهرة ١٩٦٠.

(٢) الأدب الأندلسي: ٥٤ - ٥٥ للأستاذ أحمد بلا فريخ وعبد الجليل خليفة، تطوان ١٩٤١.

(٣) دول الطوائف: ٤٠٢.

(٤) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: ٢١٩ د. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، ط جامعة الموصل ١٩٨٦.

(٥) دول الطوائف: ١١٧ وينظر: تاريخ العرب وحضارتهم: ٢٢٠.

(٦) اختلفت في إيراد هذه الدويلات على: دول الطوائف: ٤٢٣ - ٤٢٧ وتاريخ الأندلس - عصر

لمرابطين والموحدين: ٢٦ - ٤٤ يوسف أشباح، ترجمة: د. حسين مؤنس، ط ٤، القاهرة

١٩٥٨، والتاريخ الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة: ٣٥٤ - ٤٠٨ د.

عبد الرحمن علي الحجي، ط ١، بيروت ١٩٧٦ وتاريخ العرب وحضارتهم: ٢١٩ - ٢٤٤.

بطلبيوس، ودولة بني ذي الثون في طليطلة، ودولة بني مناد في غرناطة، ودولة بلنسية، ودولة سرقسطة، ودولة دانية والجزائر التصريفية.

لما الدولات المغمورة، فتأتي أهمية ذكرها في أنها كانت محوراً شير النزاع بين الدوليات الأخرى ومنها على سبيل المثال: دولة بني طاهر في مرسية، ودولة بني برزاق في قرمونة، ودولة بني بقرن في رندة، ودولة بني دمر في مورو، ودولة بني حزررون في أراكش.

وهذا الظرف الجديد من الانقسامات والتشتت جعل العدو الإفرتجي في الشمال يسببُ لعبانة طمعاً محمولاً التوسع على حساب الدول المتنازعة، وبشكل أكثر جدية من قبل، حينما بدأت تتحد الإمارات الإفرتجية تحت ظل فرديناند الأول ثم الفونسو السادس من بعده، محاولة التوسع نحو الجنوب واستنزاف قوى الدوليات الإسلامية الصغيرة.

وإن الفونسو لم يكن منه في البداية الحصول على المبالغ الطائلة (الأتوات) من ملوك الطوائف، ولم يكن مبالاً لاستخدام القوة معهم، وإنما كان مكثفياً بالتهديد في حالة تأخيرهم لدفع هذه المبالغ^(١). وقد أشار إلى هذه الخاصية عبد الله بن بُلُقَيْن في كتابه البيان ((... إذ كان مذهبه ألا يتنازل معقلاً، ولا يفسد أجماده على مدينة، بعد مرامها ومن فيها من مخالفي ملته، وإنما كان يأخذ منها الجزية عاماً بعد عام، ويعتف عليها بما شاء من أصناف التعدي إلى أن تضعف وتلقى يدها كما فعلت "أي طليطلة"))^(٢)، وإن حالة التذاعس المستمرة والضعف التي دبَّ ديبها في جسم الدوليات الإسلامية شجعت الفونسو السادس، بفضل ما امتلكه من قوة وخرور أن يهجر سياسته الأولى - صبح الأتوات - ويلجأ إلى سياسة أكثر وحشية، وهي سياسة القوة والبطش بدول الطوائف واتزاع المزيد من المعاقل والحصون الإسلامية^(٣)، وهذا ما حصل للأندلس من الخارج، أما في الداخل فالتناحر قائم، وهم كل حاكم من هؤلاء أن يحافظ على ضامك دولته بدلاً من الوقوف موحدتين بوجه الخطر الإفرتجي، وعمت الفتن والحروب

(١) المعتمد بن عباد: ١٤٤ د. صلاح خالص، ط ١، بفاك ١٩٥٤.

(٢) مذكرات الأمير عبد الله بن بُلُقَيْن المسماة بكتاب البيان: ١٠٦، نشر وتحقيق: أ. البني برونسال، دار المعارف، مصر ١٩٥٥.

(٣) المعتمد بن عباد: ١٤٤ د. صلاح خالص.

والمسازعات وشملت معظم الأندلس^(١). وقد استمرت جم حالة التمادي إلى أن أصبحوا عاجزين عن مقاومة أمثالهم، لذلك تساقطت مدتهم الواحدة نحو الأخرى بيد الإفرنج مثلما حصل لمدينة برينشر سنة ٤٥٦ هـ^(٢). واحتل الفونسو السادس مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ^(٣) وسقطت بلسية سنة ٤٨٧ هـ على يد السيد القمبيطور^(٤).

وقد حُفَّت المخاطر بملوك الطوائف وهم لاهون في تعميمهم احتلتهم الحيلاء بالقاهم ((وقد خطب بعض الملوك لبني أمية وأخرون لبني العباس ومنهم من تلقب بألقاب الخلفاء العباسيين، ولذلك سحر منهم بعض الشعراء))^(٥). وقال ابن رشيق القيرواني^(٦):

مما يزلطني في أرض أندلسي أسماء معتضد فيها ومعتضد
ألقاباً مملكية في غير موضعها يحكي انقراضاً صولة الأسد

وفي تلك الأثناء ادغمت الخطوب على العرب والمسلمين في الأندلس باستيلاء الإفرنج من سياتهم حتى استعانوا بأوروبية، فضلاً عن نمو ((حركة الاسترداد الإسبانية - كما يسميها مؤرخوهم - وهي الحركة التي استهدفت استغلال البلاد وطرد المسلمين، وإرغامهم على التصرع))^(٧).

وهنا تسوجب على أمراء الطوائف قبل غيرها، أن يفكروا بشكل أكثر جدية في استفاد بعضهم من هنا المأزق التاريخي، بعد أن أحدثت لهم الأخطار من كل جانب وكانوا كما وصفهم أحد المستشرقين ((... وهن أمرهم وأضعفهم الترف والبدع، لا يكاد سلطان أحد منهم يحظى بحدود بلده، فكانت دولاتهم أشبه بجمهورية إيطالية في ثياب شرقية...))^(٨).

(١) الذخيرة: ج ١ م ١: ٣٥ وما بعدها.

(٢) فتح الطيب: ٤ / ٤٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ٤ / ٣٥٢.

(٤) المصدر نفسه: ٤ / ٤٥٥.

(٥) دراسات في الأدب الأندلسي: ٦٩ - ٧٠، د. سامي مكي العاني، بغداد ١٩٧٨.

(٦) دعوات ابن رشيق القيرواني: ٥٩، نج: عبد الرحمن باشي، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٦.

(٧) تاريخ الفكرة الأندلسي: ٦٧ أنجل جنتال بالثيا، ترجمة: د. حسين حوسني، ط ١، القاهرة ١٩٥٥.

(٨) الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه: ٤٤ أميليو غرمية حوسني، ترجمة: د. حسين حوسني، ط ٢، القاهرة ١٩٥٦.

الأمر يجب أن لا تنصرف الأذهان إلى أن الضعف والقوان أخذ مأخذه واستسلم جميع الأندلسيين لحالة الردى، بل كانت هنالك قوى ديدنها رأب الصدع وتوحيد الجمع، وكان هاجس الوحدة يتأجج في نفوس الأندلسيين رداً على الفرقة والتشتت اللذين شهدتهما الأندلس، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن الدعوة إلى توحيد الأندلس بدأت قبل سقوط مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ^(١).

وسارت جهود التوحيد في ثلاثة اتجاهات:

الأول: محاولة عدد من المسؤولين المخلفين حتى سنة ٤٢٢ هـ إلقاء الخلافة الإسلامية في الأندلس على سابق عهدها، وقد بذلوا في سبيل هذا المخطط جهوداً جارية إلا أنها لم تقلح في تحقيق غايتها، فحصل في الأندلس مالا يُسمى، حيث نهار صرح الخلافة الأموية عندما أعلن أبو الحزم بن جهور إلقاء الخلافة في قرطبة، وأسند أهل قرطبة أمرهم إلى ((شيخ الجماعة)) الوزير ابن جهور في منتصف ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ^(٢).

الثاني: اليهود التي اعتمدت القوة العسكرية والسياسية، وكان علي رأس هذا الاتجاه بنو عباد وخاصة ملكهم القوي - المنجد بن عباد - فقد حاول بنو عباد توحيد العناصر المتعددة، والسيطرة على الفرق المتنازعة، ولكن لم تسعهم القوة اللازمة لذلك، وكانت الظروف أقوى منهم فقد فشلوا عندما سيطر عليهم المرابطون^(٣).

الثالث: اليهود التي اعتمدت الدعوة الفكرية وترعيتها العلماء والفقهاء والشعراء، وتشير بعض المصادر إلى أن المتوكل بن الأندلس أمير بطليوس طلب من القاضي أبي الوليد الباجي الطواف على أمراء الطوائف وحثهم للاتحاد ولم الشمل ((ولما عَلَّمْ حيث الطافية إذقولن بن فرائد، وتطول إلى الثغور، ولم تقع بضرائب المال، اتدب للتطواف على أولئك الرؤساء القاضي أبا الوليد الباجي، يتدبهم إلى لم الشمل ومدانة

(١) ينظر: بحث د. خليل السمرهني ((الدعوة إلى توحيد الأندلس في أيام الطوائف))، مجلة زانكو: ٨٢، مج (٣)، ج (١)، ١٩٧٧.

(٢) البيان المغرب: ٣ / ١٥٠ - ١١٥٩ وينظر: تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أحداث الأعلام: ٢٩ - ١٤٧، لسان الدين الخطيب (القسم الثاني منه)، ج: ١، ليبي بروفسال، بيروت ١١٩٥٦ دول الطوائف: ١٢١.

(٣) المعتمد بن عباد: ١٥ علي أحمد، سلسلة أعلام العرب، العدد (٢)، مكتبة مصر، القاهرة د.

العدو، وكلميم يصغي إلى وعظه»^(١).

بينما تشير مصادر أخرى إلى أن الباجي قام بسهمة الدعوة من تلقاء نفسه وخاصةً بعد رجوعه من رحلته إلى المشرق التي استمرت من سنة ٤٢٦ هـ - ٤٤٠ هـ^(٢). ومن جهوده في التوحيد بخرينا ابن بسام: ((... لأول قدمه رفع صوته بالاحتساب ومشي بسين ملوك الجزيرة بصلة ما أثبت من تلك الأسباب فقام مقام مؤمن آل فرعون^(٣) لو صادف أسعياً واعية، بل نفع في عظام ناصرة، وعكف على أطلال دائرة يد أنه كلمنا وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالرحيب وأجزل حظه بالأنس والتفريب، وهو في الباطن يستجمل نزعته ويستقل طبعه، وما كان أتقن الفقيه - رحمه الله - بأموهم، وأعلمه بتدبيرهم لكنه كان يرجو حالاً ثوب، ومذهباً ثوب))^(٤).

إن رحلة الباجي الطويلة إلى المشرق في سبيل الحصول على العلم والمعرفة بوثائقه سكاناً مرموقاً في قوس ملوك الطوائف خاصة الأندلسيين عامة، فعظم جهده، وقد أشار المقرئ إلى هذه السكينة بقوله: ((وكان ليما رجيع إلى الأندلس لشفا علمه، وعبوات الدنيا له وعظم جهده، وأجزلت له الفصالات، فمات عن مال وافر، وترسل للملوك وولي القضاء بعدة مواضع رحمه الله تعالى))^(٥).

ويرى أحد الباحثين^(٦) أن التدريس الذي مارسه الباجي في المحاضر الأندلسية التي زارها كان له أثر كبير في التأثير على عموم الناس وعلى ملوكهم فيما يخص تأييد دعوته. ويسرى الدكتور إحسان عباس: أن الباجي فشل في مهمته ((لأنه لم يكن يرفض

(١) الخلة السرياء: ٢ / ١٩٨، ابن الأثير، نج: د. حسين مؤنس، ط ١، القاهرة ١٩٦٤ وينظر: مجلة زانكو: ٨٣.

(٢) السلسلة: ١ / ٢٠١ لابن بشكوال، مصر ١٩٦٦ ونجح الطيب: ٢ / ١٢٦ تاريخ قضاء الأندلس المسمى كتاب العرفة العليا بمن يسمعون القضاء والفقيه: ٩٥ للشيخ أبي الحسن بن عبد الله بن حسن الباجي، بيروت ١٩٨٠.

(٣) ﴿وَإِسْرَافَ رَجُلٍ مَؤْمِنٍ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقَوْلُونَ رَجُلًا إِذَا قَالَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْفُرًا فَاعْلَمِيهِ كَذِبًا وَإِنْ يَكْفُرًا فَإِنَّ هَذَا إِفْكًا مُّبِينًا﴾ (سورة غافر، الآية: ٢٨).

(٤) الذخيرة: في ٢ م ١: ٩٥ - ٩٦.

(٥) فتح الطيب: ٢ / ٧٢.

(٦) مجلة زانكو: ٨٤.

عطايا الأمراء، ومن تشب في أعطياتهم فقد أضعف أثر دعوته من أن يبلغ قلوبهم))^(١).
 إلا أننا نرى أن الباحث لم يفضل بدعوته بدليل أن المتوكسل بن الأنطس -
 صاحب بطليوس - قد أبد دعوته بعد أن أخذت الأخطار بملوك الطوائف بذلك أخذت
 دعوة الباحث بعد هذا الدعم السياسي تسير بخطى أكثر رسوخاً وثقةً باستقبال نجاحها.

ومهما كانت النتائج التي توصلت إليها دعوة الباحث فإنها كانت بداية حسنة أمها
 من بعده عدد من العلماء والفقهاء منهم ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) الذي بذل
 محاولات عديدة من أجل توحيد الأندلس من خلال قلده البلاذغ لملوك الطوائف
 مستنجحاً فرقتهم والجمال التي ألوا إليها، إلا أن جميع محاولاته باءت بالفشل^(٢).

وكانت لابن حيان جهود مماثلة لجهود ابن حزم في إلقاء اللوم على أمراء السوء في
 دول الطوائف وحكامها المشعبين، ويورد لنا ابن حناري المراكشي لوم ابن حيان لعامة
 الشعب وركوبهم إلى هؤلاء الأمراء الضعاف فكانت هذه النتيجة (الاضطرار بالأمل
 والاستناد إلى أمراء القرقة الغفل، الذين هم منهم ما بين قشيل ووكل، يصدونهم عن سواء
 السبيل ويلبسون عليهم واضح الدليل))^(٣).

ووظف الشعراء الأندلسيون آنذاك شعرهم لخدمة التوحيد في الأندلس، وبرز منهم
 في هذا الميدان أبو محمد عبد الله بن العسال الطليطلي (ت ٤٨٧ هـ)، وقال أشعاراً حيث
 فسبها الساس على التوحيد، كما قال أشعاراً في الجهاد في سبيل الله بعد نكبة يربشر^(٤)،
 وكانت لأبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الألبيري (ت ٤٦٠ هـ) أشعاراً مماثلة في هذا
 الميدان^(٥).

كما كان للكثاب دور في الدعوة إلى توحيد الأندلس أيضاً، وبمثل هذا الدور أبو
 عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) وابنه أبو محمد بن عبد البر (ت ٤٥٨ هـ)،

(١) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرايطون: ٣٨ د إحصان عباس، ط ٦، بيروت ١٩٨١.

(٢) تاريخ الأندلس: ٤٣٥ د عبد الرحمن علي الحجي.

(٣) البيان المغرب: ٣ / ٦٥٨.

(٤) الروض المصطر في خبر الأقطار: ٩٠ تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري، تج: د إحصان عباس، ط دار العلم، بيروت ١٩٧٥.

(٥) تاريخ الأندلس: ٤٦٦ د عبد الرحمن الحجي.

وقد جاء في رسالة الكاتب أبي محمد عبد الله بن عبد البر: ((ورد كتابك يحض علي ما أمر الله به من الألفة واتفاق الكلمة، وإطفاء نار الفتنة، وجمع شمل الأمة في هذه الجزيرة المنقطعة من الجماعة...))^(١).

وكان للعلماء دور مشهود في الدعوة إلى توحيد الأندلس بعد نكبة بريشت ومنهم المشيخت أبو حفص عمر بن الحسن الموزني الإشبيلي (ت ٤٦٠ هـ)، وقد كتب الموزني رسالة إلى المعتضد من مرسية بعد نكبة بريشت، يحثه فيها على الجهاد واستفتحها بقصيدة مطلعها^(٢):

أَعْبَادُ جَلِّ الْوَزْءِ وَالْقَوْمُ هُجُوعٌ عَلَى حَالَةٍ مِّنْ مِّثْلِنَا يَتَوَلَّعُ

وأشارت المصادر الأندلسية إلى مشاركة إدريس بن يحيى بن يوسف الواعظ^(٣) من أهل إشبيلية، والقاضي محمد بن سليمان الأنصاري (ت ٥٠٠ هـ)^(٤) في الدعوة إلى توحيد الأندلس.

لأن هذه الجهود لم تكن شيئاً يسبب مما شهده عهد الطوائف من تنادع وانهاجر، لذلك فكّر المرابطون بحلج ملوك الطوائف حرصاً منهم على وحدة المسلمين من ناحية للوقوف في مصيبتهم مع الإسمان الذين كثرت تحدياتهم وتدخلاتهم في أوضاع ملوك الطوائف من ناحية أخرى، وكانت هناك مخاوف عند المعتضد بن عباد من قوة المرابطون بسبب نجسهم الصاعد وقوتهم المتزايدة في الأرقية كما يشير بالتفصيل^(٥).

لأن أن المعتضد بن عباد من بعده، استنجد بالمرابطون بعد تردد طويل، وقد نصحه وليده الرشيد بالعدول عن ذلك وحوته من المرابطون فأجابته قائلاً: ((أي بني، والله لا يسمع عني أبداً أي أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للقصارى فتقوم عليّ اللعنة على منابر الإسلام مثلما قامت على غيري - حرز الجمال - والله عندي خير من رعي الخنازير))^(٦).

(١) الذهيرة: ج ٣ م ١: ١٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢ م ١: ٨٢.

(٣) فتكملة: ١ / ١٩٥.

(٤) تاريخ قضية الأندلس (المرقية العليا): ١٠٠.

(٥) تاريخ الفكر الأندلسي: ١٠٠.

(٦) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

- ومن الواضح إن إصرار المعتمد بن عباد على الانحياز كلياً إلى المرابطين، يوضح مسألة في غاية الأهمية، متصلة برابطة العقيدة الإسلامية، هذه الرابطة التي مثل العهد المثلث الذي يجمع بين المربر - المرابطين - وعرب الأندلس.

ويرجح الدكتور حسن أحمد محمود (أن المرابطين أزدوا العبور وعزموا عليه قبل أن يستلحد بهم ملوك الطوائف، وذلك لأن دولتهم قائمة على الجهاد)^(١)، ولعل ما يبرر عبورهم الضعف السياسي لملوك الطوائف وعجزهم عن صد هجمات الإسبان فقد تم عبور المرابطين، و(الأول مرة سنة ٤٢٩ هـ، وذلك بدعوة من ملوك الطوائف، الذين اتفقوا على طلب النجدة والعون العسكري من المسلمين، لدفع خطر الصاري وصد تقدمهم السريع ولا سيما بعد سقوط طليطلة سنة ٤٧٨ هـ)^(٢).

والسبحم العرب المسلمون (المرابطون وملوك الطوائف) مع الصاري في موقعة الزلاقة الشهيرة سنة ٤٢٩ هـ وحققوا فيها نصراً مؤزراً على أعدائهم وتغيرت على إثرها موازين القوى في الأندلس بشكل مؤقت، وزالت فكرة القضاء على سلطان المسلمين من أذهان المسيحيين، واستعاد المسلمون ثقتهم بأنفسهم وازدادت تطلعاتهم نحو المرابطين بوصفهم منقذين للأندلس، وعظمت مكانة المرابطين في نفوس الأندلسيين، كما إن مشاركة المرابطين مع ملوك الطوائف في هذه المعركة أمدتهم بالاطلاع على الأوضاع الداخلية التي تعيشها هذه الدويلات في الأندلس وأثركوا ضعفاً، فضلاً عن اليون الشاسع بين الأمراء ورعاياهم^(٣).

وعسير المرابطون ثانية إلى الأندلس سنة ٤٨١ هـ تلبيةً لطلب المعتمد بن عباد لتسك حصار حصن لبيط^(٤)، وإذا كان العبوران الأول والثاني جابجا لنصرة المعتمد بن عباد، فإن العبور الثالث الذي قام به أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لم يكن بدعوة من أحمد، فأعد عدته وعبر إلى الأندلس بذريعة محاسبة الأمير عبد الله بن بُلَيْن (٤٦٩ - ٤٨٣ هـ) الملك الثالث والأخير لمملكة غرناطة على تعاقده مع القونسو السادس بعد

(١) قيام دولة المرابطين: ٦٦٣ د. حسن أحمد محمود، نقلاً عن: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: ١٣ د. محمد عبد السيد، بغداد ١٩٧٩.

(٢) الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ١٣ د. محمد عبد السيد.

(٣) المعتمد بن عباد: ١٦٠ د. صلاح خالص.

(٤) المصدر نفسه: ١٦١ - ١٦٢.

انصراف المرابطون من حملة ليط^(١)، وقد حاول عبد الله بن بلقين عبثاً إقناع المعتد بن عباد ويوسف بن تاشفين بعبلة تصرفه لأنه لم يكن في مقدوره مقاومة الفونسو السادس، فندفع له أتاة السنوات الثلاث الماضية وعقد معه صلحاً^(٢)، إلا أن هذه التصرفات لم تسن عزم الأمير المرابطي فغير إلى الأندلس ودخل غرناطة عاصمة الأمير عبد الله بلقين، والتقى الأمير المرابطي بأمر غرناطة ويوسف عبد الله بن بلقين الملقب بالمرارة بقوله: ((فخرجنا إلى الرجل، كأنما تساق إلى الموت، لا ندري ما تطلب كالحاضر بنفسه متوكلين على القدر))^(٣)، فاستلم الأمير الغرناطي دون قتال وديما نفسه وأهله، وتقي بعدها إلى المغرب سنة ٤٨٢ هـ، وبذلك تكون غرناطة أول دولة سقطت من دول الطوائف على يد المرابطون، وكان سقوطها إنذاراً بالخطر لبقية دول الطوائف التي اخترت غرناطة بسماحة الصدمة التي منيت بها دولة غرناطة.

وحدثنا المقرئ عن خلع أمير المرابطون لمولوك الطوائف بأنه ابتداءً بيني هود وبنى سبني ظاهر بشرق الأندلس، ومن ثم بيني صمداح بالمرية، ثم بيني الألفس والبنى بيني عباد في إشبيلية^(٤).

ومن السورخين من يرى أن ابن تاشفين لم يُصدر أوامره بخلع جميع ملوك الطوائف، فأشار ابن الكردوس في حديثه عن خلع المعتد بن عباد بقوله: ((... وقيل إن أمير المؤمنين لم يأمر بخلع المعتد - إذ كان أقسم له أن لا يغيره ولا يخلعه - إلا بعد أن اجتمع مع فقهاء إشبيلية وقضاة وأعيانها وسراةها وقالوا له هؤلاء الرؤساء لا تحل طاعتهم ولا تجوز إمارتهم لأنهم فساق فجرت فخلعهم عناء، فقال لهم: وكيف يجوز لي ذلك؟ وقد عاهدتهم وارتبطت معهم على إبقائهم، فقالوا له: إن كانوا عاهدوك فهاهم قد نافضوك وأرسلوا إلى القنص أن يكونوا مع عليك حتى يوقعوك بين يديه ويعود أمرهم إليه فإدر يخلعهم بجمعهم ونحن بين يدي الله المحاسون...))^(٥).

(١) المصدر نفسه: ١٦٠.

(٢) مذكرات الأمير عبد الله: ١٢٣ - ١١٩، وينظر: المعتد بن عباد: ١٦٧، د. صلاح حطاس.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٤.

(٤) فتح الطيب: ٦ / ١١٤.

(٥) تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط: ١٠٦ - ١٠٧، نسخ: د. أحمد مختار العبادي، مدريد: ١٩٧١ وينظر: الشر الأندلسي في عصر الطوائف المرابطون: ٣٤، د. حزام عبد الله

ويشير مؤرخ آخر أن الأمير المستعين بالله بن هود، لم يشمله غضب أمير المسلمين المرابطي وبقي على علاقته الحسنة به ولم يخلعه، وهذا الأمير ((كان يهادي أمير المسلمين فرغاه لذلك حتى إنه أوصى ابنه علي بن يوسف عند موته بترك التعرض إلى بلاد بني هود)).^(١)

ويشير محمد عبد الله حيان^(٢) إلى أن علي بن يوسف بن تاشفين عندما أقدم على خلع عبد الملك بن أحمد عماد الدولة أمير سرقسطة، كتب إليه أمير سرقسطة ملتمساً منه، ومذكراً له كان بين والديهما من أواخر المودة راجياً منه أن يترك سرقسطة لتحويل بين المرابطين والفرنجيين، وقد تم له ما أراد وبقيت دولة بني هود دون أن يخلع أمرأها. يتضح أن المرابطون سيطروا على معظم الأندلس، واستمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في حكم الدولة المرابطية - يضمها الأندلس - حتى وفاته سنة (٥٠٠ هـ) وحلقه ابنه علي، الذي سار على سياسة والده في اللجوء عن دولته ضد الأعداء إلى أن توفي سنة (٥٣٧ هـ).

وقد سار الأمراء المرابطون بعد يوسف بن تاشفين وولده علي سياسة رفع راية الجهاد إلى أن انتهى حكمهم سنة ٥٤٤ هـ عند مقتل إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين على يد الموحدون.

وانضلت الأندلس إلى عهد جديد في ظل راية عبد المؤمن بن علي زعيم الموحدون سنة ٥٤٢ هـ ولم يختلف الأمر عليها كثيراً بالنسبة للعهد السابق (العهد المرابطي) لأن كلا الدولتين تقومان على عناصر من غير الأندلسيين (الفرنجية - بربرية) وتعتمدان على قاعدة دينية متطابقة في حكم البلاد.^(٣)

وكانت هناك حروب بين الموحدون والإمبان، إلا أنها لم تستغرق وقتاً طويلاً،

حضر، بغداد ١٩٨١.

(١) تاريخ ابن السوردي (تمة المختصر من أخبار البشر): ٢/٢ عمر بن مطهر الوردى، النجف ١٩٦٩، وينظر: الفر الأندلسي: ٣٤ - ٣٥.

(٢) دول الطوائف: ٢٨٦.

(٣) دول الطوائف - عصر المرابطين والموحدون: ٢ / ١٩٣، وينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدون بالأندلس: ٤٦، د. محمد عبد السيد.

فكانت هناك نفقات كثيرة استتب بها الأمن وعمُّ الرخاء، ولا سيما في عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ)^(١).

كما يشير إليه ابن أبي زرع أنه ((ملك من مدينة تطيلة قاصية بلاد شرق الأندلس إلى مدينة شستين من بلاد غرب الأندلس نجى إليه خراج ذلك كله دون مكس ولا جور، فكثرت الأموال في أيامه وشهدت البلاد وتأمنت الطرقات وضبطت الثغور، وصلح أمر الناس في البادية والحاضرة، وذلك لحسن سيرته الجميلة وعدله الشامل لرعيه وتفقدته لأحوال بلاده القريبة والبعيدة ومباشرته أمور مملكته بنفسه حتى لا يغيب عنه شيء ولا يدخله فتور عن النظر في أموره ولا يكلها إلى غيره))^(٢).

لأن عوامل الضعف والافتزاز بدأت تدب في دولة الموحدين في نهاية القرن السادس الهجري وسطلع القرن السابع لأسباب عديدة منها الاقتصادية والاجتماعية وسياسية لا يتسع المجال لتذكرها. وهكذا كان من نتائج عوامل الضعف هذه زوال حكم الموحدين من الأندلس سنة (٦٤٦ هـ) على عهد السعيد بن المأمون (٦٤١ - ٦٤٦ هـ) وفي عهد أميرهم أبي ديوس (٦٦٥ - ٦٦٨ هـ) سكن المرابطون من إسقاط حكم الموحدين في المغرب سنة (٦٦٨ هـ).

ثانياً - الإطار الاجتماعي:

إن إطلاق تسمية ((الأندلسيين)) على المجتمع الأندلسي هي التسمية الصحيحة، لأنه يصعب علينا التمييز الدقيق بين تلك الأجناس الكثيرة لكونه مجتمعاً معقداً في التركيبة الاجتماعية، وقد (تواترت على تعقيده جملة أمور تعزى إلى كثرة أجناسه وتعدد أديانه، فقد ضم السكان الأصليين بأصولهم المختلفة، الذين سوا بعد الفتح بـ ((المعاودة)) أو ((المعادون)) من اليهود والنصارى، ومن اعتنق الإسلام منهم سمي بـ ((الأسلمة)) أو ((المسلمة))، وابتدأهم ((المولدون))، ضم المجتمع الأندلسي كذلك ((الصقالبة)) الذين يؤسس لهم من مختلف البلاد الإفرنجية أطفالاً وذكوراً وإناثاً، ويبرون برعاية الدولة، وأما ((الفلانجون)) فمن عرب بنية وأخرى قيسية، وبربر في شمال أفريقيا)^(٣).

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: ٤٩ د. محمد عبد السعيد.

(٢) الأسس المنطوية: ٩ / ١٢٤، ابن أبي زرع، ط ١، الرباط، نفاً عن: الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٤٦.

(٣) السوابق الأندلسية: ١٣ المحجبي، ونظر: بحث د. منجد مصطفى هجعت ((ملاحق من السند

وبسرى أحد الباحثين أن التكوين المعقد للمجتمع الأندلسي ليضعنا أمام مشكلات مهمة صعبة الحل، لقد جاء العرب ومن معهم إلى بلاد الأندلس واستوطنوها، وعلى الرغم من قلتهم فإنهم لم يلقوا مميزاتهم الخاصة بهم لذلك تراهم يشيدون حضارة تعد جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية فأضحت قرطبة خلال قرون طويلة، المركز الثاني للحضارة الإسلامية بعد بغداد^(١).

إن هذه التركيبة المعقدة للمجتمع الأندلسي أورت ما يعرف بالانحلال الاجتماعي، الذي احتل الباحثون في أسبابه، فمنهم من يقول فيه: ((وكان هذا التفكك الاجتماعي العنصري نتيجة طبيعية للانحلال السياسي الذي أصيبت به الأندلس بعد سقوط الخلافة، فالتحيز الصقلي إلى شرق الأندلس وبقي الأندلسيون ((الزعماء العرب)) سيظرون على جزء كبير من غرب الأندلس، أما البربر فتجمعوا في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة))^(٢).

أما الرأي الثاني فهو بخلاف الأول حيث يقول: ((لم يكن الانحلال السياسي لدولة قرطبة ظاهرة من ظواهر الانحلال الاجتماعي أو الفكري، فقد صاحبه على العكس من ذلك ازدهار فكري، بل وتطور اجتماعي نضج إرث المجتمع الأندلسي واكتسب صفاته المميزة وشخصيته الخاصة ...))^(٣).

إن الدكتور محمد عبد الوهاب خلّف يحاول أن يدعم رأيه من خلال دراسته للعناصر المكونة للمجتمع الأندلسي ودورها في الحياة الاجتماعية من خلال اختلاف التركيبة الاجتماعية محاولاً جعلها سبباً من أسباب الانحلال الاجتماعي، وإنما لا تتفق معه لأن الاختلاف في التركيبة الاجتماعية لا يمكن ترجيحه سبباً في الانحلال الاجتماعي، ولا سيما وقد مضت على الفتح العربي الإسلامي للأندلس قرون طويلة، كان لها أبرز الأثر في انحصار الأندلسيين في بؤبؤ واحدة.

السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي على عهد الطوائف: (٢٤٨)، مجلة أدب الرفاه، ع (١٦)، سنة ١٩٨٠.

(١) إشبيلية في القرن الخامس: ٣٤ د صلاح خالص.

(٢) قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي: ٢٣٤.

(٣) إشبيلية في القرن الخامس: ٢٥.

أما رأي صلاح خالص فإننا نرجحه لأن آثار التقدم الحضاري والعمراي الذي وصلت إليه الأندلس في ذلك العصر، لا تزال شاخصة إلى يومنا هذا وهي تشير إلى العبقريّة العربية في تلك الحقبة.

إنّ النزاعات السياسية التي مرت بها الأندلس - والتي وقفنا عندها عند عرضنا للإططار السياسي - أبان عهد الطوائف وما ترتب عليها من اقسامات سياسية، تركت آثارها السلبية على الحياة الاجتماعية في الأندلس، وقد أشار أحد الباحثين إلى حالة التمزق النفسي التي عاشها الشعب الأندلسي المتمثل في اليأس نتيجة النكبات التي تعرض لها الأندلس في هذا العصر، فضلاً عن معوقات هذا العصر الاجتماعية، المتمثلة في التحلل الخلقي والمخون وضعف التمسك بمبادئ الدين الإسلامي^(١٦). وكانت هناك دوايح وراء حالة الداعي هذه بسبب انهيار النفس الأندلسية وعدم تقنها بملوك الطوائف والذين ستهم بعض الروايات أمراء (الفرقة الممل) ^(١٧)، هذا من ناحية، وبسبب حقد العامة على البربر، الذين لعبوا دوراً كبيراً في بداية الفتنة حتى أصبح من كان بينه وبين أحد الناس عداء كتهمة بأنه بربري فيقتل على الفور^(١٨).

وهذه الظروف أوجدت حالة من الاستياء من ملوك الطوائف غير عنها شعراؤهم، ويستدل من نقد الشعراء للحالة السياسية التي عاشها الأندلس في ظل ملوك الطوائف، أن هؤلاء الملوك كانوا وراء حالة التردّي هذه، وأن المتصع للأوضاع الاجتماعية في الأندلس من خلال ما أوردته المصادر الأندلسية عن الطوائف والبرابطين يندرج ضمن هذا المفهوم العام ((...)) إنّ الأوضاع الاجتماعية التي تعيشها الأمة لتشمل النظم الإدارية والنواحي الاقتصادية، والمستوى الثقافي والحضاري الذي بلغته الأمة والأحداث الكبرى التي تصيبها فتسبب مواطن الإحساس عند كل فرد، فيخرج لها أو يعين من أجلها كتمو الثروة، وزيادة الدخل، وكالجدب والقمط والغلاء، وكل ما ينظم الأمة من تقاليد

(١) علاقات البرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالذول الإسلامية: ١٠٠، د. خليل إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٣٣٧)، دائرة الشؤون الثقافية للنشر، بغداد ١٩٨٥.

(٢) فتح الطيبة: ٤ / ٤٤٣ والخلل السندسية: ٢ / ١٩٩ شكيب أرسلان، علاقات البرابطين: ٢٧.

(٣) البيان المغرب: ٣ / ٩٧٧ علاقات البرابطين: ٢٧.

وعادات وطباع، وكيف يعيش الإنسان في مجتمع دون أن يتأثر بأوضاعه وتقاليدِه؟^(١)، وهكذا كانت حياة الإنسان الأندلسي تتأثر بكل مظاهر الحياة الجديدة التي امتازت بالثقل والاضطراب والتفعل بين القوة والضعف والرخاء والضيق والعرة والفرحان^(٢)، وقد أشار أحد الباحثين إلى ظاهرة الجلاء التي كان من نتائجها إصابة المجتمع الأندلسي بتسوجات متحركة كانت أحياناً تخلل من موازنته، وتتحرك فيه آثار نفسية عميقة^(٣).

ومما ابتلى فيه الناس في هذا العصر، هو ضعف سلاطينهم الذين حرصوا على ابتساع مناصبهم بمختلف الوسائل فنبذوا الأموال الطائلة وفرضوا الضرائب الباعطة على أبناء البلاد، لكي يقدموا هذه الأموال لقمة سائغة إلى أعدائهم بغية الإبقاء على عروشهم. وقد احتوت ذخيرة ابن بسام على وثائق مهمة من الأحبار التي توضح لنا الكيفية التي كان يتم بها جمع الضرائب، ومن هذه الوثائق الرسالة الطويلة التي بعث بها المعتضد بن عباد إلى فواد البلاد يستحثهم على مزيد من البذل والعطاء، وقد كتبت بقلم كاتبه أبي بكر بن القصيرة ومنها قوله: ((الحال مع العدو - فحسبه الله - بينة لا تحتاج إلى حلاء ولا كشف، معروفة لا تغتفر إلى نعت ولا وصف، ومن لا يمكن مقاوamته ومحاشرته، فليس إلا مداراته وملايئته وكان - قلَّ الله حده ونقص جنده - قد اعتقد الخروج في هذا العام إلى بلادنا - عصمها الله - بأكتف من جنوده في العام الفارح وأحفل، وأبلغ في استعداده وأكمل، إلا أن الله تعالى يسرَّ من إجابته إلى السَّلْم ما يسرَّ، ونظر لنا من حيث لا نستطيع أن ننظرو، ووقع الاتفاقُ معه على جملة من المال تُقدِّمُ إليه، ويستكفُّ بها الشرُّ المرحوبُ لديه، فكم حالُ كانت بخروجه تُثَلِّف، ونعمة بأيدي طائفة تتسفف، والرحمة - حاطها الله - وني علينا العام على ما يقتضيه ما عمَّ البلاد من الفساد، وشلبها من حائحة القحط والجراد...))^(٤).

هذه التصويغات القوية يحاول الأمراء أن يقتنعوا شعوبهم بدفع هذه الضرائب الكبيرة، ولقد يبدو من ظاهر كلامهم حرصهم على مصلحة المسلمين من العصف

(١) فضيا أديك حسين مروة: ٢٠، دار المنا للطباعة والنشر، بيروت، نقلاً عن: البيهة الأندلسية وأثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف: ١٦، د. سعد إسماعيل عظمي، ط ١، مصر ١٩٢٨.

(٢) نشر الأندلسي في عصر الطوائف والمرتبطون: ٢٥.

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرتبطون: ٣٢، د. إحسان عباس.

(٤) الذخيرة، ابن بسام: ك ٢ م ١: ٢٥٢ - ٢٥٣.

والحرروب، إلا أن حقيقة دفعهم الأثوات ما هي إلا نتيجة خوفهم على عروشهم من السقوط.

ونتيجة لانحياز الملوك لأموال الشعب، فقد ظهر التباين الكبير في المستوى المعاشي بين الأندلسيين بشكل واضح، وقد عاش عامة الأندلسيين وهم الأكثرية، من عبثة الفقر المدقع والفاقة على الرغم من الخيرات الكثيرة التي امتازت بها الأندلس، وقد فصل المقرئ القول فيها^(١)، وتكلم على احتقار الأندلسيين لمن يعاملهم الكندبة ولا يعامل بسيدته، وعلى الرغم من ذلك كله فقد عاش الأثنياء وهم الأقلية وبضمنهم الأمراء حياة مترففة، وبذلك كانت الفوة سحيقة بين طبقات المجتمع الأندلسي، فازدادت حنجر العامة الأندلسيين من الفوارق الطبقيّة التي آلتهم، لذلك كثرت آهاتهم، واستطاع الرجالي أن يجعل لنا هذه الآهات في كتابه^(٢).

وقد جاءت هذه الآهات محفوظة ضمن الأدب الشعبي الأندلسي بشكل أمثال شعبية، لكل مثل دلالة ويعبر عن قضية معينة وأحد هذه الأمثال يقول: ((إنا سمعت الأمير يعني، ان كان همومي ليكي))^(٣).

وقد ظهر هذا النوع من الأدب ليصور حياة العامة الأندلسيين تصويراً واقعياً، لأن هذا الأدب صادر من صاهير الشعب، وبلي حاجتها.

لقد عزا أحد الباحثين أسباب الضيق المعاشي والفقير والفاقة التي عانى منها عامة الأندلسيين إلى كثرة الضرائب بقوله: ((... إن الضرائب التي فرضها الأمراء على الناس باعظمة ثقيلة لحاجتهم إليها في سد نفقات فتحوها على أنفسهم، وأكبر النفقات ثلاث: الضريبة السنوية التي يتقاضاها الأذوقوش، ومقدارها حاجج للمساومة متأثر بحال الرضى والغضب، ولكنها على أي حال ضريبة ثقيلة تحصل من الرعية تواء في أغلب الأحيان، ففي بعض السنوات فرض على عبد الله بن بلقين مبلغ عشرة آلاف مثقال، كما فرض على حفيد ابن ذي الثون مائة وخمسون ألف مثقال طيبة، وخمسة مائة مدي طعام له

(١) فتح الطيب: ١ / ٢٢٠.

(٢) أمثال العموم في الأندلس لأبي يحيى عبد الله بن أحمد الرجالي القرطبي (٦١٧ - ٦٩٤ هـ).

(٣) أمثال العموم في الأندلس: ١١ لأبي يحيى عبيد الله بن أحمد الرجالي القرطبي (٦١٧ - ٦٩٤ هـ)، تحقيق وشرح ومقارنة: د. محمد بن شريف، القسم الثاني، منشورات وزارة الدولة المتكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأعلى بالمغرب.

ولجنوده كل ليلة يقيها ...»^(١). «ثم الضريبة المفروضة لدفع مرتبات الجنود، وترقع كلما كانت الحروب والمخاض دائرة بين الأمراء أنفسهم، وهي في الأحوال العادية (جزية) على الروؤوس تسمى القطيع وتؤدى مشاعرة، وضريبة على الأموال من الغنم والبقر والسدواب والسحل ... من هذه الضريبة ومن غيرها من طرق الحياة يوفر الأمراء ما يسدون به الثغرة الثالثة أعني إلتفاهم على بناء القصور والدور واقتناء فاخر الأثاث ورفع الرياض وسائر صنوف الترف»^(٢).

ولقد عرف هذا العهد بانتشار المغامرين أمثال ابن عمار والذين صورهم الذكور صلاح خالص بقوله: «لقد كان هؤلاء المغامرون منتشرين آنذاك في كل جوانب الأندلس، ولا سيما في بلاطات الملوك وقصور الأمراء يتلمظون بانتظار فرصة سانحة وصفقة رابحة واقمة سالفة...»^(٣).

وكان لبعض الفقهاء والقضاة دور تين في المغامرة، وكانوا خير عون ل هؤلاء الملوك، حيث كان الفقهاء يهاثون الأمراء ويبررون أخطاءهم حرصاً منهم على مواقعهم السياسية الممتازة وعلى عيشهم الرغيد في كنف الأمراء، فهو بذلك حملهم مسؤولية التضييع وإشراكهم في ذلك مع الأمراء^(٤). ويرى ابن حيان فيما نقله ابن عذاري أنه: «... لم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين منهم هم كالمخ نبيم الأمراء والفقهاء فلما^(٥) تنافر أشكافهم بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يتردون^(٦) فقد حُص الله سبحانه هذا القرن السدي نحن فيه من امواج هذين الصنفين لدينا بما لا كفاة له ولا مخلص منه فالأمراء الفاسطون قد نكبوا بهم عن نيج الطريق ذبأداً عن الجماعة وجرأاً إلى الفرقة، والفقهاء اثنتهم صبوت عنهم صدف عما أكده الله عليهم من الشيبون ثم قد أصبحوا بين أكل من حلواتهم وحباط في أهوائهم وبين مستنصر مخافتهم أخذ بالثقيفة في صديهم»^(٧).

(١) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والراجلين: ٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩ - ٤٦ وما بعدها.

(٣) محمد بن عمار الأندلسي: ٨١ د صلاح خالص، ط اقدى، بغداد ١٩٥٧.

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والراجلين: ٣٧.

(٥) في الأصل " فلما " وهو تصحيف والصواب ما أتينا.

(٦) في الأصل " يردون " وهو تحريف والصواب ما أتينا.

(٧) البيان المغرب: ٣ / ٢٥٤.

إلا أن هذه السمة السلبية لم تكن ملازمة لقبلاء الأندلس كافة، بل كان هناك دور إيجابي مثل جيهود التوحيد، وقد تقدم ذكر أصحابها.

وأشار عدد من الباحثين إلى أن الأندلس بعد أن ودعت عهد الطوائف ورضخت تحت سيادة المرابطين تمتعت بدهور سياسي واستقرار اجتماعي، لتحررت في ظل هذا العهد من الضرائب التي فرضها ملك الطوائف لإرضاء شجع الإسبان من جانب، وللبلدج على قصورهم المشرفة التي شهدت من الإصراف ما لم يتزل به من سلطان^(٤١).

وقد أنصف الدكتور حازم عبد الله خضر الحياة الاجتماعية في الأندلس بقوله: ((...)) لنا مبعها قرأنا من الأحبار بشأن... تصور الجواب السلبية في المجتمع الأندلسي في ظل الطوائف والمرابطين، فإن ذلك لا ينبغي أن يصرفنا عن تلمس مواطني المشرفة والنواحي الإيجابية فيه، فهي على قلتها بالمقاييس إلى النواحي السلبية، لا يمكن أن نشكر، إذ لا يتصور حلسو المجتمع من كاتمة القيم السامية والمثل الإسلامية العليا ولو كان الأمر كذلك لما وجدنا مجتمعاً أندلسياً قائماً يستجيب لداعي الجهاد وتستثار له مكانين الحمية والغيرة وتيقظ فيه روح العزة والكرامة...))^(٤٢).

أمّا في عصر الموحدين فلم يختلف الوضع بالنسبة للأندلسيين - وكما قدمنا في الجانب السياسي - فإن نظام الموحدين الجديد مقارب جداً لنظام المرابطين من ناحية اعتماده على الدين الإسلامي قاعدة لتسيير الحكم، فضلاً عن كون المرابطين والموحدين كليهما مسن البربر الذين عمرت قلوبهم بالإسلام لذلك تعبت الأندلس على عهد الموحدين بالأمن والرخاء^(٤٣).

لسلك لم تشهد الأندلس حتى نهاية القرن السادس الهجري مشكلات اجتماعية، لأنه لم يصادف الأندلسيين تعقيدات في حياتهم، إلا أن هذه الحال لم تتدهم طويلاً، فقد تعرضت الأندلس للضعف والاعتزاز فاضطربت شؤون البلاد، وهتت الفوضى ولا سيما في عهد المستنصر راند الناصر (٦١٠ - ٦٢٠ هـ) واستمرت الأزمات الاقتصادية

(١) تاريخ السمعات الإسلامية: ١/ ١٥٩ - ١٦١ جرحي زيدان، راجع وعلق عليه: د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥، الجزء الأندلسية: ٥٤ - ٥٥. د. سعد إسماعيل شليبا، وينظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: ٤٢١.

(٢) الفخر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ٣٩.

(٣) الأندلس المتطربة: ٢ / ١٧٣ نقلاً عن الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٤٧.

الحفاة لضياع الأندلسيين حتى زال حكم الموحيدين عن الأندلس^(١).

ثالثاً - الإطّار الثقافي:

إنّ الأمة الأندلسية هي امتداد طبيعي للأمة العربية في المشرق الإسلامي، وعلى الرغم من القطيعة السياسية التي كانت سائدة بين حكام الأندلس الأمويين والخلافة العباسية في بغداد، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من وجود علاقات ثقافية بين الأندلس والمشرق^(٢). كما ((... إن العرب لم يدخلوا بلداً إلاّ وأرضوا لغتهم عليه دون عمد، وذلك بفضل ما كانوا يحملون في صدورهم من أيّ الذكر الحكيم، وعمون الشعر العربي، وحنانهم بتعليمها أبناء الأمم الجديدة التي دخلت الإسلام، فقلّوا ذلك في المشرق، وفعلوه في بلاد الأندلس وبين البربر وبين تلك الجماعات التي عاشت في سفلية قبل اقتحاح النورماندي، يستوي في ذلك من دخل منهم في الإسلام، ومن ظلّ على دينه الأول))^(٣). و((إنّ العنصر البشري الذي كوّن الأدب في المشرق، كان هو نفسه الذي كوّنه في المغرب والأندلس، ونحن نعلم أنّ الجيوش العربية التي فتحت المغرب والأندلس قد استقرت فيها... وكان في طليعة الوافدين من قبائل عدنان وربيعة وخطمان وعيم وكنانة وقيس ولغلب وكانت أغلبية العرب الوافدين عدنانيين))^(٤).

وكان للسديس الإسلامي دور رئيس في تنظيم حياة هذه الموجات البشرية العربية، التي تسربت بسريال الإسلام وهدية تحضرت وترك فيها أثراً في ميادين الحياة الأندلسية بعامّة وعلى الحياة الأدبية والشعرية منها بخاصّة، وقد اتّصحت دراسة استاذنا الدكتور منجد مصطفي هجعت عن المدى العميق لتأثير الإسلام في الشعر، وذلك من خلال الروايد المتنوعة والمداول المتعددة التي صيبت في تراجم الشعراء، وهي في

(١) دول الطوائف - عصر المرابطون والموحيدين: ٢ / ١٢٦.

(٢) فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة: ٤٤، د. حكمت الأوسي، ط ٢، بغداد ١٩٧٤.

(٣) راسات المرزوق وغايات المعجزين لابن سعيد المغربي مقدمة المحقق الدكتور النعمان عبد البتعال القاضي: ٨، القاهرة ١٩٧٣.

(٤) شخصيات أوبسية من المشرق والمغرب: ١٤٦، أبو القاسم عماد كزّو وعبد الله شريف، ط ٢، بيروت ١٩٦٦.

بمصلها أنسراً للحضارة الإسلامية التي اهرنت بفتح المسلمون للأندلس^(١). كما قامت دراسة الدكتور حازم عبد الله حضر بدور مماثل لأثر الإسلام في انتر الأندلسي^(٢).

وإن الروايد الفكرية للأدبين المشرقي والمغربي كانت موحدة المنابع الثقافية وقد تعرضت وحيدة المنابع لسوء الفهم من قبل بعض الباحثين فأخذوا ينظرون إلى مسألة ابتداع الأندلسيون نظرة يعلوها غيبش وقنام، مما جرّهم إلى عقد موازنات غير منصفة بين فن المشاركة وفن الأندلسيين فلم ينجح للمتأخرين من الباحثين التعرف على جوهر القضية بل إلى ظلالها وكذلك لم يتم لهم التعرف على جواب الإبداع التي أتسم بها أدب الأندلس لأنه يُدرّس لا على أساس أنه أدب أصيل، بل إنه أدب مستمد من الأدب المشرقي، وقد رة عنه هذه التهمة أحد الباحثين^(٣)، وما شدُّ أثره أن وحدة المنابع الثقافية هي مدعاة فخر واعتزاز في أن تتوثق هذه العرى وتقوى وشائج الأمة العربية من أذناها إلى أقصاها، لا أن يؤخذ عليه مأخذ التهمة الفكرية.

وقد أشار الدكتور أحمد هيكل^(٤) إلى أن غراً من الصحابة والتابعين كان لهم الفضل الأول في إرساء لبنات الثقافة الأندلسية الأولى لما كان لهم من دور ديني في إفتاء المسلمين قسيما بمعنى فهم من أمور الدين كتقسيم المغانم وتحديد الضرائب وتخطيط المساجد وتقوية الناس، وأغلب الظن إن هؤلاء الرواد قد أسهموا بدور مشهود في تشييد أوائل المساجد في المدن الأندلسية المهمة كإشبيلية وقرطبة، وكان جُلَّ عمالتهم بتدريس كتاب الله وسنة رسوله، وبلغة القرآن الكريم.

ويشير الدكتور هاشم ياضي^(٥) إلى ظاهرتين بارزتين في الثقافة الأندلسية:

- (١) الانتماء الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي الطوائف والبرابطين: ٩٥ د. منجد مصطفى بيجنت، دار الرسالة ط ١١، بيروت ١٩٨٦.
- (٢) تنظير: خلاصة دراسة انتر الأندلسي في عصري الطوائف والبرابطين: ٥٦٧ - ٥٧٤ د. حازم عبد الله حضر، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٦.
- (٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ٣٦ د. سعد إسماعيل شلي، القاهرة ١٩٧٣.
- (٤) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ٦٠ - ٦١ د. أحمد هيكل، ط ٩، مصر ١٩٨٥.
- (٥) تنظير: بحث د. هاشم ياضي (ملاحق من الثقافة الأندلسية)، مجلة كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمّان: ٣٨، المجلد (٧) أيار ١٩٧٧ وللإستزادة تنظر: الرحلات العلمية بين الأندلس والمشرق - عصر الأمازة، جعفر حسن صادق، وهي رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، مقدمة إلى كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الموصل، ١٩٨٥.

الظاهرة الأولى:

إن الثقافة الأندلسية كانت تتحدّ من الثقافة المشرقية مثلها الأعلى، تتيح على متواليها، بل تذلّ أقصى وكدها أن تتيح جزئياتها، ولها في ذلك وسائل متعددة منذ الفتح الإسلامي، لمسي نشرب الثقافة الأندلسية من مصادر مشرقية، رجالاً وكُتّاباً ونالغاً، ووسائل وغيرها، وهي تقوم على جهود رجال كثرت رحلتهم منذ عهد مبكر إلى بنابيع الثقافة المشرقية.

الظاهرة الثانية:

هي أن الثقافة الأندلسية كانت لا تتيح في صدرها كثيراً للعلوم العقلية والفلسفية الخالصة، ولعل من هذه العوامل التي عملت على تضيق الخناق على العلوم الفلسفية والعقلية الحرة نفوذ بعض الفقهاء المتعصبين المالكيين، وقد صوّر لنا طرفاً من ضيق صدر الأندلس هذا المؤرخ صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم.

«لأننا نجد المقرئ يقصر اهتمام الأندلسيين بالفلسفة على خواصهم بقوله: ((وكل العلوم لما عندهم حظ واحتماء، لأن الفلسفة والتنجيم لأن لما حظاً عظيماً عند خواصهم، ولا يتظاهر بهما خوف العامة، فإنه كلما قيل ((فلان يقرأ الفلسفة)) أو ((يشغل بالتنجيم)) أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقيدت عليه أقفاسه، لأن زلّ في شبهة رجسوه بالحجارة، أو حرقوه قبل أن يهمل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقريباً لقلوب العامة))^(١).

وقد عني الأندلسيون بحماية ثقافة بالعلم، ويروي المقرئ أيضاً أن العالم له منزلة عظيمة عند خاصتهم وعامتهم ولم يكن للأندلسيين مدارس تعينهم على طلب العلم، وكانوا يتلقون جميع علومهم في المساجد ولم يتفاضّ علماؤهم أحراراً لغناء علمهم، لأنّ مخالفتهم لنشر العلم لذلك، فالعالم منهم يارح لأنه يطلب العلم برغبة من نفسه ويحيد عن الاستغفال بغير العلم^(٢)، فلا خرابة من العدم الأمية في الأندلس، بينما نشأت الأمية بين الأوربيين باستثناء الطبقة العليا من القسيس التي كانت تعرف القراءة والكتابة معرفة

(١) فتح الطيب: ١ / ٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٠ وللإستزادة ينظر: بحث د. منجد مصطفى بحت ((التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري))، مجلة كلية الآداب - جامعة البوخل، العدد (١٠)، آذار

أولياً^(١)، ولم يقتصر التعليم في الأندلس على الرجال بل تعداه إلى النساء، وكان لمن دور كبير في الاستفادة الأندلسية حيث حفظ بعضهم كثيراً من المؤلفات الشعرية، فضلاً عن روايتها وكان يفتن بالكثافة، ويروي ابن أبي الفياض (ت 109 هـ) أنه كان بالربض الشرقي في قرطبة مائة وسبعون امرأة، كلهن يكنن المصاحف بالخط الكوفي^(٢).

وكان طلب العلم في الأندلس يتم عن طريق نظامين من الرحلات العلمية:

الأول - الرحلة الداخلية:

يقوم بها الطلاب الأندلسي داخل الأندلس وينقل بين المدن الأندلسية، وغالباً ما يذهب إلى قرطبة ليسمع من الشيوخ هناك وتكون هذه الرحلة قبل الرحلة الخارجية التي تقوده إلى المشرق العربي^(٣). وقد اشتغل الأندلسيون بكتب المشاركة دراسة وشرحاً ومعارضةً ورداً واحتصاراً إلى جانب ما أفوه في شتى العلوم من فقه ولغة ونحو ومعجمات وتاريخ وحديث وكتب في التراجم والدراسات الأدبية وهذا شيء يعز عن (الخصر)^(٤).

الثاني - الرحلة الخارجية:

وهي الرحلة الثانية التي يقوم بها الطلاب الأندلسي مولياً وحيمة صوب متبيل العلم في المشرق العربي، وقد تغاث الأندلسيون في حب العلم وتحمل الأهوال والمشاعب والصعاب من أجل اللقاء بأساطين العلم والأدب في المشرق، وقد حصص المفري مجلداً كاملاً^(٥) لذكر التراجم الكثيرة للأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق طلباً للعلم، وقد بلغ شغفهم بالعلم أنهم كانوا يهيون على الرجل الذي لم يرحل إلى المشرق^(٦)، ومنهم من كان قسوي الشكيمة شديد البأس، يواصل رحلته بلا كلل ويصير على مشاق السفر

(١) الحياة العلمية في مدينة بلنسية، كرم محجل حسين: ١٦٦٢، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٧٦.

(٢) المعجب للمراكشي: ٤-٦.

(٣) الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٨٧، رسالة ماجستير، حازم غام حسين، مطبوعة عيسى الآلة الكاتبة، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة البوصيل، قسم التاريخ ١٩٨٠.

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمواعظ: ٥٩.

(٥) المجلد الثاني من: نفع الطبيب، نجح د، إحصان عباس، يورد أخبار الرحلة الأندلسية إلى المشرق.

(٦) الأدب العربي في الأندلس: ١٥١ د. عبد العزيز حقيق، ط ٢، ١٩٧٦.

الطويل واختلفت أغراضهم العلمية من الرحلة، فمتهم من كان يعني الفقه وعلوم القرآن والحديث، وهم الأكثرية، وبعضهم طلب الفقه وعلم الكلام كأبي محمد بن حزم الظاهري، والذي قال عنه صاعد في تاريخه ((كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار))^(١).

وللمرحلة التي يقوم بها الإنسان المسلم الأندلسي إلى المشرق أسباب ودوافع متعددة منها:

- ١ - دافع الحج، وكان أثره كبيراً لحمل الأندلسيين على الرحلة إلى المشرق ليكملوا فرائض الإسلام، فضلاً عن الصورة التي يمتلكها الأندلسيون عن المشرق بأنه كعبة تزار لما فيه من مراتع العلم والمعرفة والحضارة.
 - ٢ - دافع وحدة اللغة العربية وسهولة الاتصال بين المشرق والمغرب مما شجّع على ازدياد الرحلات^(٢).
 - ٣ - دافع حب الاطلاع على الشؤون الإدارية والزراعية والتجارية والسياسية والسفارات^(٣).
 - ٤ - دافع الاضطهاد الفكري والديني كما حدث للمسلمين العرب يوم ساقطت سندهم بيد الإسبان واضطروهم للتبصر، وجعلوا لهم محاكم التفتيش، وفي فتح الطيب والكتب المؤلفة في اللغات الأجنبية والعربية ما يشير إلى ذلك ويقرره^(٤).
- لأن اتجاه الرحلة من الأندلس إلى المشرق لم يكن وحيداً في ردد الثقافة الأندلسية، بل كان هناك اتجاه ثانٍ من الرحلة موازياً له وهو من المشرق إلى الأندلس، وعمل هذان الاتجاهان معاً في الارتقاء بالأندلس إلى أعلى درجات الثقافة^(٥)، فاكتملت

(١) فتح الطيب: ٢ / ٧٨.

(٢) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٠.

(٣) بحث د. محسن جمال الدين (الأندلسيون الأوائل من حملة الثقافة العربية)، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد: ٤٩، ع (١١)، حزيران ١٩٦٨.

(٤) البحث نفسه: والصفحة نفسها.

(٥) ينظر: أ - بحث د. حازم عبد الله خضير (الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق)، مجلة جامعة الموصل، ع (١) لسنة ١٩٧٩: ١٩ - ٢٥.

ب - بحث د. حازم عبد الله خضير (الرحلات العلمية من المشرق إلى الأندلس)، مجلة جامعة الموصل، ع (٩) لسنة ١٩٧٩: ١٦ - ٢٠.

الشخصية الثقافية الأندلسية فيما بعد، ولا سيما في القرن الخامس الهجري على عهد ملوك الطوائف، وعلى الرغم من فقدان هبة الخلافة الأموية وعمرة سلطنتها على الرغم من كل هذا بقي العهد الأندلسي والثقافي شامخاً، وتعدى حدود المدينة الواحدة وانتشر في عدة عواصم وفقاً لحالة التقسيمات السياسية الجديدة، فلم تعد قرطبة وحدها عاصمة العلم والمعرفة، فهذه إشبيلية عاصمة العباديين أخذت تنافس قرطبة وتجاوئها رداء الفخار وتلك طليطلة وسرقسطة وبطليوس وغرناطة والمرية ومالقة، في كل منها بلاط حافل بأهل العلم والأدب وعلموك يسابقون إلى الحصول على مشاهير الكتاب والشعراء^(١)، كما أن الأندلسيين على هذا العهد شعروا بالاستقلال الفكري، وتحرروا من التبعية المشرقية فلم يعودوا إلى استخدام أحد من المشارقة، بل شرعوا في مباراتهم ومعارضتهم فيروهم حيناً وقاربوهم في بعض الأحيان^(٢)، وبعد هذه الخصيلة الثقافية التي صورتها الأندلس لا بد من الإشارة إلى أن الثقافة المشرقية التي كانت تسري إلى الأندلس في القرون السابقة، غير أن الحالة انعكست تماماً في القرن الخامس الهجري والقرون اللاحقة كما يستدل من سير ابن زهر واليهامي إلى المشرق، وقد ناض سبل المعارف الأندلسية في القرن السادس الهجري بحيث طما على أوروبا نفسها^(٣).

وحري بنا أن نلغ على الروافد الثقافية التي عملت على الارتقاء بالأندلس، بحيث أصبحت تضاهي المشرق وتنتج على بلدان الغرب، وهذه الروافد على نوعين^(٤):

الأولى: روافد عربية إسلامية.

الثانية: روافد أجنبية.

أما الأولى (الروافد العربية الإسلامية) فتتفرع إلى أربعة روافد هي:

(١) ينظر: بحث د. عبد الله كرون (التصوير الأندلسي)، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق: ٣٧٦، ج ٣، مطب (٣٦) ص ١٩٥٦.

(٢) ديوان ابن زيدون، عصره وحياته، د. علي عبد العظيم، مقدمة الديوان: ١٨، دار البيضاء للنشر، ط القاهرة ١٩٥٧.

(٣) ديوان ابن زيدون، عصره وحياته، د. علي عبد العظيم، مقدمة الديوان: ١٨، نفاً عن فليب سني.

(٤) التصير بحث د. هاشم يحيى على الروافد العربية الإسلامية وجعلها ثلاثة روافد في حين رأينا رأياً واحداً راجعاً وهو الروافد الحضارية، فضلاً عن وجود الروافد الأجنبية وهي بطبيعتها غير عربية أو إسلامية.

١ - روافد الثقافة الدينية:

وهي روافد واسعة لها آثار بعيدة المرامي من النواحي الثقافية الأندلسية، لأن مادتها عسي الدين الإسلامي وما رافق هذا الدين الجديد من معتقدات نشطت الحركة الفكرية، وقد تفرّدت الأندلس بالمذهب المالكي الذي تكلم عليه صاحب كتاب الفكر الأندلسي أنه قد قامت في رحاب المذهب المالكي ثلاث مدارس يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً:

١ - مدرسة سحنون بن سعيد صاحب ((المدونة)) ومركزها القيروان.

٢ - مدرسة قرطبة.

٣ - مدرسة المالكيين العراقيين، ولم يتبع أحد من أهل الأندلس هذه المدرسة^(١).

ولإدھر المدرس القسبي في المدرستين الأولتين وتوسعت مدارس الفقهاء الأندلسيين نظراً للمناظرات الفقهية التي كانت تدور في هاتين المدرستين، فضلاً عن تطلعهم إلى فقهاء المشرق واللقاء بهم عن طريق الرحلات العلمية والدينية.

ب - روافد الثقافة الأدبية واللغوية:

وهذه الروافد واضحة وجلية في الأندلس ولا تغل شأناً عن سابقتها، وقد حفظت لنا ((نهرسة ابن خيري)) (ت ٥٧٥ هـ) أسماء لمؤلفات أدبية ولغوية وصلت من المشرق إلى المغرب منها:

١ - المختارات، كالمعلقات بشرح ابن النحاس النحوي (ت ٣٣٨ هـ)،

والمفضليات والأصعيات، وكتاب الحماسة لأبي عامر، وأشعار الخليلين والقائض بين جرير والفرزدق، وكتاب الشبمة للتعالي^(٢).

٢ - السدواوين، ديوان ذي الرمة، ويذكر المقرئ أن أيها بكر بن زهير كان يحفظ

هسلا الديوان ويقول إنه يحوي ثلث مفردات اللغة العربية، وديوان الأعرس، وأبي عامر، والمتني، والصنوبري، وسقط الزند، واللزوميات للمعري، وديوان أبي العتاهية، والدواوين التي جلسها أبو علي الفاي من المشرق إلى الأندلس^(٣) وقد أشار أحد الباحثين إلى أنها

(١) تاريخ الفكر الأندلسي: ١١٥٤ وبانظر: بحث د. هاشم باغي: ٤١.

(٢) في الأدب الأندلسي: ٦٩ - ٧٠ د. جودت الركابي، ط ٤، مصر ١٩٧٥.

(٣) المصدر نفسه: الصفحتان نفسها.

بلغت سبعة وسبعين من الدواوين وسبعاً من الفصائد، وهذا ^(١) العدد سوى ما تزايد عنه وأخذ منه في القرون أثناء عبوره إلى الأندلس، وقد أوردها ابن خبير الإشبيلي في فهرسته وحسب عصورها.

٣ - كتب طبقات الشعراء، ومنها الطبقات لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، والطبقات لابن النحاس (ت ٣٣٨ هـ).

٤ - كتب اللغة، لا يذكر ابن خبير سوى كتابي ليسر واقتداح لابن قتيبة، والكامل للمبرد.

٥ - كتب النواذر، منها كتاب النواذر لعلي بن حزم اللخمي، والنواذر لأبي زياد الكلابي، والنواذر للحصري.

٦ - كتب الأدب، ومنها زهر الآداب للحصري، وكتاب الآداب لابن المعتز ^(٢).

ويسرى الدكتور سعد إسماعيل شلي بأن هناك شطرين من الأفادة من رواقد الثقافة الأدبية المشرقية هما:

أ - الإفادة الجزئية:

والمقصود بها الاقتباس من القرآن الكريم كما كان يصنع المشارقة باستغلالهم التاريخ والمثل والحكمة وتضمنهم البيت أو الأبيات في القصيدة ^(٣). ولنا بحاجة إلى أن نسوق أمثلة على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فهي تخرج على الحصر والعد، إلا أننا لا بد أن نؤوه بطريقتهم الخاصة التي خالفوا بها أهل المشرق، فقد غلب على اقتباسهم الاقتباس الإشاري ^(٤).

ب - الإفادة المنهجية:

والمقصود بها الطريقة التي سار عليها المشارقة، وحاكاهم فيها المغاربة من اقتراح الفصائد بالوقوف على الأطلال والنسب أو الحديث عن الخمرة أو الشراب، أو انتهاجهم طريقة أبي تمام في البدع، والمنتني في تضمين الحكم، وأبي العلاء في النظرات الفلسفية،

(١) سياتر السطر الأدبي في الأندلس في القرون الخامس والحادي عشر: ٢٠ - ٢١ هـ، مصطفى حيدان عبد الرحيم، ط ١، بيروت ١٩٨٥.

(٢) في الأدب الأندلسي: ٦٩ - ٧٠ هـ، حودت الركابي.

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٣ - ١٤.

(٤) الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي: ٤٨٢.

وهم بذلك يعشقون حبهم ويصلونه بالجلود الإنسانية العامة للتراث الأدبي^(١).

ج - الرافد الحضاري:

أما في الجانب الحضاري فقد وفدت إلى الأندلس شخصيات لها أثرها على الحضارة الأندلسية، وقد أشار غرسيه غومس إلى مقدم زرياب بقوله: وقد بلغ التأثير المشرقي لوجعاً خلال هذه الفترة بوفود علي بن نافع الملقب بزرياب - الطائر الأسود - على الأندلس، فقد خرج من بغداد الرشيد ناجياً بنفسه من غيرة أمثاله إسحاق الموصلي، فلتقاءه عيد الرحمن الأوسط ((معاصر شارلمان)) (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) في قرطبة وأغدى عليه كرمه، وقد حمل زرياب إلى الأندلس أيضاً من الأنغام المشرقية ... فأصبحت هذه الأغاني الأصل النغمي لموسيقانا ((أي الموسيقى الإسبانية))^(٢).

ويؤكد غومس ما تردده الروايات الكثيرة من براعة زرياب فيما يتعلق بإضافة وتر خامس إلى الأوتار الأربعة الأولى التي كانت معروفة في الأندلس وهي الأصغر والأحمر والأبيض والأسود التي يتكون منها عوده الخاص الذي كان يضربه بمضرب من ريش الطيور^(٣).

ويحق الباحثون على أن دور زرياب في الأندلس كان كبيراً، وقد أشار أحدكم إلى السفلة الكبيرة التي حققها زرياب المعني في التدوq الجمالي عند دخوله الأندلس، حيث أشاع طريفته عند كثير من أبنائه وبناته وتلاميذته، وقد عكس الأندلسيون أن يحققوا في الموسيق التنوع الذي أراداه في النوتة دون خروج من منظومة إلى أخرى بفضل تدوqهم لموسيقاه، وما سهّل نجاحه أن تلاحيه سهّلت اختراع لوزان تناسب ألحانهم الموسيقية سواء أكانت موافقة لبحور الخليل أم لم توافقها - فجادوا بذلك عن قوانين الأوزان إلى السبحور والأغاريض السهلة وذهبوا في تساهلهم بعيداً، حيث مزجوا بين الألفاظ العامة بالفصحى، فكانت ولادة فن جديد تعارفوا على تسميته بالأوجال^(٤).

(١) دراسات لونية في الشعر الأندلسي: ١٤.

(٢) الشعر الأندلسي: ٣٣ غرسيه غومس.

(٣) الشعر الأندلسي: ١٣٤ وينظر: التجديد في الأدب الأندلسي: ٦٤ - ٦٥ د. باقر سائقة، بغداد، ١٩٧١.

(٤) تيارات الفن الأدبي في القرن الخامس الهجري: ٢٠.

د - والد الثقافة العقلية:

وهو الرائد الأقل انتشاراً من غيره في الأندلس، نظراً للقيم الحاخاني الذي ساد الأندلس فترة ليست بالقصيرة حيث كان يُرمى الفلاسفة بالزندقة ويهمون بالمروق عن الدين، وقد تقدم بنا قول المقرئ^(٦١) حول اهتمام الملوك الأندلسيين بالفلسفة وبشكل سري خوفاً من انتزاع أمرهم لدى العامة.

ويسرى الدكتور إحسان عباس: أن الفضل في معرفتنا إلى ما كانت عليه حال الدراسات العلمية والفلسفية بالأندلس يرجع إلى القاضي صاعد صاحب كتاب ((طبقات الأئمة))، فقد عاش في تلك الفترة وأداه تطوائفه في أنحاء الأندلس إلى التعرف لبعض أولئك العلماء^(٦٢).

ومع محدودية انتشار الرائد الفلسفي في الأندلس إلا أن هذا الأمر لم يمنع دخول بعض الكتب المهمة في هذا المجال حيث ((حلب تاجر حراني نسخة من كتاب القانون لابن سينا قد بولغ في تصنيفها فأنتخف بها أبا العلاء بن زهر تقريباً إليه، ولم يطلع ابن زهر على هذا الكتاب من قبل، فلما أطلع عليه ذمّه وأطرحه ولم يدخله خزنة كبة))^(٦٣).

ونرجّح أن إقدام ابن زهر الأندلسي على أطراح كتاب ابن سينا المشرقي خارجاً يتمّ عن تقدم كبير في المجال الفلسفي، فهو على ما يبدو من فعله هذا أنه مطلع على الفلسفة وله ثقة بعلمه تجعله لا يقدر كل العلوم المشرقية إلا ما كان نافعاً منها.

الثانية: الروايد الأجنبية، وتتفرع إلى قائدين:

أ - الرائد المسيحي اللاتيني:

كان لهذا الرائد الفضل في ازدهار الثقافة الأندلسية بحكم التعايش والحوار واحتكاك المسيحيين مع المسلمين في إسبانيا والذين يتكلمون اللاتينية، وقد جرى اطلاع المسلمين على تاجهم العلمي بشهادة المؤرخين المسلمين أنفسهم^(٦٤). وفي نبع الطيب مثل هذه

(٦١) نبع الطيب: ١ / ٢٢٦.

(٦٢) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والبرابطين: ٥٩.

(٦٣) عبّيون الأسماء في طبقات الأطباء: ٣ / ١٠٦ من في أصبغة (ت ٦٢٨ هـ)، بيروت ١٩٦٥ وبنظر: تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والبرابطين: ٥٧ - ٥٨.

(٦٤) الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٢٨٢.

الشهادات منها؛ وكان يحمّد ابن حبان في كلامه عن تاريخ الأندلس قبل الفتح الإسلامي على مصادر أجنبية، فيقول على سبيل المثال ((ذكر رواة العجم ... أو فوقع في تواريخ العجم القديمة))^(١). ويستنتج أحد الباحثين^(٢) أن المؤرخين كانوا على اطلاع وافٍ على التواريخ القوطية وأحوال ملوكهم وعلمائهم ومؤلفاتهم، لكنهم لا يشيرون إلى أسماء المصادر التي أخذوا عنها مكتفون بنسبتها إلى مصادر أجنبية.

كما أفادت الحضارة الأندلسية من الترجمات اللاتينية، فنجد مثلاً في كتاب طبقات الأطباء لابن جليل ذكر رواية عن جالينوس منسوبة إلى السيّدور الإشبيلي^(٣).

وبما أن التأثير المسيحي اللاتيني كان أقوى من الإغريقي على الحياة الأندلسية فقد أثار جدلاً بين الباحثين، ومنهم من أعطى له دوراً كبيراً، فقال الدكتور حسين مؤنس أن هذا التأثير يفسر لنا ((سراً من أسرار الازدهار الفكري السريع الذي حققه الأندلسيون في إسبانيا))^(٤)، بينما يرى باحث آخر^(٥) خلاف ذلك وحججه بأن هذا التأثير كان محدوداً.

ب - الرائد الإغريقي:

لم يقتصر التلاحق السقاني في الأندلس على اللغة اللاتينية، بل تعداه إلى اللغة الإغريقية، فقد جرى استحكاك المسلمين بالإغريق، وكان بعد تعلم الأندلسيين الإغريقية من الأمور النادرة في الأندلس، لذلك دعت الحاجة إلى طلب مترجمين من الدولة البيزنطية وتم ترجمة كتاب الخشائش لديسقوريدس^(٦). وقد نبه ابن أبي أصيبعة ((أن أحد أعضاء فريق الترجمة، الذين ضمّهم الراهب نقولا وهو أبو عبد الله الصقلي، ويرى أحد الباحثين أن هذا الأمر يضحنا أما احتمالين، الأول: إما أنه تعلمها في حقلية حيسما يظهر من نسبة، والساني: أنه اقتبسها وهذا الاحتمال الأضعف))^(٧). وبشكل عام جاء الراحل الإغريقي

(١) فتح العلي، رواية ابن حبان: ١ / ٦، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٩.

(٢) الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٢٨٠.

(٣) طبقات الأطباء والحكماء لابن جليل، تبج: فؤاد السيد، القاهرة ١٩٥٦، مقدمة المحقق: ٥٦.

(٤) نجر الأندلس: ٢٨، د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٦.

(٥) الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٢٨٦.

(٦) الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٢٨٦.

(٧) المصدر نفسه: ٢٨٢.

ضعيف الأثر على الثقافة الأندلسية بسبب صعوبة هذه اللغة على العرب المسلمين، هذا من ناحية ولعدم مكانة عن المسلمين بعكس المسيحيين المخاضرين للعرب المسلمين في الأندلس مما سهل تعلم اللغة اللاتينية.

الفصل الأول: مفهومه والمعارضة

وجذورها ودواعيها

١ - المعارضة في اللغة^(١):

اتفق المعجميون العرب على أن ((العين والراء والضاد بناءً تكثرُ فروقاً، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد))^(٢)، وقد جاء بدلالات مختلفة، والذي يعينا هنا: الزيادة التي تطرأ على مادة ((عروض)) التي زلتها ((فعل)) لكي تنضوي تحت تصنيف الفعل الثلاثي المزيد فيه حرف واحد، فتكون: ((عروض)) وزلتها ((فعل))، وهذه الزيادة لها دلالاتها، فهي تعني التشارك بين اثنين أو أكثر، وفضلاً عن معنى المشاركة - المتقدم - فإن لصيغة ((فاعل)) معانٍ أخرى^(٣) منها المغالبة، وتدل على غلبة أحدهما بصيغة ((فعل)) من باب نصر^(٤).

ولعل علة لجوئنا إلى الانتقال عن الأصل هو ضعف الأسباب التي توصله إلى ما استقر عليه مصطلح المعارضة من حيث الدلالة، لذلك لا مناص من تجاوزه والانتصار على فحص وتخصيص الدلالات المتفرعة عن الأصل الذي أشرنا إليه.

فلو تأملنا قول الخليل (ت ١٧٥ هـ) وهو أقدم المعجميين العرب لوحدناه بضع

(١) لا يسوتني إن أتوه يجهد الباحث محمد فلاح عبد، حيث أتدت من منهجه في تناول المعارضة في اللغة، وذلك في دراسته للتصنيفات في الشعر الجاهلي والإسلامي، التي عددها ليل درجة الدكتوراه، من جامعة بغداد، كلية الآداب.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤ / ٢٩٦، أحمد بن فارس، نج: عبد السلام محمد هارون، ط ١، القاهرة ١٣٦٤ هـ.

(٣) يرى الأستاذ كمال إبراهيم في كتابه صمدة الصرف بأن معاني فاعل أربعة:

١ - المشاركة بين الاثنين.

٢ - نسبة ما أخذ منه الفعل إلى المفعول.

٣ - التكثر.

٤ - موالاته الفعل والقيام به باستمرار.

صمدة الصرف: ٣٢ - ٣٣، ط الزهراني، بغداد ١٩٥٢.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب: ٩٦، رضي الدين الإسماعيلي، نج: محمد يحيى الدين وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٧٥ (أوكست) ونظر: شذا العرف في فن الصرف: ٤٢، الشيخ الجمالزي، ط ١، ١٤٨، ١٣٩١ - ١٩٧١ م، مطبع الطبع والنشر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

المضغ على العصب الحساس، بقوله: ((ومعارضته مثل ما صنع، إذا كتبت إليه مثل ما أتى السبك، ومنه انتضت المعارضة))^(١). وقال ابن فارس: ((وهذا هو القياس، كأن عَرَضَ الشيء الذي يجعله مثل عَرَضِ الشيء الذي أتاه^(٢). وقال الخليل: ((ومعارض فلان بسلحه: أي أعطى واحدةً وأخذ أخرى، قال^(٣):

هَلْ لَكَ وَالْعَارِضُ مِنْكَ عَائِضٌ فِي مَالِهِ يَسْتُرُ مِنْهَا الْقَائِضُ

أي: هل لك فيمن يعارضه فيأخذ منك شيئاً يعارض منك قوله: في مائة أي في مائة من الأبل يسر منها الذي يقيضها، ومعنى يسر منها: يبقى منها بعضها لأنه لا يقدر أن يسوقها لكثيراً))^(٤).

((ومعارضته في البيع فَعْرَضْتُهُ عَرَضاً: أي غبته، وصار القضْلُ في يدي))^(٥). وعارضته في السير: أي سرت حيازة^(٦) [وحاذيته^(٧)] قال^(٨):

لَعَارِضَتُهَا رَهْوًا عَلَى مَتَابِعِ لَبِيلِ مَنِيْلِ خَارِجِيٍّ مَحْتَبِ

((وعارضت فلاناً، أي: أخذ في طريق وأخذت في طريق غيره، ثم لقبته، ونظرت

(١) العين: (معترض) ١ / ٢٧١، التحليل: نجح: ٢. مهدي المحرومي و د. إبراهيم السمراتي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، سلسلة المعاجم والفهارس (١٦)، طبع مطابع الرسالة، الكويت، نشر دار الرشيد ١٩٨٠ م.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٩ / ٢٧٢.

(٣) نسيبه في اللسان مادة (عرض) إلى أي عبد النفسي، وقد روى الشطر الثاني فيه هكذا ((في جملة يسر منها العائض))، قال والمحصلة من الأربعين إلى ما زاد عليها، ثم قال: والمعنى هل لك في مائة مثل الأبل أو أكثر منها الخ، وهذا البيت في: المحكم أيضاً: ٤٢٣ ولكن بدون نسبة.

(٤) العين: ١ / ٢٧١ - ٢٧٢.

(٥) المصدر نفسه: ١ / ٢٧٢.

(٦) المصدر نفسه: ١ / ٢٧٢.

(٧) ما بين المعرفين زيادة الأزهرى في: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون: ١ / ٤٩٣.

(٨) البيت للطنطيل القنوي، ورد في موائده، ص (٢٦)، البيت (٣٦). نجح: محمد عبد القادر أسد، ط ١، ١٩٦٨، دار الكتاب الجديد، بيروت كما يأتي:

وعارِضَتُهَا رَهْوًا عَلَى مَتَابِعِ شَدِيدِ الْقَيْسِرِيِّ خَارِجِيٍّ مَحْتَبِ

وقد ورد معجزة في لاج العروس ((شديد القيسري خارجي محتب)) وقد وقع تصحيف في الناج في لفظة ((محتب)) والصحيح ((محبت)) والمحبت: الذي في ذراعه كالانكباب والتعذب.

إليه معارضةً، إذا نظرت إليه من عُرْضٍ، أي: ناحية، وعارضت فلاناً متناج، أو شيء معارضةً، وعارضته بالكتاب: إذا عارضت كتابك بكتابك))^(١).

وتابع ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) الخليل وتكرّر قوله عن معنى المعارضة بقوله: ((واشتربت المتناج عُرْضِي، أي متناج مثله، وهي المعارضة))^(٢)، إلا أنه أضاف في موضعين آخرين، قوله: ((وعارضت الرجل بكذا إذا قال قولاً فاعترضت في جوابه وجبته به))^(٣)، وقوله: ((يقال لفتح الناقة عراضاً)) إذا ساءها فحل من غير شوطها فتوّلها - ساءها عدا معها -، قال الشاعر الطرماح:

اضمرته عشرين يوماً وتبّلت
حين تبّلت عارضةً في عراضِي

السعارة: أن يخرج فحل من شولٍ إلى شولٍ آخر، وتخرج ناقة من ذلك الشول فيفرها، وإنما قيل عراض لأنه عارضها))^(٤).

وكسر الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) أقوال سابقه، وأضاف جمهرة من الألفاظ لا تخرج في نظارها عن المعنى الوضعي لمادة ((عُرْضٌ)) منها قوله: ((وقال ابن السكيت في القول البعث:

مدحنا لما روفق الشباب فعارضت
جناب الصبا في كاتم السر أعجماً

قال: عارضت: أخذت في عُرْضِي، أي ناحية منه، جناب الصبا: إلى جنبه، وقال الحمصاني: بعبر معارض، إذا لم يستقم في اللطاف، ويقال: جاءت فلانة بولد عن عراضٍ ومعارضة، إذا لم يعرف أبوه، ويقال للسقيح: هو ابن المعارضة. والمعارضة: أن يعارض الرجل المرأة نياتها بلا نكاح ولا بملك))^(٥).

ولم نجد عند الصحاح إسما لـ بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) ما يضيف إلى سابقه ما عدا قوله: ((والمعارض: الناقة تراءم بأضفها وتضع دُرْها))^(٦).

(١) العين: ١ / ٢٧٣.

(٢) جمهرة اللغة: ٢ / ٣٦٢، ابن دريد، ط حيدر آباد الدكن.

(٣) جمهرة اللغة: ٢ / ٣٦٣.

(٤) المصدر نفسه: ٢ / ٣٦٢.

(٥) تذيب اللغة: ١ / ٤٦٨، الأزهري، نج: عبد السلام محمد حارون، ط الدار المصرية ١٩٦٨.

(٦) المحيط في اللغة: ١ / ٣٤٧، الصحاح بن عباد، نج: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط ١،

المعارف، بغداد ١٩٧٥.

أما الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) فكان كتابه من المعجمين الذين أعادوا ما قاله سابقهم، فلم يضيف شيئاً^(١).

ولم يكن ابن فارس (ت ٣٩٤ هـ) بأفضل حالاً من سابقه من ناحية، إضافة معنى جديد إلى المعاني السابقة، غير أنه قال في جملة: ((والعروض: السكان الذي يعارضك إذا سرت))^(٢).

وتابع ابن سيده (ت ٤٨٥ هـ) في مُحكمه سابقه، وكذلك الشأن مع الزعزعي (ت ٥٣٨ هـ) والصاغاني (ت ٦٥٠ هـ) والرازي (ت ٦٦٦ هـ) فلم نجد عندهم مجتمعين أية إضافة لمعنى جديد^(٣).

أما ابن منظور (ت ٧١١ هـ) الذي عني بالثراء المعجمي السابق، وقد حوى معجمه خمسة كتب لغوية كبيرة ثلاثة منها معاصم^(٤)، وبذلك تكون متابعة ابن منظور جليداً، إلا أن هذا الأمر لا يتبعه من إضافة المعاني السابقة نحو قوله: ((وفلان يعارضني أن يباري، وفي الحديث الشريف أن حبريل القليل، كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة وأنه عارضه العام مرتين، قال ابن الأثير: أي كان يبارسه جميع ما نزل من القرآن الكريم من المعارضة والمقابلة، وفي الحديث الشريف أيضاً أن رسول الله ﷺ عارض جناتة أي طالب أي أنها معترضة من بعض الطرق، ولم يتبعها في منزلة))^(٥).

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح الفريدي: ٣ / ١٠٨١ - ١٠٩١، إسماعيل بن حماد الجوهري، نجح:

أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٢، بيروت ١٩٧٩.

(٢) إيسل اللغة: ٤٦٩/٣، أحمد بن فارس، نجح: الشيخ هادي حسن جويدي، ط ١، الكويت ١٩٨٥ م.

(٣) ينظر: المحكم والجمع العظيم: ١ / ٢٤٦ - ٢٤٩ ابن سيده، نجح: مصطفى السقا، حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١ / ١١٩٥٨، أساس البلاغة: ٢ / ١٠٨ - ١٠٩ للزعزعي، مطابع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية: ٧٦ - ٧٧ تاليف الحسن بن محمد الحسن الصاغاني، نجح: عبد العليم الطحاوي، القاهرة ١٩٧٤، مختار الصحاح: ٤٦٤ - ٤٦٦ للرازي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٩ م.

(٤) المعاصم الثلاثة هي: التهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، ويكملها كتابان آخران هما: القريب والإيضاح عن وقوع في كتاب الصحاح لابن بري، وهي أماليه في نقد صحاح الجوهري، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لحد القين بن الأثير.

(٥) لسان العرب: ٧ / ٤٦٧ ابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٥٦ م.

أما بقية أصحاب المعجمات اللغوية^(١) فلم يأتوا بمعاني جديدة تضاف إلى المعاني المتقدمة التي أوردها السابقون، ولم يأت ما جاء به المعجميون المتأخرون من معاني معدوم المستوى، وإنما جاء ليؤكد المعاني المتقدمة، وجاء هذا التأكيد جهة أمثلة وشواهد أغنت الدلالة الموضوعية.

ومما تقدم نخلص أن المعنى اللغوي للفظه ((عارض)) له طوران:

أولهما: حسّي يحتل في البداية، السير، والالتقاء، المقابلة، المقابضة، الخفية، لفاح الإبل، النكاح، الرضا، الخفية، المباراة.
ثانيهما: معني في القول ونحوه.

ومما سن شك أن المفهوم الدلالي لهذه المعاني هو غير دلالة ((المعارضة)) أي المصطلح الأحيي، وإن تضمنت بعض معانيها، أي أن لفظه ((عارض)) تجاوزت دلالتها الموضوعية إلى معاني جزئية يفرغ الألفاظ المستتقة منها مع احتفاظها بالمعنى العام، فضلاً عن وجود وشيجة بين الطرفين المتشاركين من الشيء بشيء يشبهه لعلاقة بينهما، وهذا ما سيلسره المعنى الاصطلاحي للمعارضة.

٢ - المعارضة في الاصطلاح:

استقر مصطلح المعارضة عند الأندلسيين القدامى، في وقت مبكر ولم يتغير عما هو عليه الآن، وقد صرح ابن عبد ربه الفرطحي (ت ٣٢٨ هـ) في عقده به، بقوله: ((ومما عارضت به صريح القواني في قوله:

أديروا عليّ الوأخ لا تشربوا قبلي	ولا تطلبوا من عند فالتني ذحلي
فيا حزني أني أموتُ حياءً	ولكن علي من لا يحلُّ لهُ قتلي
فديتُ التي حدثتُ وفالستُ ليربها	دعيه، الثريا منه أقرباً من وصلي

نقلت علي ربه:

أقتلني طُلماً وتجهدي قتلي	وقد فاقم من عينك لي شاهداً عدلي
---------------------------	---------------------------------

(١) ينظر: المصباح السير في غريب الشرح الكبير: ٥٦ - ٥٢ تأليف أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، تصحيح مصطفى السفا، طبع مطبعة مصطفى الحلبي ولولاه: ينظر: القاموس المحيط: ٢ / ٣٤٦ - ٣٥٠، الفاصلة، د. ت. وينظر: لساج العروض: * / ٤٠ - ٥٤، محمد مرتضى الزبيدي، والمؤشر دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، دار صابر، بيروت ١٩٦٦ م.

أطْلَابٌ دَخَلِي لَيْسَ بِي غَيْرِ شَادِيٍّ بِعَيْنِيهِ سَحَرٌ فَأَطْلُبُوا عِنْدَهُ دَخْلِي
 (إلى آخر الآيات) ^(١).

وإسن عبيد ربه - فهما أعلم - هو أول أنطلسي صرّح بالمعارضة بعبارة الاصطلاحية، وأورد مثلاً عليها، كما تقدم - وإن المعارضة الشعرية واضحة عند ابن عبيد ربه في مفهومها الاصطلاحية، ومن هذا الوضوح الطلق الفلاسوني في تحديد المصطلح، يرى أحد الشباب المعارضة بالشعر ((أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية وبأبي شاعر آخر فيعجب هذه القصيدة لجانبها الفني وحياتها المستتازة فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها، أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصاً على أن يعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه ... فيأتي بعبان أو صور بإزاء الأولى تبليغها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حُسن التعليل أو جمال التمثيل، أو تفتح أفقاً جديدة في باب المعارضة..)) ^(٢)، ويرى الدكتور محمود رزق سليم قريباً من هذا الرأي فيقول: ((والمعارضة أن ينظم الشاعر قصيدة على منط قصيدة لشاعر آخر، يتفق معه في بحرهما ووزنهما وموضوعها، سواء أكان الشاعران متعاصرين أم غير متعاصرين)) ^(٣)، ويؤكد الدكتور محمد محمود قاسم نوفل في تعريفه للمعارضة على أن يكون هناك فارق زمني بين الشاعرين المعارض والمعارض ((ولو كان الزمان قصيراً جداً لا يعتد لحظاتهم)) ^(٤).

ولا شك أن تعريفات المعارضة عند هؤلاء الباحثين امتازت بوضوح الرؤيا وعمقها، إلا أن هذا الأمر لم يمنع من ظهور رؤى غير عميقة لدى بعض الباحثين لم توفّر مصطلح المعارضة حقه ومنهم: حَيُّور عيد الثور عندما عرف المعارضة بأنها: ((باب من أبواب الشعر التقليدي الذي يتصدى فيه شاعر لقصيدة زميل له، قديم أو معاصر، فينظم أبياتاً على وزن وقافيتها، ويقف فيها موقف المتفاد إعجاباً بها، أو ينالض زميله فيثبت ما

(١) الطلح السريدي: ٥ / ٣٩٨ - ٣٩٩ لأن عبد ربه الأنطلسي، ضبطه وصححه وحدث موضوعه
 وولب فيارسن أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٦٥ م.

(٢) تاريخ الفقه في الشعر العربي: ٧ لعدد الشباب، ط ٢، القاهرة ١٩٥٨.

(٣) عصر سلاطين المماليك مع: ٨ / ٤٧٧ د. محمود رزق سليم، ط ١، القاهرة ١٩٩٥.

(٤) تاريخ المعارضات في الشعر العربي: ١٣ د. محمد محمود قاسم نوفل، ط ١، بيروت ١٩٨٣.

أنكر، أو ينكر ما أثبت...))^(١)، وإنما إن كنا نوافق عبد التور في مستهل التعريف إلا أننا لا نستفق معه عندما يقول: (أو يناقض زميله ...). لأن هذا الكلام يخرج عن المعارضة وينتقل إلى فن آخر هو القبضة، وبذلك لا يمكن التسليم بما أوردته من تعريف عندما خلط بين المعارضة والقبضة.

ويعرّف محدي وهبة وكامل المهنس في كتابهما (معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب) المعارضة بما ((أن يحاكي الأديب في اثره الأدبي أثر أديب آخر محاكاة وتقليد لسدل علي براخته ومهارته...))^(٢). إن المصنفين وإن لم يُشيروا إلى الشاعر في تعريفهما صراحةً، إنما كان الشاعر مقصوداً ضمناً، فإننا لا نتفق معهما عندما أقرّا أن المعارضة هي محاكاة، لأن المعارضة لا يمكن أن تكون محاكاة مطلقة لأن المحاكاة المطلقة عملية مجردة من عنصر الإبداع ... وليس المعارضة كذلك.

ويعرّف الدكتور أمين علي سعيد المعارضات بأنها: ((نوع من الشعر يقوم الشاعر بمعارضة أشعار شاعر آخر اعجاباً به أو تحكماً عليه أو جواباً عن شعر له ...))^(٣).

وأختلف مع الدكتور أمين علي سعيد في موضعين:

الأولى: قوله: ((تحكماً عليه)) وهذا لا يتفق مع مفهوم المعارضة الشعرية، بل يصح على مفهوم القبضة والتي تعتمد الحياء والسحرية.

الثاني: قوله: ((أو جواباً عن شعر له)) وهو لا يتفق مع مفهوم المعارضة بل يصح على مفهوم المحاربة الشعرية والذي يختلف عن مفهوم المعارضة، والاختلاف والاتفاق بين هذه الفنون ستوضحه فيما بعد.

ويعرّف الدكتور عمر فروخ المعارضة بأنها ((تقليد الشاعر لشاعر آخر ...))^(٤). وأختلف مع الدكتور عمر فروخ فيما ذهب إليه، لأن المعارضة الشعرية ليست تقليداً في

(١) المعجم الأدبي: ٢٥٤ - ٢٥٥ جُور عبد التور، ط ١، بيروت ١٩٧٩.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٢٠٣ محدي وهبة وكامل المهنس، لبنان ١٩٧٩ م.

(٣) نظرس: بحث د. أمين علي سعيد الموسوي: ((الشاعر أبو إسحاق الأظفنة ومعارضاته الشعرية))، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد / ٤٤٣، ع (٢٣) لسنة ١٩٧٨.

(٤) تاريخ الأدب العربي (الأدب العربي في المغرب والأندلس إلى آخر عصر الطوائف): ٤ / ٧٨، ط ١، بيروت ١٩٨١.

صحيح مراحلها، بل يكون التليد مرحلة تنتهي بالتجديد والتفوق والإبداع.

وينبغي أن لا يلهم أن كل شاعر سابق في عصره للشعراء الآخرين يكون متقدماً عليهم في قول الشعر، ويحصل أن الشاعر المتأخر لا يكون مقلداً بل يكون مبدعاً ومتفوقاً على سابقه، وقد ألمح إلى ذلك ابن عبد ربه عندما عارض صريع الغواني في قصيدته التي مرّت آنفاً، وقال عن شعره ((لمن نظر إلى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه، لم يفضله شعر صريع الغواني عنده إلا بفضل التقديم...))^(١).

وبعد ذلك نخلص إلى القول بأن الأصل في مفهوم المعارضة في الشعر: أن ينظم شاعر قصيدة في موضوع معين على غرار قصيدة أخرى قالها شاعر متقدم عليه في الزمن، ملتزماً الوزن والقافية وحركة الروي، فضلاً عن المضمون بالمتابعة والاحتماء بمهارة ذلك الشاعر محاولاً بلوغ شأوه ثم محاولاً التفوق والإبداع، وهذا الضرب يمثل المعارضة التامة.

لماذا إذا فقدت المعارضة أحد أركانها المتقدمة تصبح معارضة ناقصة، ومن أمثلة ذلك أن يلزم الشاعر المتأخر الوزن والقافية وحركة الروي ثم يعكس المعنى على نحو ما نجده في معارضة ابن عبد ربه لصريع الغواني، وقد ألمح الدكتور إحسان عباس، إلى هذا النوع من المعارضة بقوله: ((وهناك معارضة لا للزوم روي القصيدة التي يعارضها، وإنما هو ينظر إلى معاني قصيدة سابقة لم ينشر قصيدة تتضمن هذه المعاني مع شيء من التقلب والعكس والاسباب))^(٢).

أو أن يلزم الشاعر معاني القصيدة ومقوماتها العام غملاً بالوزن أو القافية أو بكليهما، أو أن يعارض الشاعر المتأخر قصيدة لشاعر تقدم عليه، ولكن بموضوع مختلف تماماً عن موضوع الشاعر المتقدم، وقد تأتي المعارضة الناقصة غير ملتزمة بأي ركن من هذه الأركان، ولكنها تبقى معارضة متضبطة ضمن هذا المصطلح، وذلك لأن الشاعر يعتمد فيها ويصرّح بأن يعارض القصيدة الأخرى وعلى نحو ما نجد في قصيدة ابن شهيد التي يعارض فيها امرأ القيس، ولا بد أن نشير إلى أن هناك فرقا بين المعارضة واحداً المعاني الذي يدخل في باب السرفة الشعرية.

(١) العقد الجديد: ٥ / ٣٣٩.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة: ٢٠٢ د. إحسان عباس، ط ٦، بيروت ١٩٨١.

٣ - المعارضة والنقضة والمحصنة والمراجعة والمجاوبة:

لعلّ حلة بلوتنا إلى تصنيف هذه الفنون الأدبية معاً، يرجع إلى وجود وشائج بينها، ورأينا أن نلّف على هذه الفنون وعلاقتها بعضها، فالمعارضة مبراة شريفة ضمن أسلوب للمديح أو الثناء أو التجليل أو الوصف نتيجة إعجاب شاعر متأخر بقصيدة لشاعر متقدم عليه في الزمان، أو وقت نظمها أو حسن صياغتها، ويدفعه إعجابهُ بقصيدة الشاعر المتقدم إلى الإبداع فيشعر بقصيدة يفوق بها المتقدم^(١)، ولا يكون المتفوق دائماً حليف الشاعر المعارض وإنما يخفق أحياناً ولا يبلغ شأوَ المتقدم، وقد ألح الدكتور محسن جمال الدين^(٢) إلى ذلك بقوله: ومن المعارضات ما تكون سامية المعنى، جديدة الصورة، يتبعها الإخراج، ومنها ما يكون مشوهً اللفظ، رديئ البأس، ضعيف الكيونة.

ويشير أحد الباحثين^(٣) إلى أن المعارضات الشعرية الأندلسية لها بعد اجتماعي، فهي تدل على ارتفاع المستوى العام للأذواق، وإن الطبقات المنفصلة عادت لا تستطيع لتأيد الشعراء ونشاطهم، فإذا كان لهم أن يتصاولوا، ويتلفوا ما زاد عن حاجتهم من نشاط عقلي فليكن ذلك على أعواد منبر المعارضات الذي لا يذاه فيه ولا سفه، وعلى مسجع من الملوك والوزراء والأصدقاء الذين يجمعهم السامر ويضمهم المنلدى.

وتأسيساً على ذلك يفهم أن المعارضة الشعرية في الأندلس جاءت لتحل محل المناقضة الشعرية والتي عرفت بالمشرق، في عهد بني أمية بخاصة، وأشهرها ما دار بين جرير والفرزدق وفيها العصبية القاتلة والسياسة المفركة والحزبية المتطاحنة^(٤).

وعلى الرغم مما آلت إليه الثقاض من نتائج إلا أنها لم تقتضه حاجة ذلك العصر، فلا بد له من أن ينشأ ويقوى عوده، لوجود مبرراته في ذلك الوقت، فلم تحج الظروف ذاتها التي هيأت للثقاض في المشرق عند الأندلسيين، وإنما زدهم فن المعارضة الشعرية.

ولكسي سوازن بين المعارضة والنقضة لا بد لنا أن نلّف على تعريف لمصطلح النقضة، فمصطلح النقضة: أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة عاجية أو متفحراً يعتمد

(١) تاريخ المعارضات: ٦٤ - ١٥.

(٢) ينظر: بحث د. محسن جمال الدين (معالم شخصية المتنبي في الأندلس)، مجلة البورد العراقية، بغداد، ١٩٢، ج (٦ / ٣) لسنة ١٩٧٧.

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٣٥. د. سعد إسماعيل شلي، ط القاهرة ١٩٧٣.

(٤) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٣٤.

الأحسر إلى الرد عليه حاجياً أو مفتحراً ملتزماً بالبحر والقافية والروي الذي اختاره الأول، ولا يسد من وحدة الروي لذلك هو النهاية الموسيقية المتكررة التي تعد جزءاً من النظام الموسيقي العام للمناقضة، بقيت حركة الروي، ولا بد من وحدتها أيضاً إنشائياً لتلك التسبق الوزني، وإن اختلفت في بعض النقاظ كما في اللامين، الأولى للفرزدق، والثانية لحمر^(١).

وقصيدة الفرزدق مطلعها^(٢):

بِئْسَ دَعَايِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
إِنَّ الَّذِي سَلَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا

أَمَا قَصِيدَةُ حَمْرٍ مَطْلَعُهَا^(٣):

بُعْثُ الْمِيَاذِ كَأَلْبَاهَا لَمْ تَحْطَلِ
بَيْنَ الْكِنَاسِ وَبَيْنَ طَلْحِ الْأَعْوَالِ

ومما يلاحظ على مطلع القصيدتين أن حركة الروي مختلف فيهما، فالأولى بحرها السهب، والثانية بحرها الكسر، وهاتان أول ما حيي بين الشاعرين من السناقضات، أما المعاني فالأصل العام فيها المقابلة والاختلاف، لأن الشاعر الثاني منه أن يقصد على الأول معانيه فيرد عليه، إن كانت هجاءً ويزيد عليه مما يخرجه أو يخرجه، وإن كانت فحراً كذبه فيها، أو فسرها لتضاحكه هو، أو وضع لزامها مقاهر لنفسه وقومه^(٤).

وقد قوم أحد الشباب هذا الفن بقوله: ((ومن الجانب الأدبي تُعد النقاظ وتياً عظيماً للشعر القديم، وخاصة الفنون التي كان قوامها، وذلك لأن النقاظ قامت على أساس المتناسقة والتضاد فاجتهد شعراؤها في تجويدها من حيث المعاني والألفاظ، والصور والأساليب حتى كانت آخر ما انتهى إليه الشعر الإسلامي المحافظ، ويمكن اعتبار النقاظ إلى حد كبير، امتداداً ناضجاً للشعر الجاهلي وتطوراً خطيراً له...))^(٥).

والصورة الاصطلاحية للمناقضة نُذكرُنا بالصورة الاصطلاحية للمعارضة الشعرية، لوجود نقاط اتفاق كبيرة في الفنين ونقاط اختلاف أيضاً، ونقاط الاتفاق تتمثل في اعتماد

(١) تاريخ النقاظ: ٣.

(٢) نساظ حمر والفرزدق، طبع مطبعة لبنان ١٩٠٥ م، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة الشبي، بغداد لتضاحكها قاصم محمد الرقيب: ١ / ٨٢.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٢١١.

(٤) تاريخ النقاظ: ٤.

(٥) المصدر نفسه: ٤٤٨.

البحر والقافية والروي، ووحدة الموضوع عند الشاعرين، وقد تكون بين أكثر من شاعرين في كلا الفنين.

أما الاختلاف فيمكن في دواعي كل فن، فالمعارضة داعيها هو الإعجاب والتقليد، أما النقيضة فداعيها هو الرد والاحتجاج، وبخلافان في الغاية، فغاية المعارضة هو التفوق والإبداع، إن تمكن الشاعر من ذلك - أما النقيضة فلغايها هو الفجاء، ويشترط أن يكون الشاعران متعاصرين في زمن واحد، حيث ينشد الأول قصيدة ويسمعه الثاني وينشد قصيدة ينقض بها الأول، ولا يشترط على المتعارضين أن يكونا متعاصرين، فقد يعارض شاعر في القرن العشرين شاعراً جاهلياً، وتوسع روح الخصومة على النطاق في حين لا نجد اثرًا للخصومة في المعارضة^(١).

أما السمخصات لمجي قصائد قاطا ابن عبد ربه القرطبي صاحب العقد في الزهد، مخصاً بها أشعاراً أخرى كان قد قاطا في شبابه في موضوع الغزل. ونوردها هنا لأن فريقاً من الباحثين عدّها من المعارضات، لكني نبتن وجهة نظرنا التي تخالفهم كما ستري.

ومما قاطا ابن عبد ربه في الغزل في شبابه^(٢):

هيات ياأسى عليك الله والقدر	هلاً ابتكرت لي أنت مبتكر
حتى رلى لي ليلك الریح والمطر	ما زلت أبكي حذارً الیج ملعباً
نیرأها بغلبيل الشوق تسعراً	یا برده من حیا فزك على كبد
حتى أراك فانت البشس والقمر	آليت أن لا أرى شياً ولا قبراً
	وقد مخصها ابن عبد ربه بقوله ^(٣) :
ماذا الذي بعد شيب الراس تنتظر	یا قادراً ^(٤) ليس يعلو حين يقتدر
عن الحقيقة واعلم أنها ستقر	عابن بلبلك أن العین خالفة

(١) تاريخ المعارضات: ١٤ - ١٦.

(٢) مطمح الألفس ومرح الناس في ملح أهل الأندلس: ٢٧١ - ٢٧٢ للفتح بن حبان، دراسة وتحليل: محمد علي شوايكة، ط ١، بيروت ١٩٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٥.

(٤) في المخلوة والبغية والمطر: باعاجز.

سواءً توفّر من غيظٍ إذا سعرت
لولا لم يكن لك غير الموتِ موعظةً
لظالمين فلا تلي ولا تذرُ
لكان فيه عن اللذات مزججراً
هنا ابتكورت ليس انت مبتكرُ

وقد ولّف فريق من الباحثين عند فضاء المحصّات والتفوقا على أنّها من أشعار المعارضة، كما قدمنا - ومنهم الدكتور أحمد هيكل - حينما قال: ((وقد عرف ابن عبد ربه بأشعار تسمى ((المحصّات)) وهي أشعار قالها بعد توبته في الشطر الأخير من حياته، وعارض بها أشعاراً كان قد قالها أيام فوّه))^(١). والمبح الدكتور إحسان عباس إلى ذلك عندما تكلم على ابن عبد ربه بقوله: ((فإنّ عرفنا أنه عارض كل قطعة قالها في صباه بقطعة من المحصّات، وجدنا كيف أنه ضاعف كمية شعره...))^(٢). وقسأل أيضاً: ((يتضح مني اشغال ابن عبد ربه بالمعارضة حتى إنه حين شيع من معارضة الآخرين أخذ يعارض نفسه بالمحصّات))^(٣). وتابعهما الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب بقوله: ((وقد يعارض الشاعر نفسه كما فعل أحد بن عبد ربه بعد أن تاب عن غوايته حين تقلعت به السن وغلبت عليه النزعة التي حصله على القول فيما عارض به شعر الصباة والهووى الذي سآه بالمحصّات))^(٤). ولم يحد عنهم الدكتور عمر فروخ في الخلط بين المعارضة والمحصّات بقوله: ((وأما زهده فليه تكلف كثير لأنه حاول أن ياتي بمعارضة في الزهد لكل مقطوعة في الغزل، كان قد قالها في صباه))^(٥).

إلا أنّنا لا نتفق مع ما ذهب إليه الباحثون الأفاضل بشأن إطلاق تسمية المعارضات على أشعار المحصّات، لأن الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) في الخذوة قد أطلق عليها تسمية المحصّات، عندما تكلم على ابن عبد ربه، فقال: له أشعار كثيرة جداً سآها بالمحصّات نقض كل قطعة قالها في الصباة والغزل بقطعة في المواعظ والزهد مخصّاً بها كالتوبة منها والندم عليه^(٦).

(١) الأدب الأندلسي من المنح إلى سقوط الخلافة: ٢٣١ هـ، أحمد هيكل.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة: ٦٩٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠١.

(٤) تاريخ الأدب العربي في الأندلس: ١٩٣ د. إبراهيم علي أبو الخشب، ط ١، القاهرة ١٩٦٦.

(٥) تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس: ٤ / ٢١١ د. عمر فروخ.

(٦) جدوة لقيس في ذكر ولاية الأندلس: ١٩٥، نج: محمد بن تازيت الطنجي، ط القاهرة ١٩٥٢.

كما أن الفتح بن خاقان (ت ٥٢٨هـ أو ٥٢٩هـ) من بعده أكد تسميتها بالمحصات عندما تكلم على ابن عبد ربه أيضاً في المصطلح، وقال: ((لمخص أشعاره في القول بما ينالها وليس من قواعدها وحقايقها، بأشعار في الزهد على أماريها وقوايها...))^(١).

ولا شك أن الحميدي والفتح بن خاقان هما أقرب إلى عصر ابن عبد ربه، ولو كانت المحصات من أشعار المعارضات لذكرها، ولا سيما أن لها ذوقاً قديماً كل في عصره، لذلك نرى أن التسمية الدقيقة لهذه الأشعار هي المحصات، ومن غير الجائز تسميتها بالمعارضات.

وإن قمنا لمصطلح المعارضة الشعرية بعضنا ما ذهبنا إليه، ولا سيما بأنه يفترض في أشعار المعارضات أن تكون بين شاعرين أو أكثر، بينما المحصات هي لشاعر واحد، وبذلك ينقص ركن مهم من أركان المعارضة الشعرية، فضلاً عن كون هدف المعارضة ليس نقض مضمون القصيدة الأولى، لأن هنا النقض لمعاني القصيدة، كقبيل إخراج هذه القصيدة عن دائرة المعارضة الشعرية إلى فن المناظرة، وإن كنا نعلم أن المناظرة تتم بين شاعرين أيضاً، وإن كنا نجد عدداً من شعراء المعارضة يرجع إلى نفي مضمون القصيدة، إلا أن هنا النفي سطحي لا يشبه النقض الذي نجده في المحصة لذلك تكون المحصة الصق بالقبضة منها إلى المعارضة.

أما أشعار المراجعات والمحايات الأندلسية فإن بينها وبين المعارضات وشائج تتخلل في اعتماد البحر والقافية والروي ووحدة الموضوع عند الشعراء، ويعرف الدكتور بدر متولي حميد هذه الأشعار أنها: ((نوع من الحرف الفني الأبي، أوحى به تلك البيئة وكثر فيها كثرة بالغاً، وبينه وبين المناقض القائل، لكل منهما أثر للبيئة التي انتشر فيها، وكل منهما رد على شاعر من وزله وقائمه، ولكن الموضوع مختلف تمام الاختلاف))^(٢).

وبصداق التضمين للمصادر الأندلسية القديمة ولا سيما، الذخيرة لابن بسام، والفلاذ والمصطلح للفتح بن خاقان، والخلة السبراء لابن الأبار، خصوصاً شعرة كثيرة من المراجعات والمحايات لكاد نعر على الحصر.

(١) مطبخ الأضن: ٢٧٥، دراسة وتحليل: محمد علي شويكات.

(٢) قضايا أندلسية: ١١٤، د. بدر متولي حميد، ط ١، القاهرة ١٩٦٤.

والصورة التي بدت لنا من خلال استقصائنا لهذه النصوص الشعرية من فصائد المراجعات والمخاريات، في مضامنها كشفت لنا أن هذه الأشعار تختلف تماماً عن المعارضات الشعرية، لأن هذه الفصائد أقرب إلى أشعار الأحمقيات، فضلاً عن ضعف القيمة الفنية لهما، فهي بذلك تختلف عن المعارضة الشعرية التي تقوم أساساً على القيمة الفنية بفضل اعتمادها على التفوق والإبداع، ولا نجد تفوقاً ولا إبداعاً في أشعار المراجعات والمخاريات، وإنما غاية المخاريات في معظم أحوالها هي المدح أو طلب لحضور مجلس^(١) وأشعارها تخلو من عمق المعنى، ويكون عرضها أيضاً المشاركة في الألم من تحسر على شباب، أو ضجر من مرض ويدعو الشاعر لصديقه بالفرج من تلك الغمة التي نزلت به.

ومن ذلك ما كتبه أبو عامر بن شهيد لصديقه أبي محمد علي بن حزم الشافعي في عهده التي احتلها هذه الآيات^(٢):

ولما رأيت العيشَ وأسى برأيه	وأيقنتُ أن الموتَ لا شكَّ لاحقي
صليتُ التي ساكنَ لسي غاية	بأعلى مهبةِ الريحِ في رأسي شاهقي
أفردُ سقيطَ الحبِّ في فضلِ عيشةٍ	وحيداً وحسي المساءِ تي المغالقي

ومن جواب ابن حزم له^(٣):

أبا عامر ناديتُ حلاً مصافيا	بقدريك من دهم الخطوبِ الطوارفي
وألقيتُ قلباً مخلصاً لك محضاً	بؤذك موصولِ الغزى والعلاقي
شدتُ بجلوها الإلهَ بلطفه	فلا تأسِ إنَّ الدهرَ جمُّ المضايقي

ومن أشعار المراجعات ما كتبه الوزير ابن عمدة عيون لأبي الحكم عمرو بن مذحج بآيات يقول فيها^(٤):

سلامٌ كما هبتَ من الحزنِ لفةً	تنفسُ قبل الفجرِ في وجهها الزهرُ
من الوارفِ الغنابِ وثنتُ برودةٍ	ذواغِ من السبيكِ، الثريا له شيرُ

(١) المصدر نفسه: ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) الذخيرة: ق ١ م ١: ٣٢٩.

(٣) المصدر نفسه: ق ١ م ١: ٣٣٠.

(٤) المصدر نفسه: ق ٢ م ٢: ٥٩٠.

والأية حزمية مذجية
تشتع عنها مذبح فأنهم عمرو
نراجعه أبو الحكم بأيات منه^(١):

أسي النظم كأنظم الذي تزدهي به
لخلت لنا منه بخلق رفة
نحسّر ذهني في مجازي صفاته
فلم أدر شعرًا ما به فئت أم سحرًا

إن نظرة متأنية إلى قصيدتي المحوية والمراجعة المتقدمين تجعلنا نقرر باطمئنان استبعاد مثل هذه القصائد عن موضوع دراستنا للمعارضات الشعرية، للأسباب التي أشرنا إليها فيما تقدم.

٤ - المعارضة في النشاط الثقافي والحضاري:

جاءت المعارضة في النشاط الثقافي والحضاري في الأندلس نتيجة لشدة تعلق الأندلسيين بالشرق، وقد وصف ابن بسام هذا التعلق بقوله: «ولأن أهل هذا الأقطر، أبوا إلا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أحوالهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قنادة، حتى لو نعت بملك الأتراك غراب، أو طنّ بالصبي الشام والعراق ذباب، لجنوا على هذا صنمًا، وتلوا ذلك كتابًا محكمًا...»^(٢).

وكان لهذه النزلة الكبيرة للمشرق وأهله في نفوس الأندلسيين أثرًا بارزًا، جعل المشاركة المسئلة الأعلى الذي على قراره يضربون وعلى منواله يسجدون، واتسمت المعارضة بشكل واضح في مرثع الحياة الأندلسية كافة، فضلًا عن المعارضة في الشعر الذي هو موضوع دراستنا، والتي ستعرض لها فيما بعد، وهي جزء من ظاهرة عامة اشتملت عليها الحياة الأندلسية.

وقد خلع النقاد الأندلسيون أسماء شعراء المشرق على شعرائهم لكثرة أخذ الشعراء الأندلسيين لقصائد المشاركة معنيًا ومبنيًا، فقالوا عن أبي الأحرص «عونة بن الصبية الكلابي» (عنترة الأندلس)^(٣) وكان فارسًا شجاعًا، وعن مؤمن بن سعيد (دعبل

(١) المظيرة: ج ٢ م ٢: ٥٩٠ - ٥٩١.

(٢) المصدر نفسه: ج ١ م ١٢: ١٢.

(٣) المغرب في حلى المغرب: ١/١٣١، لابن سعيد المغربي، نج: د. شوقي حنيف، ط ٢، القاهرة

الأندلس^(١) لأنه سيز في الهجاء حتى كان يهاجى شاعراً ويفرق عليهم^(٢)، وعن أحمد بن محمد الكندي (ديك الجن)^(٣) وكان يهاجى مؤمن بن سعيد، وعن أبي هاتن الأندلسي (مضى المغرب)^(٤)، وعن مروان بن عبد الرحمن النطليق قالوا: كان في بني أمية شبه عبد الله بن المعتز في بني العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه^(٥)، وعن يوسف بن حارون الرمادي قالوا: (فتح الشعر بكثرة ورحم بكثرة)^(٦)، وأبي الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأصبهاني كانوا يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه^(٧)، وعن أبي عبد الله بن عمير (بحري الأندلس)^(٨)، ولقبوا ابن دراج وأبا طالب عبد الجبار بالمتقي^(٩)، وحيدة بنت زياد بد (حساء المغرب)^(١٠)، وابن زيدون (بحري المغرب)^(١١)، وابن اللبابة بد (سؤال الشعراء)^(١٢)، وأبي الربيع سليمان بن علي بد (كثير)^(١٣)، وابن خفاححة (مستوري الأندلس)^(١٤)، ولقبوا أبا العباس أحمد بن عبد الله النطلي الأعمى (معري الأندلس)^(١٥) ويرى كراتشكوفسكي أن الصلة بينهما هي العمى حسب^(١٦)،

(١) المصدر نفسه: ١ / ١٣٣.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة: ١٧٣.

(٣) المغرب في حلى المغرب: ٢ / ٥٨.

(٤) تاريخ النقد العربي في الأندلس: ٤٢ د. محمد رضوان الفايذ ط ١، بيروت - ١٩٨٠.

(٥) تلح الطبيب، طبعة هي الدين عبد الحميد: ١٢٤ / ٥.

(٦) جلوة المتقي في ذكر ولاية الأندلس: ٣٤٦.

(٧) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٤٤.

(٨) رايات السيرين وغايات السيرين: ١١١، نجح د. عثمان عبد المنعال القاضي، القاهرة ١٩٧٣.

(٩) ينظر: أبو طالب بن عبد الجبار في اللخرة: ج ١ م ٢٤ - ٢٤، وابن دراج في: الفتح، وفي التيمة:

١٨٤ / ٤.

(١٠) المغرب في حلى المغرب: ٢ / ١٤٥.

(١١) تلح الطبيب: ٣ / ١٧٧.

(١٢) المغرب في حلى المغرب: ٢ / ٤١١.

(١٣) رايات السيرين: ٤٩.

(١٤) أدب المغاربة والأندلسيين في التصوف المصرية وتصوف العربية: ١٣، محمد رضا الشيبني:

القاهرة ١٩٦١.

(١٥) رايات السيرين: ١٢٤.

(١٦) دراسات في تاريخ الأدب المغربي: ٨٥ كراتشكوفسكي، موسكو ١٩٦٥.

ولقبوا بها عبد الله محمد بن غالب الزحالي (ابن الرومي) ^(١)، وأبا بكر الخرومي (بشار) ^(٢)، ولم تقتصر هذه الألقاب المشرقية على الشعراء الأندلسيين، بل تعدت إلى غيرهم من العلماء والأدباء فقالوا عن ابن طفيل: (ابن سينا الأندلسي)، وعن ابن عبد البر (حافظ المغرب)، كما قيل للخطيب البغدادي (حافظ المشرق) ^(٣)، ولقب الكاتب عبد بن سعيد الزحالي بـ(الأصمعي) ^(٤).

والمعارضة ماثلة أمامنا في النثر الأندلسي أيضاً، وفي ضروبه المختلفة، وقد وضع الأدباء الأندلسيون المصنفات معارضة بها المشارقة، وهذا ابن عبد ربه ألف كتاب ((العقد)) محاكياً ابن قتيبة في ((عيون الأخبار)) ^(٥)، وابن بسام في ((الذخيرة)) يحاكي السعالي في ((نصيحة الدهر)) ^(٦)، ويشير أحد الباحثين ^(٧) إلى أن الأدباء والكتاب في الأندلس كان شائعاً عندهم في عصر السرقسطي (ت ٤٢٨ هـ) أن يشتموا رسائل ومقالات وكتباً في معارضة المعري في نثره وخاصة ويظل مولف أبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي المازني السرقسطي، من نثر المعري غريباً، لأنه قلده في لزوم مالا يلزم، وأغرق أسلوبه بتعقيدات كثيرة، فهو إلى هذا اللزوم بنى بعض مقاماته على طرائق أكثر تعقيداً ^(٨).

ووضع ابن عبد الغفور الكلاعي، ثلاثة كتب في معارضة أبي العلاء المعري أوجها: المساحة والغريب: ألفه لمعارضة أبي العلاء في كتابه ((المصاعل والشاحج)) ^(٩). وثانيتها ((الصحح السلطاني في معارضة أبي العلاء))، ولأبي العلاء كتاب هذا العنوان أيضاً.

(١) المغرب في حلل المغرب: ٢ / ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٣٤٣.

(٣) كتب المغاربة والأندلسيين: ١٤.

(٤) الطبع: ٥ / ٨٢.

(٥) العقد الفريد، الجزء الأول، مقدمة المحققين ص: (ج).

(٦) الذخيرة: ق ١ م ١٦: ٣٦.

(٧) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ١٣٥٧، ونظر: المقامات الخرومية، نج ٤، بدر أحمد صيف، ط

الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨٢.

(٨) أحكام صفة الكلام لأبي القاسم الكلاعي: ٢٦، نج: د. محمد رضوان العايد، ط بيروت ١٩٦٧.

(٩) المصدر نفسه: ٥٦٦.

ونالهما: خطة الإصلاح، عارض فيها خطة التصحيح للمعري أيضاً^(١).

وألّف أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني ((كتاب الحدائق)) معارضاً لـ ((كتاب الزهرة)) للأصبهاني^(٢) للحكم المستصر (ت ٥٣٦٦هـ)، لأنّ الأصبهاني ذكر مائة باب، في كل باب مائة بيت، وأورد الجياني مائتي باب في كل باب مائتي بيت ليس منها باب تكرر اسمه للأصبهاني، ولم يورد فيه لغبر أندلسي شيئاً^(٣)، والجياني في مؤلفه هذا يكون قد جاء بضعف ما جاء به الأصبهاني، مماولاً اظهار تفوق الأندلسيون على المشاركة.

وألّف أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي كتاب ((الحديقة)) محاكياً فيه الشعالي في ((شجرة الدر))^(٤)، وألّف الطرطوشي كتاباً عارض به إحياء علوم الدين للغزالي^(٥)، وألّف أبو عبد الله بن أبي الخصال كتاب ((المنهج)) عارض به كتاب الشعالي ((المنهج))^(٦)، وألّف ابن زيدون كتاباً في تأريخ خلفاء بني أمية في الأندلس، ساء التبيين على منزع التبيين في خلفاء المشرق للمسعودي^(٧)، ولابن شرف القيرواني كتاب ((الزمان)) عارض به كتاب ((كلىة ودمنة))^(٨).

وقد اعتم الحكم المستصر بالمختارات الأديبة، ووجه عناية نافذة في تطلعه إلى معارضة المشاركة في فنون التأليف والأدب، وقد قام عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار على عهده بجمع أشعار الخلفاء من بني أمية في المشرق والأندلس وجعل منها كتاباً على غرار الأوراق للصولي^(٩).

ووضع أبو القاسم عامر بن هشام الأموي القرطبي مقصورة عارض بها مقصورة

(١) المصدر نفسه: ٢٨.

(٢) المذخرة في ١ م ١: ١٢.

(٣) المطرب في أشعار أهل المغرب: ٥ لابن دحية، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤.

(٤) وفيات الأعيان: ١ / ١١٢ لابن حلكان.

(٥) بغية المصنف في ذكر ولاية الأندلس: ١٢٥.

(٦) فهرسة ابن حجر الإشبيلي: ٢٨٩، ط ١، بيروت ١٩٦٣.

(٧) نفع الطبيب: ٢ / ١٢٢.

(٨) المطرب في أشعار أهل المغرب: ٦٧.

(٩) جنوة المقتبس: ١٢٥٢، ويظر: تاروت النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس: ٧٤.

ابن دريد^(١٦)، وحسب الشاعر يوسف بن هارون الرمادي في السجن كتاباً سماه كتاب الطير في أجزاء وكله من شعره، وصف فيه كل طائر معروف، وذكر خواصه، ودبّل كل قطعة بندج ولي العهد هشام بن الحكم مستشفحاً به إلى أبيه لإطلاق سراحه، وهو كتاب يصفه الحميدي بأنه ((مليح سبق إليه))^(١٧)، وعبارة الحميدي توحي بوجود نظير مشرفي للكتاب، هذا الرمادي حنوه.

ووضع ابن شهيد ((حانوت عطار)) ولا تعلم عنه شيئاً، غير أنه كتاب ضائع للمحافظ ربما عارضه ابن شهيد^(١٨)، وألف ابن الإقبلي الزاهد كتاباً سماه: ((الحجم من كلام سيد العرب والعجم)) عارض به ((الشهاب القضاة))^(١٩)، وألف المظفر بن الأنطس (٤٣٧ - ٤٦١ هـ) صاحب بطليموس كتاب ((المظفر)) عارض به ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة، قال البراكشي في ((المعجب)) وقتت على أكثره^(٢٠).

وألف المحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي كتاباً سماه ((جهنم المصيح)) في معارضة المعري في خطبة المصيح، ثم عارضه في كتاب آخر سماه ((مفارقة القلب العليل ومناجاة الأمل الطويل بطريفة المعري في ملقي السبيل))^(٢١)، - وألف الرضاوي المحدث كتاباً سماه ((القباس الأثوار)) وقد عارض به كتاب ((الأنساب)) للسمعاني^(٢٢).

ونفضلاً عن هذه المصنفات الكثيرة التي عارض بها الأندلسيون المشاركة، فقد عني الأندلسيون بمعارضة مقامات المشاركة أيضاً، ويشير الدكتور إحسان عيسى إلى أن مقامات بديع الزمان ورسائله وصلت الأندلس في عصر سيادة قرطبة، وكان من أول المستنبلين لها الناسجون عيسى متوالفاً، ابن شهيد، وأكثر ما أعجبه فيها تلك القطع

(١) برنامج شيوخ الرعي: ١٩٧، نج: إبراهيم شوح، دمشق ١٩٦٢.

(٢) جلوة المقيس: ١٣٧٢ وينظر: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس: ٧٤.

(٣) ابن شهيد الأندلسي: ٩٦-٩٧ حياته وآثاره، شارل بلا، بيروت ١٩٦٥.

(٤) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ٦ / ١٢١٣ وينظر: الاتجاه الإسلامي: ١٧٢.

(٥) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ١٢٨، عبد الواحد البراكشي، نج: محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣.

(٦) الانحصار لمن عدل حسن الاستيعاب لابن السيد بطليموس، المقدمة، ص: ٣، نج: حامد عبد الهيد، القاهرة ١٣١٩ هـ. نقلاً عن تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس المغربي: ٣٤.

(٧) أدب المغاربة والأندلسيون: ١٢.

الوصفية، ولذلك أنشأ على مناقها قطعاً في وصف الماء والبرقوت والحلوى^(١).
 كما عارض أبو العفيرة ابن حزم رسالة لبدیع الزمان في الغلام الذي خطب إليه
 وقد بعد أن عذر تعارضها بأخرى^(٢).

ولقد حظيت مقامات الحريري باهتمام كبير لدى الأندلسيين فاق اهتمامهم
 بمقامات بدیع الزمان، ولعل سر ذلك يرجع إلى الصلة بين الأندلسيين والحريري، فقد
 وجد منهم من سمع من مقامته^(٣)، ويشير أحد الباحثين إلى أن الأندلسيين انصروا إليها
 بالمدايسة والسرماية والشرح والمعارضة، ونشا فيهم ذكرها حتى قال ابن سعيد عنها:
 ((لها شركت وغربت حتى صار ابتاعها عبيها))^(٤).

وممن عارض الحريري في مقاماته من الأندلسيين ابن شرف القيرواني، وقد أورد
 ابن بسام في الذخيرة طرفاً من أحباره وآثاره وقال: ((لأن شرف مقامات علو ما
 السديع في بابها، وصبب فيها على قلبه، منها مقامة فيها بعض طول، لكنه غير معلول،
 أخذة بطرف مستطرف من أحبار الأديباء، وذكر شعراء))^(٥)، وفيها عرض للشعراء
 المشاركة الجاهليين والإسلاميين وأصدر في حاشيتها أحكاماً نقدية لشعراء أندلسيين وهم:
 ابن عبد ربه القرطبي، ومحمد بن هاني الأندلسي، والقسطلي^(٦) وله مقامات أخرى في
 مسائل عامة^(٧).

كما عمل الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز البعلبي، مقامات أندلسية عارض ما
 المقامات المشرقية التي عملها الحريري والمسداني^(٨)، ويشير أحد الباحثين^(٩) إلى أن
 المقامات التي عارض ما أصحلتها لبدیع والحريري كثيرة، وبعضها مجموع في كتاب مثل

(١) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والبرابطين: ٢٠٢.

(٢) الذخيرة: ق ١ م ١: ١٤٠.

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والبرابطين: ٢٠٢.

(٤) تساريخ البغد الأديبي في الأندلس: ٢١٧ د. محمد رضوان الداية، نقلاً عن: البرقيات والمنظومات
 لابن سعيد، نج: دار محمد وهيب، بيروت ١٩٧٢.

(٥) الذخيرة: ق ٤ م ١: ١٩٦ - ١٩٧.

(٦) المصدر نفسه: ق ٤ م ١: ١٩٨ - ٢١١.

(٧) المصدر نفسه: ق ٤ م ١: ٢١٢.

(٨) الذخيرة: ق ٢ م ١: ١١٣ - ١٢٠.

(٩) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٢١٨.

((المقامات المزومية)) للسرقسطي الأشركوني.

وعمل الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال مقامات في معارضة الحريري ومقامة ابن أبي الخصال بطلها الحارث بن الهمام وصاحبه المتكبر أبو زيد السروجي، ومن الملاحظ على معارضة ابن أبي الخصال أنه لم يغر فيها إلا حين اللذين اجرامها الحريري في مقاماته^(١١).

كما التزم السرقسطي خطي الحريري في المقامة فألّف حسين مقامة عارض بها الحريري حتى من الناحية العددية، إلا أنها كانت على طريقة أبي العلاء، فقد تأثر بطبيعة سجعها إذ بناها على لزوم مالا يلزم^(١٢).

وعمل المتح بن حلاقن مقامة على ابن محمد البيطليوسي، تسمى ((القرطبية))، وهي على نسج المشرقية في أن يطلبها التحليل يحمل اسم ((علي بن هشام))^(١٣).

ولم تقتصر معارضة الأندلسيين للمشارقة، بل لاحظناها فيما بينهم أيضاً، ولاسيما معارضة أبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بحبيب صاحب كتاب ((البدع في فصل الربيع)) لابن برد الأصغر في رسالة الربيع التي وردت إلى حبيب من ابن برد فتكلم إليه حبيب رسالة في الربيع عارضه فيها، وقد أشار ابن بسام إلى هذه المعارضة بقوله: ((ووجدت لأبي الوليد هذا رسالة عارض بها أبا حفص بن برد في رسالته في تقديم الورود على سائر الأزهار...))^(١٤).

وانتمت المعارضة في الأندلس بالسمة الحضارية، فقد استعار الأندلسيون أسماء الحواضر المشرقية، وعرّفنا نسج الحواضر الأندلسية بأسماء مصرية، تشبهاً بتلك الحواضر، فشبهاوا ((شيلية بحمص، وفلس بغاناد، وأحفتوا بلغة أسوها البصرة تشبهاً لها ببصرة العراق))^(١٥)، وشربش فلسطين، وجيات فسنين^(١٦)، وغرناطة دمشق. ويحدثنا ابن سعيد

(١) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطون: ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢١٧.

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطون: ٢١٤.

(٤) الذخيرة: ق ١ م ١: ١٢٧.

(٥) أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية وأصوبه العربية: ١٢.

(٦) المغرب في الأندلس: ١٢٧ جورج غريب، سلسلة الموسوع في الأدب العربي رقم (٢١)، نشر

وتوزيع دار الثقافة، بيروت - لبنان (د. ت).

المصري^(١) عن سبب تسميتها يقول: ((وأنا لأول إنها سميت دمشق الأندلس، أحسن من دمشق، لأن مدينتها مطلة على بسطها متمكنة في الإقليم الرابع المعتدل، مكشوفة للهواء من جهة الشمال، مياهها تنصب إليها من قوب الثلج... لا يأخذها وصف ولا ينصف في ذكرها إلا الرواية))، وتابعة المصري^(٢) في قبح الطيب، وبين سبب تسميته قرطبة دمشق.

وقد حرص عبد الرحمن الداخل أن يجعل من قرطبة صورة أخرى لدمشق في مبانيها وحدائقها والنفوس مياهها وأزهارها، حتى إنه كان يرسل رسله إلى الشام يطلب أشجار الفاكية إلى قرطبة^(٣).

وأشار أحد الباحثين^(٤) إلى أن المعارضة ظهرت عند ملوك الطوائف فأخذوا يفتقدون خلفاء بني العباس في المشرق، فنلقوا بالفاطميين، مقتفين أثر بعض أسلافهم في عهود الخلافة في الأندلس، فصرنا نسمع بالمنصور، والمستعين، والمؤيد، والمستظهر، والمعتمد، وهذه الألقاب كانت لا تعني في كثير من الأحيان إلا التشبه بأعلام المشرق مع ذهاب الوصف الصحيح عنها، لذلك ضايق الناس ذراعاً من هذه الألقاب، ونقموا على الأندلس التي بلغت حد التخاذل أما الأعداء وملوكها يرفلون بالتعظيم، وقد صور هذه قول ابن رشيق الذي تقدم ذكره^(٥)، وهكذا بدت لنا واضحة روح المعارضة عند الأندلسيين للمشاركة في حل حياتهم.

٥ - دواعي المعارضة:

لسانة المعارضة الشعرية في الأندلس؟ هذا سؤال قدم جديد أردنا الإجابة عليه في هذا البحث، والوصول إلى إجابة مقنعة، علينا أن نقف على الدواعي الحقيقية التي جعلت من المعارضة الشعرية الأندلسية ظاهرة تستحق الدراسة.

ولسنا البحث أن هذه الدواعي تنحرف إلى مفرقين منها ما هو عام ومنها ما هو

(١) المغرب في حلى المغرب: ٢ / ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) قبح الطيب: ١ / ١٤٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ١١٥ وينظر: دراسات في الأدب الأندلسي: ١٥ د. ساسي مكلي العاني.

(٤) ينظر: بحث جبرائيل (المحمد الملك الشاعر)، مجلة الأبحاث البيروتية، ٢ / ١١٧، السنة (١٦٦).

حزيران ١٩٦٣.

(٥) ينظر: بحثنا: ص ٩.

خاص، أما العام منها، فهو ما اتخذ طابعاً جماعياً شارك فيه الأندلسيون المعيون بالشعر الأندلسي والمشرقي معاً، ووجدنا أن الدواعي العامة عند الأندلسيين كمثل في تزعين متميزين.

الأولى: نزعة الإعجاب والتقليد.

الثانية: نزعة التفوق والإبداع.

وسنعرض لهاتين التزعين في موضعيهما، أما الدواعي الخاصة فقد اتخذت طابعاً فردياً وعينت بالشعر الأندلسي والمشرقي معاً، كما سنرى.

٩ - الدواعي العامة:

أ - نزعة الإعجاب والتقليد:

استلطف الباحثون في النظر إلى هذه النزعة، فمنهم من رأى في أوجه التشابه بين الشعرين الأندلسي والمشرقي مجرد تقليد ومحاكاة، متبعين أقوال الأندلسيين أنفسهم في هذا المضمار، فذا ابن بسام يقول: ((إن أهل هذا الألفق أتوا لأمتابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتمدة، رجوع الحديث إلى فتاة، حتى لو نعت بتلك الألفاق غراب، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنعاً وتلوا ذلك كتاباً هكماً))^(١).

ومعنى قول ابن بسام أن أهل الأندلس يقلدون أهل المشرق في كل شيء حتى بلغ الأمر بهم درجة التقليد الأعمى، لأنهم يرونهم المثل الأعلى.

وقد جرى الأستاذ أحمد أمين ابن بسام في رأيه هذا بقوله: ((وأياً ما كان، فشعراء الأندلس في نظرنا لم يفلحوا كثيراً في استغلالهم عن الشرق، وابتكارهم، وتجديدهم كما لم يفلح في ذلك اللغويون والنحويون والصرفيون، ولذلك لو أنفضنا أعيننا وجهلنا قائل القصيدة: أهو شرقي أم أندلسي، لم نكده نحكم حكماً صحيحاً جازماً على الشاعر أفريقي هو أم شرقي، ولذلك كثيراً ما تنسب بعض الأبيات إلى أندلسي، ونسبها بعينها بعضهم إلى مشرقي لعدم التميز الواضح، حتى عند الخبراء ... ولو كانت شخصية الأندلسي واضحة في شعر أهلها، لصعب نسبة أبيات أندلسية إلى شاعر شرقي))^(٢).

(١) الذخيرة: ج ١ م ١: ١٦.

(٢) ظهير الإسلام: ٣ / ١٠٤ - ١٠٥، أحمد أمين، ط ٥، مصر ١٩٤٢.

ولو تبعنا القائلين^(١) بتقليد الأندلسيين للمشرق لوجدنا عدداً كبيراً منهم قد وافق الأستاذ أحمد أمين في رأيه، ولعل ما يعزز شككهم بهذا الرأي هو تصريح اعلام الأندلسيين أنفسهم بذلك، قبلنا ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) يقول: ((ولقد عرض لي في الصبا محرر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة وهو لا يلبث أن يضمحل لم يعود، فلما كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعراً بديهاً حتمت كل بيت منه بقسم من قصيدة طرفة بن العبد المحلقة... وهي:

تذكرتُ وداً للحبيبِ كأنه ((خولة أطلالٌ برفقة لبعده))
وعهدي بهدي كأن لي منه ثابتاً ((يلوخ كياقي الوشم في ظاهر اليد))
وقفتُ به لا موقناً برجوعه ((ولا آيساً أبكي وأبكي إلى الغد))
إني أن أطل الناسَ عذلي وأكثروا ((يقولون لا تهلك أسأ وتجلد))^(٢)

فعملية تضمين ابن حزم لأبيات طرفة بن العبد من قصيدته ما هي إلا تقليد للمشاركة، وابن حديس (ت ٥٢٧ هـ) يشير في ديوانه صراحةً أيضاً إلى تقليده لهذا المذهب أبي نواس في موقفه الرافض للكاء على الأطلال في مطالع القصيدة العربية، ويفضل الاجتهاد بوصف الخمر، فيقول:

خلعتُ على بُنياتِ الكسروم محاسن ما خلِفنَ عليّ الرسوم
أخذتُ بمذهبِ الحكميِّ فيها وكيف أسيلُ عن فوضى الحكيم
وما فضل الظلورُ على شُمورِ صبجُ المسك في نفسِ التميم

(١) بلاغة العرب في الأندلس: ٣٥ د. أحمد ضيف، القاهرة ١٩٦٤، الأدب الأندلسي: ١٠٣ أحمد سلا فريخ، عبد الحليل خليفة، شعر الأندلسي: ٧٦ - ٧٧، غريبة فومس، ط ٤٩، القاهرة ١٩٥٩، فضيلة أنفلسية: ٤٥ د. بدر متولي حميد، أدباء العرب في الأندلس وعصر الأبحاث: ٤٠ بطرس البستاني، ط ٦، بيروت ١٩٦٨، الفن ومطابعه في الشعر العربي: ٤١٧ د. حوقي ضيف، ط ٧، القاهرة ١٩٦٩، دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، د. سعد إسماعيل شلي، ١٩٦٥، ط ١، القاهرة ١٩٧٣، الطبعة في الشعر الأندلسي: ١٦، جودت الركابي، دمشق ١٩٧٠، بحث د. علي الزبيدي، (شخصية الأدب الأندلسي: ١١٠) المنشور في مجلة الجامعة المستنصرية، ج (٥)، لسة (٢) ١٩٧١، تاريخ الأدب العربي: ٤ / ١٩٧ د. عمر فروخ، بيروت ١٩٨١.

(٢) طسوق الحسانة في الألفه والألوف: ١٠٠ لابن حزم، ضبطه د. الطاهر أحمد دكي، ط ١، مصر ١٩٧٥.

يُجَدِّدُ حَيْثَا فِي كُلِّ قَلْبٍ إِذَا صَلَّاهُ مِنْ صَلَاةِ الْمُحْتَمِمْ^(١)

وليس خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) اعتمد تقليد عبد الرحمن الثوري في مواضع متعددة من قصائد الديوان منها قوله: يغزل في طريقة عبد الرحمن الثوري:

يَا نَهْزَةَ النَّفْسِ يَا مَنَاهَا يَا فَرَّةَ الْعَيْنِ يَا كَرَاهَا
أَمَا تَرَى لِي رِضَاكَ أَهْلًا وَهَذِهِ حَالَتِي تَرَاهَا
فَأَسْتَدْرِكُ التَّضَلُّلَ يَا أَيْدَا فِي رِيسِ النَّفْسِ يَا أَخَاهَا
قَسَمْتُ قَلْبًا وَلَسْتُ عَظْفًا وَعَقَّبْتُ مِنْ هَوَاةٍ نَوَاهَا^(٢)

وقد ابن خفاجة ابن الرومي^(٣) في ذمّه للورد، فضلاً عن تقليده طريقة مبيار الدلسي في ذكر نجد ومواضعها ومنها قوله:

وَهَلْ عِنْدَ نَجْدٍ أَنْ عِنْدِي أَدْعَا تَصُوبُ وَشَجْوًا يَسْنَهُنَّ يَطْرُقُ
فِيَا حَلِيمَ نَجْدٍ تَهَامَةً وَنَجْدٌ وَوَحْدٌ لَلسُّرَى وَذُ مِيلُ
وَيَا رَجْمَ نَجْدٍ وَالْعَوَادِي كَثِيرَةً بِحُكْمِ اللَّيَالِي وَالرِّفَاءِ قَلِيلُ^(٤)

وأشار الدكتور عبد العزيز حقيق^(٥) إلى أن الغالين يدعوى التقليد قد استندوا إلى عدة مسلمات لاحظوها في الأدب الأندلسي أهمها:

- ١ - المعارضة في النشاط الثقافي والتي أشرنا إليها آنفاً، نحو تقليب الأندلسيين أنفسهم بأسماء مشرقية، على نحو ما أشرنا إليه سابقاً^(٦).
- ٢ - التطاق التام أحياناً بين الشاعر الأندلسي والمشرقي في طريقة النظم، كالنطاق الحاصل بين قصيدتي أبي نواس وبهي بن الحكم الغزالي وقصيدة أبي نواس مطلعها:

(١) ديوان أحمد بن حنبل، نج، د، إحصان عباس، القصيدة رقم (٢٨٣)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.

(٢) ديوان ابن خفاجة، القصيدة (١٧)، نج، د، السيد مصطفى غازي، مصر، ١٩٦٠، ونظر: قصائد أخرى في الديوان: ٢٥، ١٤٧، ١٥٨، ١٨٩.

(٣) ديوان: القصيدة (٦٣).

(٤) ديوان: القصيدة (٢٣٣).

(٥) الأدب العربي في الأندلس: ١٦٠ - ١٦٤، د. عبد العزيز حقيق، ط ٢، بيروت ١٩٧٦.

(٦) ينظر الفصل الأول: ٤٨ - ٥٠.

لقد طالَ في رسم الديار بكاتي وقد طالَ تردادي بها وعالي^(١)

أما قصيدة يحيى بن الحكم الغزال المستهبة بقوله:

ولما رأيت المشرب أكذبتْ معاوهم تأبظتْ فيني واحسبتْ عذاتي^(٢)

وقد مرَّ بنا هذا التطبيق فيما تقدم حينما أورد ابن دحية^(٣) أشاد الغزال هذه القصيدة وادعاه بأنها لأبي نواس في مجلس من مجالس الخمر في بغداد.

٣ - محاكاة الشاعر الأندلسي لصفوة المشرق في السجع على متوالة في موضوع واحد، ووزن واحد، وقافية واحدة، فهارون الرشيد مثلاً يقول في حواريه قصيدة مطلعها:

فَلَمَّا التَّالَمْتُ الأَسْبَاتِ عَنَّاي وَخَلَّلَنْ مَسْنِ لَنبِي بِكَلِّ مَكَانِ^(٤)

ويأتي سليمان بن المستعين الأموي (ت ٤٠٣ - ٤٠٧ هـ) فيعارض الرشيد بقصيدته التي مطلعها:

عَجِباً يَهَابُ اللَّيْثُ خَدَّ سَنَانِي وَأَهَابُ خَطِّ فَوَاتِرِ الأَجْبَانِ^(٥)

ويرى أحد الباحثين: ((أن هذه الاختبارات وأمثالها هي التي دعت بعض مؤرخي الأدب العربي إلى القول بالتقليد في الشعر الأندلسي، وعدم وضوح الشخصية الأندلسية فيه، وبالتالي بقي صفة الاستقلال الذاتي منه))^(٦).

لأ أننا لا يمكننا أن نسلم هذه الدعوى ولأصحابها لأنها تحاول طمس معالم شخصية الشعر الأندلسي، لذلك قام عدد من الباحثين لينظر إلى مسألة التقليد نظرة أكثر واقعية وموضوعية ومنهم الباحثان أبو القاسم محمد كزُّو وعبد الله شريط لقالا: ((إن من ضعب النظر الحديث عن تقليد المغرب للمشرق، وهو حديث أقامض فيه القدماء والمعاصرون من مؤرخي الأدب العربي، حين رأوا في أوجه التشابه هذه مجرد تقليد ومحاكاة...)).

أما المعاصرون فقد ساروا على هذا السوال، فقلدوا القدماء وقالوا بقولهم ولم

(١) ديوان أبي نواس: ٢٥٨.

(٢) نقيح الطيب: ٢ / ٢٦٠ - ٢٦١.

(٣) المطربة: ١٤٧ - ١٤٨.

(٤) الذخيرة: ق ١ م ١: ٤٧ والنظرة الشعرية (٣) أبيات.

(٥) الذخيرة: ٤٧ - ٤٨ والنظرة الشعرية (١٠) أبيات.

(٦) الأدب العربي في الأندلس: ١٦٦ د. عبد العزيز عتيق.

يحاولوا أن يبحثوا القضية في ضوء طرق التحليل العلمي الحديث...»^(١)

وقريب من هذا براء الدكتور احسان عباس: ((... وليس من السهل أن يقال أن الشركة في الموضوع تدل على تقليد أو محاكاة لأن مواد الحياة في طور حضاري ما قد تكون متشابهة وهي التي تصنع الموضوع الشعري، ولكن حين نجد التشابه في الشكل والطريقة وحين تكثر المعارضة أو السرد، وحين تستغل الصور نفسها في الموضوع الواحد، فحينئذ يمكننا القول بالتقليد والمحاكاة...))^(٢)، ويلفتي مع الدكتور عبد العزيز عتيق في هذا الرأي^(٣).

وقد نظر الدكتور حازم عبد الله باعتدال إلى مرحلة التقليد ووجدانه نظرة لا بد أن يحوّسها الأديب المبدئ لينقل إلى مرحلة أكثر نضجاً، عرضت بالتجديد فهو يقول: ((التقليد... ظاهرة عامة ولازمة للأدب بحيث لو حاول أحد الشعراء أن يكون مبدعاً في فترة التقليد هذه لما أمكنه ذلك لأنه لا يملك من الطبع والقابلية ما يعينه على التجديد، فلا لكاد نجد طبقة من شعراء الأندلس تصل إلى درجة طبقة الفحول كالمثني وأبي تمام وابن الرومي وأبي نواس...))^(٤).

وهذه نظرة منطقية جاءت متسجمة مع الواقع، تحمل في ثناياها روح الدفاع عن بداية التقليد في الشعر الأندلسي.

لأنني أرى أن هناك حالة من الإعجاب بعمل شعري معين نخامر الشاعر أولاً ثم ينتقل بعد ذلك إلى التقليد، فالشاعر الأندلسي يطلع على أشعار غيره سواء أكانوا مشرقين أم أندلسيين بوسائل الاطلاع المعروفة - المتمثلة بالرحلات العلمية - من الأندلس والسيبا، أو ما نقله الرحالة، من آثار شعرية مشرقية مهمة - فاطلاع الشعراء الأندلسيين على هذه الآثار الأدبية القيمة، أدى إلى إعجابهم بها إعجاباً كبيراً، ومن ثم أولوها حل اهتمامهم دراسة وتحليلاً ومعارضة.

ولا بد من الإشارة إلى نحو الدوق عند الأندلسيين من خلال تفوقهم لغير الشعر المشرقي، فلم تأت المعارضة إلا نتيجة ثقافة أدبية وثقافية واسعة، تحلّى بها الأندلسيون

(١) شخصيات أدبية من المشرق والمغرب: ١٤٨.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة المرطبة: ١٢٥.

(٣) الأدب العربي في الأندلس: ١٦٤ - ١٦٥.

(٤) ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: ١٢٨. د. حازم عبد الله حطير.

من خلال اختيارهم لأروع القصائد المشرقية للنسخ على متواليها، وقد أشار الدكتور محسن جمال الدين إلى هذه الناحية بقوله: «وتحق إذاً أخلصنا النظر في نواوين شعراء الأندلس وفي البقايا من أشعارهم ممن تضمنها المصاحب والكتب الأدبية وجدنا أن أبناء تلك البلاد ممن هجرتهم رواتج أهل المشرق قد عارضوها»^(١).

ولتقسي هنا مع الأستاذ الباحث في أن أساس المعارضة الشعرية هو الانبهار والإعجاب، وليس من شك أن الانبهار والإعجاب لا يتأبان إلا للرائع والجميل بالنسبة للحياة فكيف الحال بالنسبة لروائع الشعر العربي؟

وبيناً أن للقصيدة العربية المشرقية وقعاً كبيراً في النفوس الأندلسية وبالأخص القصيدة الجاهلية التي قال عنها الدكتور يوسف حسين بكار: «إن القصيدة الجاهلية كادت لتكون المقياس الوحيد والأنموذج الأمثل الذي اتخذته النقاد والبعث في كلامهم على القصيدة وبنائها من ناحية، وفي أحكامهم على الشعر والشعراء في مختلف العصور من ناحية أخرى إذ لم يكتب معظم النقاد بتفضيل القصيدة، بل راحوا يدعون إلى الائتواء بسجع القصيدة الجاهلية»^(٢).

وقد نقلت لنا المصادر الأندلسية ولا سيما ذخيرة ابن بسام التواتر من تأثر الأندلسيين بالشعر الجاهلي ومعارضتهم له، وبخاصة في رسالة التوايح والزواج التي ألفها أبو عامر بن شهيد الأندلسي (ت ٤٢١ هـ) وفيها يشير إلى أنه اتصل بتوايح الشعراء والفحول المعروفين في الجاهلية وكان ممن اتصل بهم طرفة بن العبد، وقيس بن الخطيم وامرؤ القيس وعارضهم بقصائد على غرار قصائدهم.

إلا أن هذه المعارضات لم تأت على سط واحد بل جاءت على سطوين، منها المعارضة التامة والناقصة، وحققت معارضة ابن شهيد لطرفة في اللفظ والمعنى^(٣)، إلا أن حركة الروي قد اختلفت بين القصيدتين، فقصيدة طرفة رويها مضموم في حين قصيدة ابن شهيد رويها مكسور فقال طرفة بن العبد:

(١) بحث د. محسن جمال الدين «معالم شعرية لنتي في الأندلس»: ٩٢، مجلة المورد العراقية، بغداد ١ / ٣ / ١٩٧٧.

(٢) بسناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث): ٢٨ د. يوسف حسين بكار، ط ٢، بيروت ١٩٨٣.

(٣) ابن شهيد حياته وأدبه: ١١٢.

لهند، بحزان الشريف، طولول^(١) تلوح، وأدنى عهدهن مهيل^(٢)
 وقال ابن شهيد معارضاً في قصيدة مطلعها:
 أَمِنَ رَسْمِ دَارِ الْعَقِيْبِ مَهِيْلٍ
 ولما هبطنا الغيثُ تَدْعُرُ وَحِشَهُ عَلَى كَلِّ حَوَارِ الْعَنَانِ أَسِيْلٍ^(٣)
 والطريقة التي سلكها ابن شهيد نفسها مع طرفه، حيث إنه عارض قصيدة قيس بن
 الخطيم معارضة تامة ومطلعها:
 تَذَكَّرَ لِيْلِي حَسْبَهَا وَصَفَاءَهَا وَبَاتَتْ فَأَمْسَى مَا يَبَالُ نَقَاءَهَا^(٤)
 ومعارضها ابن شهيد بقصيدته التي مطلعها:
 مَنَازِلُ مِ تَبْكِي إِلَيْكَ عَشَاءَهَا سَقَّتْهَا الثَّرِيًّا بِالْعَرِيِّ دَحَاءَهَا^(٥)
 فالمعارضة هنا تامة، كما نظر ابن شهيد إلى قصيدة امرئ القيس التي مطلعها:
 مِمَّا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَهَا كَانَ الْقَصْرَا وَحَدَّثَتْ سَلِيْمِي بَطْنٌ فَمِ الْعَرَا^(٦)
 فقال ابن شهيد معارضاً في قصيدة مطلعها:
 شَجَّتْهُ مَعَانٍ مِّنْ سَلِيْمِي وَأَذُورٍ
 وَأَخْرَجِي اعْتَلَقْنَا وَدَوْنَهَا لِقُصُورٍ وَحِجَابٍ وَوَالٍ وَمَعَشَرٍ^(٧)
 والمعارضة هنا بين امرئ القيس وابن شهيد أيضاً ناقصة، فقد اختلفت حركة حروف
 الروي، فجاه الروي مفتوحاً عند امرئ القيس ومضموماً عند ابن شهيد.
 ويعسد أن عرفنا بالقصائد الثلاث التي عارض بها ابن شهيد نظيراتها عند الشعراء
 الجاهليين، يتضح لنا أن ابن شهيد كان معجباً بهؤلاء الفحول وقصائدهم، ويتحضي عن
 هذا الإعجاب ولادة ثلاث قصائد أندلسية على نحرار القصائد المشرفية الثلاث.
 وأن لعسد ابن شهيد في معارضة شعراء معينين بل قصائد معينة واختياره للمعاني

(١) ديوان طرفه بن العبد: ٧٩، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

(٢) ديوان ابن شهيد الأندلسي: ١٤ - حُفَّةٌ: يعقوب زكي، القاهرة.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم: ٢١ - ٢٤، تج: إبراهيم السمرهلي، د. أسد مطلوب، ط ١، بغداد، ١٩٦٢.

(٤) ديوان ابن شهيد: ٨٦ - ٨٤.

(٥) ديوان امرئ القيس، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، القصيدة (٤)، مصر ١٩٦٩ م.

(٦) ديوان ابن شهيد: ١٠٧ - ١٠٩.

الحسنة عند هؤلاء الفحول طر دلائلة على إعجاب ابن شهيد بشعرهم، فضلاً عن سواد اللوق القدي عند.

ولم يقتصر إعجاب الشعراء الأندلسيين على الشعراء الجاهليين، بل تعداه إلى الشعراء الإسلاميين الفحول كالمصري وأبي عام والبحري، وهذا ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) بحسب قصيدة المتنبي التي نظمها في مصر، يوم وجوده فيها بزيارته لكافور الإشبيلي التي قال فيها:

بِمِ الْعَلَلِ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَسِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكْنٌ
أُرِيدُ مَنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يَلْتَمِي مَا لَيْسَ يُسَلِّفُهُ مِنْ نَفْسِ الزَّمَنِ
والتي حتمها بقوله:

هو الوافي ولكني ذكرت له مودة فهو يلبسها ويمسح^(١)

فعارضه ابن زيدون في آيات بقول فيها:

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيباً عَادَةً شَجْرٌ مِنْ ذِكْرِكُمْ وَجفاً أَحْقَابَةُ الوَسْنِ
يُحْقِي لَوَاعِجَهُ وَالشُّوقُ يَفْضَحُهُ قَسَدٌ تَسَاوَى لَدَيْهِ السَّرُّ وَالْعَلْنُ
بِمِ الْعَلَلِ؟ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَسِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكْنٌ^(٢)

وهكذا التضح لنا أن نزعة الإعجاب والتقليد كانت داعية من دواعي المعارضة الشعرية.

ب - نزعة التفوق والإبداع:

إن التفوق والإبداع هما شغل الأندلسيين المشاغل فقد عهد الأندلسيون في معارضاتهم إلى آيات مقدرتهم الإبداعية من خلال وقوع الشاعر الأندلسي على قصيدة لغيبه، ولا سيما أشعار المشارقة من عصره أو من عصر سابق له، فيتبناها ويصبرها ويصقلها، ورغم الاحتفاظ بما هو جوهر فيها يعطيها شكلاً جديداً، عن طريق التقديم والحذف والإضافة والإصلاح، لتوائم العصر، الذي نقلت إليه، وفي هذه الحالة تكون قصيدته بديعة بقدر ما يظهر فيها من شخصيته هو وبقدر ما تدوب فيها آثار النقل

(١) شرح ديوان المتنبي: مج ٢ ج ٤: ٢٦٣ - ٢٧٠.

(٢) ديوان ابن زيدون ورسائله: ١٦٢ - ١٦٣.

والإخصاص^(١).

وقد عرّف ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) في العمدة الإبداع بقوله: ((إتيان الشاعر بالشيء المستعطف، والذي لم تجر العادة بمثله ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثرت وتكررت^(٢)، وأشار ابن سعيد الأندلسي^(٣) (ت ٦٨٥ هـ) إلى أن المطرب: ((مما نقص فيه الغوص عن درجة الإخراج إلا أن فيه مساحة الإبداع كقول زهير في المتقدمين)).

تراف إطا ما جئتُ فمهلاً كائنك لعتيه الذي أنت سائله^(٤)

ولفصاحي الشعراء الأندلسيون من أجل الإبداع في قصائد المعارضة يؤدوا التهمة الموجهة إليهم بعدم مقدرتهم على الإبداع والتي وصفت أدهم بأنه مجرد تقليد لأدب المشاركة.

وعصاف ابن بسام ليدافع عن الأندلسيين ليقرر بأنهم تجاوزوا التقليد الأعمى لأهل المشرق بقوله: ((أهل هذه الجزيرة - مذ كانوا - رؤساء خطابة، ورؤوس شعر وكتابة، لدققوا فألسوا البحور، وأشرفوا فباروا الشمس والبهور، وذهب كلامهم بين رقة الهواء، وجزالة الصحرة الصماء كما قال صاحبهم عبد الجليل بن وهبون يصف شعراء:

رقيقٌ كما غنّت حمامة أيكبة وجوزلٌ كما شقّ الهواء عقاباً^(٥)

ونجد روح التفوق والإبداع عند الأندلسيين في عصر متقدم، ولا سيما فهي عند ابن عبد ربه القرطبي صاحب العقد والذي عارض قصيدة صريع الهوائي - كما مر بنا آنفاً^(٦) - والتي مطلعها:

أديراً عليّ الريح لا تشربها قبلي ولا تظلبها من عند قاتلي ذاحلي^(٧)

(١) الشعر العربي المعاصر رواية ومدخل لقراءته: ١٨٠ د. الطاهر مكي، ط ١، مصر ١٩٨٠.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه وقائده: ١ / ٢٦٥، نج: د. محمد يحيى الدين عبد الحميد، ط ٤، بيروت ١٩٧٢.

(٣) لسان ابن سعيد المغربي بكتابه ((المترجمات والمطربات)) الكلام شعراً وقرأ إلى خمس طلقات: المترجم والمطرب والمقبول والمستخرج والمترجم.

(٤) المترجمات والمطربات: ٨ ابن سعيد الأندلسي، دار حد وعبير، بيروت ١٩٧٣.

(٥) الذخيرة: في ١ م ١: ١٤.

(٦) ينظر بحثنا: ٣٩.

(٧) ديوان مسلم بن الوليد: القصيدة رقم (٤)، نج: د. سامي الدعوات.

وقال ابن عبد ربه في معارضتها^(١):

انقلني ظمأً وتجهذي قنني وقد قام من عينك لي شاهدا عدل

وقد وازن ابن عبد ربه بين القصيدتين وأصدر حكماً قديماً، حكيماً قديماً، حكمه فيه للأندلسيين على المشاركة، وليس من شك أن قصيدة ابن عبد ربه جاءت بتأثير نزعة التفوق والإبداع التي أحسبها في نفسه، لذلك أصدر حكمه المتقدم، ولعل امتياز هذه الطريقة في إصدار هذا الحكم يعود إلى ثقافته الواسعة وطبعه الفني الأصيل وروحه الأندلسي الطموح، ولا سيما أنه لم يتخذ لنفسه إماماً من شعراء المشرق في كل فن وإنما كان يعارض هؤلاء الأئمة ليثبت أنه مثلهم أو أقدر منهم^(٢). لم يكده يظهر بين ابن عبد ربه وبين ابن شهيد ناقد أندلسي، له أثر يدرس^(٣)، ويحتل ابن شهيد القصد في نهاية القرن الرابع الهجري ومطلع القرن الخامس، وكانت له وقفة نقدية عند المعارضة وأقر بأن المعارضة غير معيبة، بل هي أساس التفوق، وإلى ذلك أشار الدكتور إحسان عباس بقوله^(٤): ((ولأول مرة نرى ناقداً يقصر مبدأ المعارضة معياراً للتفوق، فتجد ابن شهيد ناقداً على النقاد الذين كانوا يتولون ديوان الشعراء لأنهم أمروا عبد الرحمن بن أبي القهد وقدما عليه عبادة بين ماء السماء)) مع أن عبد الرحمن ((غزير الساق، واسع الصدر، حتى إنه لم يكده يقى شعراً جاعلياً ولا إسلامياً إلا عارضه وناقضه، وفي كل ذلك تراه مثل الجواد إذا استولى على الأمد لا يني ولا يقصر))^(٥).

ولابن شهيد منهج خاص في المعارضة الشعرية ارتسبه لنفسه وأورده على لسان صاحبه زهير بن غير يقول فيه: ((إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه فحركه فأحسن تراكيبه وأرق حاشيته، فأشرب عنه جملة وإن لم يكن يد، ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك الحسن، لتشط طبعك، وتقوي منتك))^(٦).

وابن شهيد في رحلته المتحملة عارض البحرني في قصيدته التي مطلعها:

(١) ديوان ابن عبد ربه الأندلسي: ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) الأدب الأندلسي: ٢٦٩ د. أحمد هبكل.

(٣) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٢٦٩ د. محمد رضوان النابت.

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٤٧٢ د. إحسان عباس، ط ٢، بيروت، ١٩٧٨.

(٥) حلوة لستيس: ١٢٤ - ١٢٥، ط ١، ١٩٥٢، وينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٤٧٧.

(٦) الذخيرة: ك ١ م ١: ٢٨٢.

عما على الركب من وقوف الركاب
بقصيدة منها قوله:

وارتكضنا حتى مضى الليل يسمي وأنسى الصبح قاطع الأسباب
لكأن النجوم في الليل جيشٌ دخلوا للكُمونِ في جوفِ غابٍ^(١)

ويشير أحد الباحثين^(٢) إلى: أن ابن شهيد انزع إبداعه وإحداثه وربما نقوه استماعاً من البحري الذي صورَّ حاله بقوله: (ولكأنما غشى وجه أبي الطبع قطعة من الليل، وكثرُ راجعاً إلى ناورده دون أن يسلم فصاح به زهير: لأجزته؟ قال: أجزته، لا يورك قبك من زهر، ولا في صاحبك أبي عامر)^(٣).

وكانت منزلة ابن دراج القسطلي بالنسبة للفقوق لا تقل شأناً عن مواطنيه من الأندلسيين فكان شديد التحسب للأندلس ولأدبائها لأنه يريد إظهار استقلالية الأندلس عن المشرق في كل شيء بل يحاول إبراز تفوقها عليه، وهذا رد فعل طبيعي على الاتهامات الموجهة للأدب الأندلسي من قبل المشرقة وبعض الأندلسيين الذين وصفوه بأنه مجرد تقليد لأدب المشرقة^(٤).

ويوضح منحى ابن دراج قوله في مقدم صاعد البغدادي سنة (٢٠٨ هـ):

أبي الله إلا أن يرى بذلك الغلبا فيثيبها صعداً وثلبها سغباً
ومنها يقول:

وأهدت له بغداداً ديواناً علبها هديةً فنن والسي، ولحقة من حيا
فكانت كمن حيا الرياض بزهرها وأهدى إلى صنعاء من نسجها وشيا^(٥)

ولجد ابن سمام بأخذ الحساس في بعض الأحكام النقدية على الشعر العربي يشقيه الأندلسي والمشرقي ويصدر أحكاماً تحتاج إلى إعادة نظر ويحاول أن يلبق الإبداع

(١) المصدر نفسه: ج ١ م ٦: ٢٥٧ - ٢٥٨ رسالة الوازع والروابع، بطرس البستاني: ١٠٤، بيروت ١٩٨٠.

(٢) تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، د. مصطفى عليان عبد الرحيم: ٣١٧.

(٣) الذخيرة: ج ١ م ١: ٢٥٨.

(٤) ابن دراج القسطلي: ١٥٥، محمد محمود بونس، بحث مضمون: على الآلة الكتابة لئيل دراج الماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٥.

(٥) ديوان ابن دراج: القصيدة رقم (٩٦).

والثغرى للأندلسيين على حساب المشاركة، مثلما حصل له مع ابن دراج عندما نظر إلى قصيدته في مدح الحموديين في قصيدته التي مطلعها:

لعلك يا شسُّ عند الأصلِ شجيتَ لشجرِ العريبِ الغليلِ
ومنها يقول:

فأنتم هداةٌ حياةٍ وموتٍ وأنتم أتمةٌ فعلٍ والسيلِ
وساداتٌ من حلٍ جناتِ عدنٍ جميع شبابهم والكهولِ
وأنتم خلانفُ دنيا ودينٍ بحكمِ الكتابِ وحكمِ العقولِ
ووالذُكُمُ خاتمُ الألبياءِ لكم منةٌ محمدٍ حفي كفيلِ
ويطرفةُ الوحىِ وظناً وأثمٍ ضجعاها بين يدي جبريلِ
وزودكُمُ كلُّ هديٍّ زكيٍّ وأزودعكُمُ كلُّ رأيٍ أصيلِ^(١)

فقال عنها ابن بسام: ((لو قرعتُ - هذه القصيدة - سمعَ دعبل بن علي الخزازي والكسبي بن زيد الأسدي، لأسبكا عن القول، وأرُكا إليها من القوة والحول، بل لو رأها السيد الحميري، وكثيرُ الخزازي لألماعها بيّنة على الدعوى، ولتلقاها بشارة على زعمهما بخروج الخليل من رطوى ...))^(٢).

ولقد ردَّ أحد الباحثين^(٣) هذا الرأي لأن فيه تطولاً على المشاركة دون إقامة دليل، فوجد للحكم لابن دراج على السيد الحميري ودعبل وكثير دون تبرير تقليدي حكماً عريضاً يحتاج إلى إقامة الدليل والحجة، لا سيما أن هؤلاء من أعلام الأدب في المشرق، فضلاً عن أن منهم من ملأه النقاد بقصائد فريدة كماله دعبل في شجيد آل البيت والأسى لأحوالهم^(٤)، ولا مية السيد الحميري التي عارضها ابن دراج والتي يقول فيها:

هل عند من أحبت توبيلٌ أم لا فإن اللومَ تهليلٌ

(١) المصدر نفسه: القصيدة رقم (٣١).

(٢) الذخيرة: ق ١ م ١: ١٠٠.

(٣) بحث د. محمود علي مكي ((الاشعاع في الأندلس))، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية: ١٣٩، ج (١ - ٢) سنة ١٩٥٤ نفاً عن تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس لمحمري:

(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز: ١٩، نج: صيد السائر أحمد فراج: ٢٦٦، ط ٣ مصر.

أم في الخشي منك جوى باطنٌ ليس تداويه إلا الأباطيل^(١)
وعني النقّاد بشعر السيد الحميري، فقال العتي قيه: ((ليس في عصرنا هذا أحسن
منها في شعره، ولا أبقى ألفاظاً من السيد))^(٢).

ويرى أحد الباحثين أنه كان أحمرى يامن بنام أن يقصر من تطاوله أو أن يقسم
الدليل على حكمه، وقد يشفع له أنه يصدر احكاماً ولا يقب عن خاطره تهيؤ المشاركة
من شأن أدب الأندلسيين ورفضهم له^(٣).

وحكم ابن بنام المتقدم ألفاً يجعلنا نلتقي مع ما أشار إليه الدكتور محمد رضوان
الداية: ((بأن ابن بنام يمثل وجهاً أندلسياً بارزاً ممن انصروا للأندلسية ويرى أن الإبداع
الغني ليس مفصلاً على قوم بأعيانهم ولا زمان موقوف، وبغني عدم الاقتصار على
دارية وأطلال حولة وما شابه ذلك...))^(٤).

فيبدو يدعو دعوة صريحة إلى أن في الأندلسيين من الطاقات والإبداعات الأدبية ما
يفوقون بها المشاركة، ولا شك بأن أحد أسباب تأليفه لكتاب الذخيرة هو لإظهار ما
لأهل أقطه من الإبداع الفني^(٥).

نخلص من هنا أن المعارضة الشعرية في الأندلس كان وراءها دافع الإبداع الفني
والنفوق على المشاركة، لذلك نضجت المعارضة الشعرية في الأندلس في القرن الذي عاش
فيه ابن بنام والذي سبقه.

ولعل ما يبرز حجتها بتلوق الأندلسيين وإبداعهم هو تقدمهم بقصائد شغلت
الشعراء والنقاد قدامى ومحدثين ومن هذه القصائد فلانة ابن زيدون (ت 1٦٣ هـ) التي
عارضها الشعراء وتنازها النقّاد بالدرس والتحليل متمثلين بصورها، محبوبين بحسن
صياغتها، وقصيدة ابن زيدون هذه لا تُحل بحق، وشهد لابن زيدون براعته وتفوقه على
كامل من نتج على هذا المنوال سواء أكان قبله أم بعده، ولذلك يقول الدكتور شوقي
حضيف: ((ويعود القدماء مراراً إلى بيان العلاقة بين الشاهرين - ابن زيدون والبحري -

(١) ديوان السيد الحميري، رقم القصيدة (١٢٨): ٣٢١ - ٣٢٢، بلغت القصيدة (١٨).

(٢) الأطلال: ٧ / ٢٤٠، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٦.

(٣) تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري: ٣٢٠.

(٤) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٣٧٢.

(٥) ابن بنام وكتابه الذخيرة: ١٢٢ د. حسين يوسف خرووش، ط عمان ١٩٨٤.

ملاحظين أن ابن زيدون أخذ من البحري - في بعض آياته هذا المعنى أو ذلك ولا حظوا - فيما لاحظوا - أن ثلاثة ابن زيدون الكري:

أضحى الثاني بدلاً من لذاتها وناباً عن طيب لقياتنا تجاقينا
لما نظمتها على سبط البحري:
يكاد عاداً في الحب يفرينا فما لجأك في لوم الخبينا

وهي ملاحظة صحيحة، غير أنها لا تنفي صحة ابن زيدون القريدة شيئاً من روحها الأدبية، إذ استطاع أن يخلق بأخخته الشعرية في آفاق الشعر العليا تحليلياً، لعل شاعراً لم يستطع بعده أن يرتفع بأخخته إلى السمت الذي حلّق فيه...^(١)

وكانت سرعة التفوق عند ابن زيدون هي التي دفعته إلى قول راعته التي بزها والبحري، فجاءت قصيدته وثيقة أدبية ناطقة تفوق الأندلسيون على المشاركة ولا سيما أن موضوع هذه القصيدة هو المعارضة.

وقسلاً عن قصيدة ابن زيدون المذكورة سلفاً تبيننا المصادر الأدبية إلى راعة أخرى آتت فيها الأندلسيون تفوقاً مشهوداً، وهذه القصيدة عرفت بالعصاة ((يا ليل الصب)) التي نظمها أبو الحسن الحصري القيرواني (ت ٤٨٨ هـ) في مدح الأمير أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب إمارة (مرسية)، إلا أن هذه القصيدة تختلف عن سابقتها فلم يعارض الشاعر بها أحداً، وإنما كانت هدفاً لمعارضة الكثير من الشعراء نظراً لما استازلت به من تفوق وإبداع. ويبلغ عدد أبيات هذه القصيدة تسعة وتسعين بيتاً ومطلعها:

يا ليل الصب متى غدّه لقيام الساعة موعده^(٢)

وقال فيها أحد الباحثين ((لقد نغم الحصري في هذه القصيدة حيث أودعها نبات الكساره ودالسي أسرارها فكملها من الدرّ أملاء، ومن البديع أملاء فانت وكأنتها غادة حسناء، وقد كساها من بهاء الطبع دلالاً، وكادت أن تغتا مفاخرها هامة الجوزاء... ومن ذلك الحين تلقفها الشعراء شرقاً وغرباً يقلدون بحرها وموضوعها معارضين هذه القصيدة

(١) بحث د. شوقي ضيف ((الإبداع الموسمي في شعر ابن زيدون))، ص ٨٨، مجلة الكتاب العراقية، بغداد، العددان (١١٠، ١١٢)، تشرين الثاني ١٩٧٥

(٢) ينظر النص الكامل لقصيدة ((يا ليل الصب)) مع معارضات شعراء تونس في كتاب: ((أبو الحسن الحصري)) للأستاذ ابن محمد البرزوقي والجيلاني ابن الحاج يحيى، مطبعة المنار، تونس، ١٩٦٢.

ناظرين على إيقاعها ...)»^(١).

وقد بلغ معارضوها أكثر من تسعين شاعراً وشاعرة، ولعل في هذا العدد الكبير من الشعراء ما يؤيد صحة ما ذهبنا إليه، بأن تفوق الحصري وإبداعه هنا هؤلاء الشعراء النج على منوالها.

وقد أكد الأندلسيون فيما بعد على المعارضة والإجادة، ورددوا حازم القرطاجي (ت ٦٨٤هـ) إذ دعا إلى محاكاة الأوائل، واتهم الشعراء بالخروج عن مبيع الشعر لذلك، ولأنهم ابتعدوا عن مبادئه التي يجب مراعاتها، فالمعارضة فيما نرى عند حازم القرطاجي تعني الإبداع نصاً وروحاً، لذلك نجده يقول: ((تلشعر مواد بنحت منها، فإذا خلا منها صار مجرد كلام، وأن محاكاة الأوائل تسوق للشاعرية إلى الإبداع وتميتها))^(٢). وهكذا يكون التفوق والإبداع داعياً من دواعي المعارضة الشعرية.

٢ - الدواعي الخاصة:

ويشتمل البحث هنا على الوقوف على دواعي المعارضات الشعرية الأندلسية التي نأثرت نتيجة إصحاب ملوك الأندلس بقصيدة معينة، ومناسبتها هو طلب من الملك الأندلسي يوجهه إلى شاعره في معارضتها، لذلك اتخذت طابعاً تديبياً، لأن مصدر الرغبة في المعارضة هو الفرد ((الملك الأندلسي)) لذلك جاءت هذه المعارضات في أغلبها من أشعار السلطانيات.

ومن أمثلتها، طلب المنصور بن أبي عامر من ابن دراج معارضة قصيدة أبي نواس والتي مطلعها:

أجاراً يتيقنا أبوك غيبورُ وميسورُ ما يرجي لئليكِ عسيرُ^(٣)

معارضتها ابن دراج بقصيدة مطلعها:

(١) ديوان ليل الصبي: ١٥، مجموعة معارضات قصيدة أبي الحسن الحصري القيرواني، ص ١١٩٦٤، ص ١١٩٦٤.

(٢) مسناهج السلفاء وسراج الأديباء: ٦٠ حازم القرطاجي، نجح: محمد بن الحبيب بن الخوجة، تونس ١٩٦٦ ونظر: نهارات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري: ٦٧٣.

(٣) ديوان أبي نواس: ٤١٧ - ٤٢٦.

دعي عزمات المستظام تسيير **فنجذ في عرضي القلا وتغور^(١)**
 وليس دراج استطاع أن يتفوق في هذه القصيدة على أبي نواس، في عدد الأبيات،
 وفي المعاني والصور واللغة حيث استطاع أن يشق عبار أبي نواس، وما يمكن ملاحظته أن
 التفوق والإبداع يشكلان قسماً مشتركاً بين الدواعي العامة والخاصة لأصيته، وليس غريباً
 هذا الاشتراك، لأن المعارضة هي عمل إبداعي.

وقد تأتي المعارضة رداً على الاتهامات التي طالما كثرت في مجالس ملوك الأندلس
 ضد أدب الأندلسيين، وقد روى لنا المقرئ^(٢) تعليق أحد الحاضرين ((وهذا مالا يقدر
 أندلسي على مثله)) على القطعة المشرقية التي أشادت في المجلس ومطلعها:

وماذا عليهم لو أجابوا قسماً
 وقد علموا أن المشوق الصميم

نابري يحيى بن هذيل فلما التحدث وعارض القطعة بقطعة مطلعها:

عرفت يعرف الريح أين تيمموا
 وأين استقبل الظاعنون وخيموا

تفوق بها ابن هذيل على القطعة المشرقية، فجاءت ضعتها، فضلاً عن الصور
 الشعرية الرائعة التي استطاع ابن هذيل أن يلائم بينها في قطعته.

ولم يكن التفوق حليف الأندلسيين دائماً في معارضتهم لشعراء المشرق ويروي لنا
 ابن بسام^(٣) كاتل المأمون بن ذي النون من جواب عبد الله بن شرف عندما ادعى أن
 بإمكانه أن يعارض المتنبي ((بقصيدة تنسي اسمه وتعني رسمه)) لأن المأمون على علم
 مسبق بتقصير أهل ألقه عن بلوغ شأؤ المتنبي، ولزولاً عند رغبة عبد الله بن شرف، فقد
 أشار إليه المأمون بن ذي النون معارضة قصيدة المتنبي التي يقول فيها: ((لعينيك ما يلقى
 الفؤاد وما تقي)) إلا أن ابن شرف وكما توقع له المأمون جهد نفسه ولم يفلح في
 معارضتها^(٤).

ومن القصائد المعارضة التي اتخذت طابعاً فريداً ما رواه الحميري في كتابه
 ((الديع في فصل الريح))^(٥) من أن الغلبه أبو الحسن بن علي قال قصيدة ضادية يصف

(١) ديوان ابن دراج: القصيدة (٧٨).

(٢) فتح الطوبى: ج ٣ / ١٥٣ - ١٥٤.

(٣) المذهب: ق ٤ م ١١ : ٢٤.

(٤) المصدر نفسه: ق ٤ م ١١ : ٢٤.

(٥) كتاب ((الديع في فصل الريح)) للحميري شكنا بالناس الأندلسيين الثقات الذين تحدثوا عن

فيها نوابير الربيع بوصف حسن بديع، ومدح جاذا الوزرتين القاضي بن عباد مطلعياً:

كألما الروحى لسا وَظنّاً بِدُ الْمَوْنِ أَرْضَة

ثم انقل إلى مدح القاضي ابن عباد:

وَجْهَ ابْنِ عِبَادِ السُّدِّ بِ حَبِيبٍ تَأَمَّلْ قَرُونَةَ
حَوَى بِطُولِ يَدَيْهِ طُولَ الشَّيْءِ وَهَرُونَةَ^(١)

ولما اطلع عليها أبو الوليد بن عامر الحميري قال قصيدة بين يدي القاضي ابن عباد معارضاً قصيدة أبي الحسن علي ومطلعياً:

أَنْظِرْ إِلَى النِّهْرِ وَأَعْجِبْ بِحَسَنِ مَرَاةٍ وَأَرْضِهِ^(٢)

ولسا تم إنشادها طلب منه القاضي ابن عباد أن يستحضر صاحب الشرطة أبا بكر بن القوطية والأديب أبي جعفر بن الأبار وأبي بكر بن نصر وأمرهم عنه بالعمل في ذلك المعنى على العروض والقافية، ففعل، فصنع الشعراء الثلاثة من ليثهم أشعاراً رائعة السمات فائقة الصفات^(٣).

وإن هذه الدواعي الخاصة هي التي أثرت في الشعر الأندلسي فجعلته متضاعف، وهي ظاهرة تتم عن الإبداع والخلق في القصيدة المعارضة وورث المتحمذ بن عباد عن أبائه احتضان الشعراء في مجلسه، فكان ابن زيدون من شعراء المتحمذ الذين آثرهم علي غيرهم، لذلك نجد في استحسان أبيات كانت تغنى له بأمر ابن زيدون معارضتها لينشد ابن زيدون:

يُقَصِّرُ قُرَيْشُ لَيْسِي الظُّرَيْلَا وَيَسْئَلِي وَصَالِكَ فَلَيْسِي الْعَلِيَلَا

الكتاب ومؤلفه كالحسيني في المجلد: ١٦٦، وابن سبام في الذخيرة: ٢ م ١: ٢٠٠، والقسري في فتح الطب: ٣ / ٤٢٨، لأن هقله هنري بيرس هو الذي نشر عنوان الكتاب في (السديع في وصف الربيع) في حين لم نجد أية إشارة لما يطلق هذا العنوان، وقد أشار إلى هذه الحسيلة السيد مقداد رحيم خضر في بحثه الموسوم: (التاريخ الثورات في الشعر العربي والمشرق في الأندلس) المنشور في مجلة كلية آداب المستنصرية، العدد (١٦)، ١٩٨٥: ٢١٥.

(١) السديع في وصف الربيع: ٤١، لأبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري، اخطى بشره وأصححه: هنري بيرس ١٩٨٠، المطبعة الاقتصادية بالرباط، وبلغت القصيدة (١٤) بيتاً.

(٢) السديع في وصف الربيع: ٤١ - ٤٢، وبلغت القصيدة (١٤) بيتاً.

(٣) السديع في وصف الربيع: ٤٦.

وإن عصفت منك ريح الصدود فقدت نسيم الحياة البهلا^(١)
 إلا أن المفري لم يصفنا في معرفة قائل الأبيات التي عارضها ابن زيدون، والتصر
 على ذكر أبيات ابن زيدون لوحدها، وتقف على قصيدة معارضة ثانية اقترح المعتمد على
 ابن زيدون معارضة أبيات أخرى فأنتشده على وزنها ورويها:

أنت المصيب للولوع ومثير كامنة الدموع
 يمتنيان لور أغفينا مهما طلعت من الطلوع^(٢)
 وهذه القصيدة هي الأخرى لم تبق على الشاعر الذي عارضه ابن زيدون، إلا أننا
 نحصل إلى أن هاتين القصيدتين قد قافيا نزولاً عند رغبة المعتمد الذي كان على ما يبدو
 معجباً بهما، وكذلك الأمر بالنسبة لقصيدة ابن الليثية فيما يرويه لنا ابن بسام من أن الأمير
 مبشر بن سليمان، كان جالساً في مجلسه ببورقة ووردته قصيدة من نظم أبي المنظر
 البغدادي مطلعها:

هو عفيفها وطروفه تعليل لمحتي بقي لك والوفاء قليل^(٣)

فكلف الأمير أبا بكر البغدادي (ابن الليثية) معارضتها فقال:

في التظيف لو سح الكرى تعليل يكفي الخب من الوفاء قليل^(٤)

بعد هذا العرض الموجز نكون قد ولغنا على الدواعي الخاصة التي كان لها أثر كبير
 في إنسراء الشعر الأندلسي، لأن كل قصيدة شعرية قبلت بفعل الدواعي الخاصة ما هي إلا
 ولادة شعرية جديدة، تتلقى مع التصاليد التي قبلت بفعل الدواعي العامة التي تقدم ذكرها.

(١) ديوان ابن زيدون: ٥١٦ - ٥١٣، وبلغت القصيدة (٦) أبيات.

(٢) نفع الطيبة: ٦٢، مع ٦ ج ٤، طبعها محمد هي الدين عبد الحميد.

(٣) الذخيرة: ٤ م ٣: ٦٨٨.

(٤) الذخيرة: ٤ م ٣: ٦٨٩ - ٦٩٠، وبلغت القصيدة (٢٥) بيتاً وبطرق: شعر ابن الليثية البغدادي،

جميع وحقيقي: د. محمد عبد السيد، القصيدة (٦٦) وبلغت (٢٧) بيتاً.

الفصل الثاني: المعارضة في الشعر الأندلسي قبل القرن الخامس الهجري

لا يكاد يخلو عصر من العصور الأدبية^(١) من المعارضات الشعرية، وتشكل هذه المعارضات جزءاً لا يستهان به من تاج الشعراء، ولما فتح العرب المسلمون الأندلس، لم يجد شعراؤهم عن هذا الفن، لذلك توحينا الوقوف على المعارضة الشعرية فيما بعد الفتح العربي للأندلس حتى مطلع القرن الخامس الهجري، وقد أشار الدكتور

(١) إذ المعارضة ضاربة الجذور في الشعر العربي، وأيضاً شتت إلى العصر الجاهلي، إذ جاءت بدانيها الأولى في حكومة أم حبيب ((زوج امرئ القيس))، وهذه الرواية التي أوردها ابن قتيبة تفيد أنه لما تصاكم امرؤ القيس وعلمقة التحل إلى تم حبيب في أيها شعر، ظفقت هما: قولاً شعراً تصفان فيه التحل على روي واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس:

حليلي مرأبي على أم حبيب
لقضي حاجات الفراق المعبأ

وقال علمقة:

ولم يك حلاً كحل هذا التجسب

فهبت من المجران في كل مذهب

ثم استبدعا جميعاً، ظفقت لامرئ القيس: علمقة أشعر منك قال: وكيف ذلك؟ ظفقت لأنك لتت:

قللسوط أقوباً وللساق درةً
وللزجر منه وقع أخرج مذهب

فجهدت فرسك بسوطك، ومرجةً بسالك، وقال علمقة:

فأفركهين ثانياً من عناه
بمز كثر الراح المتعبل

فأدرك طريقته وهو كان عنان فرسه، لم يضره بسوط، ولا مره بساك، ولا زجره، قال: ما عر بأشعر مني ولكنك له وامن! انطلقها فحلف عليها علمقة، فسمي بذلك ((الفحل)).

واستن صحتت عسفة الرواية، فلها تفيد بأن المعارضة الشعرية عريقة الجذور في الشعر العربي، واستمد منها أيضاً ملامح فصيحة المعارضة القائمة من قول أم حبيب ((قولاً شعراً تصفان فيه الحسول علسي روي واحد وقافية واحدة)) أي أنها اشتطت على الشاعرين المتعارضين وحدة الموضوع والوزن والقافية وحركة حرف الروي. والاستزادة ينظر:

أ - الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١ / ٢١٨ - ٢٢٠، نج: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٨٢.

ب - بحث الأستاذ علي الفاروق ((المعارضات في الشعر الجاهلي))، مجلة الكتاب المصرية: ٣٨٢ - ٣٨٧، السنة الأولى، المجلد الثاني، يوليو ١٩٤٦: ٣٨٢ - ٣٨٧.

ج - شعراء الصحابة قبل الإسلام: ٢٧ - ٢٩، جمع لويس شيخو اليسوعي، ط ٢، بيروت ١٩٦٧.

إحسان عباس إلى أن هذه الفترة لم تصل إليها دواوين شعرائها وكل ما علكه من الشعر الأندلسي الذي ينسبها قطع ميثوقة في كتب التاريخ والتراجم^(١). إلا أن لدرة الدواوين لم تضاف حقبة أماننا تحريماً فصائد المعارضة عند البرززين منهم ولفقاً للأغراض الشعرية: المديح، والوصف، والنوحيات، والمجون، والغزل، وأغراض أخرى.

أ - المعارضات في المديح:

مما يلاحظ على الشعراء الأندلسيين أنهم أكثروا من فصائد المديح، واتسحت بكثرة فصائد المدح إلى كثرة معارضات المديح، لأن الشاعر الأندلسي يطمح أن يرضى ممدوحه بقصيدة يتضمن فيها عيبه، ويأمن بها من شر الحساد، لذلك تأتي الشعراء الأندلسيون في فصائد المديح واتحبوا القصائد الجهاد عند المشاركة وأخذوا يسجون على مستواهم، لأنهم يشعرون بأستغاية المشاركة، فضلاً عن التقدم الحضاري والفكري الذي حظي به المشاركة قبل إخوانهم الأندلسيين، وكانت فصائد المديح عند المتنبي هي أكثر من غيرها هدفاً للمعارضة الشعرية، ومنها قصيدته في مدح ابن العميد:

بَادِ هَوَالِكَ صَبْرَتِ أُمِّ لَا تَصْبِرَا وَتُكَاكِلَ إِنْ لَمْ يَجِرْ دَمْعُكَ أَوْ جَرِي
كَمْ عَزَّ صَبْرُكَ وَالسَّائِلُكَ صَاحِباً لَمَّا رَأَى وَالسِّيَ الْحَشَى مَا لَا يُرَى
وفيها يقول:

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا ارْتَكَبْتَ طَرِيقَةً وَمِنَ الرَّؤُفِ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَبَةً
قَطَفَ الرَّجَالُ الْقَوْلَ وَقَتَّ نَبَاهَهُ وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا
فَنَ قُبِّلَ الْأَعْرَابُ لِي بَعْدَهَا شَاهَدْتُ رَسْطَالِيَسَ وَالْإِسْكَندَرَا
وحتمها بقوله:

أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلًا وَأَسْرُ وَاحِلَةٌ وَأَرْبَحُ تَجَجْرًا
زَحَلَّ عَلَيَّ أَنْ الْكَوَاكِبُ قَوْمُهُ لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَقْشَرًا^(٢)

ونظر ابن حزم (أبو العفيرة عبد الوهاب) (ت ٤٣٨ هـ) إلى قصيدة المتنبي المذكورة آنفاً في مدح ابن العميد، وعارضها بقصيدة تامة ملوحاً المتصور بن أبي

(١) كتاب التضييحات من أشعار أهل الأندلس للكاتب: نج، د. إحسان عباس، مقدمة المحقق: ٩.

ط ٢، بيروت ١٩٨٥.

(٢) شرح ديوان المتنبي، مج ١، ج ٢: ٢٦٤ - ٢٦٦، والقصيدة في (٤٧) بيتاً.

عمر مطلعها^(١)؛

لمن السراحي الساج بوقاً ما سرى
البعثة نظرو المسحوق بمقلة
والأ ورد الألفق مرطاً احمرأ
لم تدر منذ عهد الأئيلة ما الكرى
ومنها يقول:

ومللت من نار الضباية صارعاً
إلا ترى المنصور تحت لوائه
وجررت من وفد التصابي عسكراً
تلقى ابنه طلق الجين مقلراً
وحتمها بقوله:

غيري الذي أهدأ المدايح مكسباً
أما ما شعرت لأن أئبة حاملاً
وسوي من غفل القواهي فتجراً
لكين لأسمع ضاهراً أن يشغراً

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي والموضوع، حيث حاول ابن حزم أن يحلل ألفاظ المتنبي، في قصيدته، لذلك جاءت معارضته من المعارضات الشامة.

ويرى الدكتور نوفل^(٢) أن ابن عبد ربه في قصيدته التي مطلعها:

لما على قصر الخليفة فأنظروا
إلى قبة زهراء شيدت لأزهرا^(٣)

عارض المتنبي في قصيدته الرثية (باد هوالك ...) ومن الثابت أن المتنبي قصد ابن العميد سنة ٣٥٤ هـ في أرحان^(٤)، وأما قصيدة ابن عبد ربه، فقد نظمت في مدح محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٢ هـ) فمن غير المعقول أن يكون ابن عبد ربه قد عارض المتنبي، وذلك لتقدم قصيدة ابن عبد ربه على قصيدة المتنبي بأكثر من شائين عاماً.

ومن قصائد المديح التي عني بها شعراء الأندلس في القرن الرابع الهجري، قصيدة ابن ميادة الرماح بن كرد بن تويان (ت ١٣٦ هـ) في مدح أبي جعفر المنصور العباسي والتي يقول فيها:

(١) الذخيرة: ك ١ م ١: ١٧٩.

(٢) تاريخ المعارضات: ١٢٢.

(٣) ديوان ابن عبد ربه: ٦٨.

(٤) وفيات الأعيان: ٥ / ١٠٤.

وكرواعبٍ قد فُلنَ يومَ تواعدٍ
قولَ الجِدِّ وهنَّ كالمزاجِ
يا ليلنا في غيرِ أمرٍ فادحٍ
طلعتْ علينا العيىَ بالرماحِ
بيدِ كذاكَ رابضى معصبا

ومما قاله في مدح المنصور وبني هاشم:

فلئن بقيتْ لألحقنَّ بالبحرِ
يتمينَ لا قطعٍ ولا أنراجِ
قومٌ إذا جلسَ الشاءُ اليهمُ
بيعَ النساءُ هناكَ بالأرماجِ
ولأجلسنَّ إلى الخليليةِ إلهُ
رحبُ النساءِ بوسعِ تحجاجِ^(١)

فعارضها صاعد الأندلسي (ت قرناً من ٤١٠ هـ) مادحاً أبا الحسن علي بن وداعة

السلمي:

أبا حسنٍ وبعثُ من سُلَيْمٍ
سنانَ زانٍ عالمةِ الرماحِ
وإني عالمةٌ بكفةٍ من هباتِ
لختنٍ دعائمى لختِ الكساحِ
فكرُ علي ابنِ عمكٍ والفتنةُ
فليس حمى ابنِ عمكٍ بالفاحِ
لئنَ الجارَ عندك بينَ جنتيُ
فغابَ الذبحُ كاسرةِ الجناحِ

ومها في المدح:

نصتُ الخيلُ باسمك في غدبرِ
على ظمياً عن الماءِ القراجِ
نظنُّك طالعاً بيتي سُلَيْمٍ
عليها عندَ مقتضحِ الصباحِ
إذا ساورتِ قيرتك في مكرِ
جعلتْ لهُ فواغك كالوشاحِ^(٢)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة ناقصة إذ اتفقت القصيدتان في الموضوع واختلفتا في الوزن، وابن ميادة يستنقض ممة مدوحه أبي جعفر المنصور العباسي بعد أن يخلص من أبيات في الغزل طغت عليها الصنعة الشعرية.

أما صاعد الأندلسي في قصيدته فإنه يستعمل بأتكار ابن ميادة ويأشده بحق القرابة والود والصداقة أن يوفى له الرعاية والحماية، وهو أهل لذلك لأن مقامه عال ومثله من يقدر على لبواه الجار والقريب والبعيد^(٣).

(١) كتاب الأغانى، مع ٢: ٢٨٤ لأبي الفرج الأصبهاني، بيروت ١٩٥٥.

(٢) الذخيرة، ك ١ م ١: ٥٤.

(٣) تاريخ المعارضات: ١١٤ - ١١٥.

ويطالعنا ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) الذي لقب بصبي الأندلس، بقصيدة عارض فيها أبا الطيب في مدح علي بن أحمد بن عامر الأبطاكي التي مطلعها:

أطاعنُ حياً من فوارسها المذهرُ
ويقول فيها في المدح:

وغيبتُ ظناً نحةً أنُ عامراً
أو ابنُ ابنه الباقي عليُّ بن أحمدٍ
وأنَّ صحابياً جودهٌ مثل جوده
فسي لا يضمُّ القلبُ حياتِ قلبه
وختمها بقوله:

أزالته بك الأيام غشى كالماء
بنوها لها ذنباً وأنت لها عُذرٌ^(١)

وعارضها ابن هاني بقصيدة مدح بها شعر لدين الله القاطمي يوم أن فتح قائده جوهر بلاد مصر وخلعها من حكم العباسيين مطلعها^(٢):

تقولُ بنو العباسِ هل فُتِحتَ مصرُ
وقد جاوزَ الأمكنةَ جوهرُ
ومما قاله في المدح:

إمامٌ رأيتُ الثُبْنَ مرتبطاً به
أرى مدحاً كالمدحِ لله إلهُ
هو الوارثُ الدنيا ومن حُلِّلتَ له
وختمها بقوله:

فلمو سمعَ التوبيخَ من كانَ وُجْهٌ
لناديتُ مَنْ قد مات: حيٌ بدولةٍ
وقاماً وكسى الصورتَ من حُمَّةٍ قَبْرُ
تقامُ فما الموتى ويرالجعُ العُمرُ

لدى المولانا بين القصيدتين نجد أن قصيدة المتي بلغت واحداً وأربعين بيتاً، وامتازت بجودة الرصف وعمق المعنى حيناً ووضوحه حيناً آخر^(٣)، والتي عندما يمدح

(١) شرح ديوان المتنبي، مع ١: ٢ / ٢٥٢ - ٢٦٤ للبرقوقي، بيروت ١٩٧٩.

(٢) ديوان ابن هاني الأندلسي: ١٣١ - ١٣٩، تقدم كرم البستاني، بيروت ١٩٦٤.

(٣) تاريخ المعارضات في الشعر العربي: ١٢٦ - ١٢٧.

علي بن أحمد بن عامر الأندلسي، تجده غير مغالٍ في مدحه مفضلاً عليه وعلى حده (عامر) صفات الكرم والرحولة.

وقد سيطرت الحكمة الشعرية على قصيدته كما سيطرت على غيرها من القصائد، وامتازت بالجرس الموسيقي فاستهوت ابن هانئ الأندلسي فعارضها بقصيدته المطولة التي بلغت مائة بيت وبيت، وقصّر لها ابن هانئ ولم يبلغ شأؤا المتنبي بسبب لغة السطحية في هذه القصيدة التي لا تباري لغة المتنبي وانفردت بقصيدته إلى الحماس وما يعيها أن ابن هانئ كان مسيطراً عليه الغلو، ولم يفلح في التحلي عنه، ولعل ذلك يرجع إلى مذهبه وتمسكه للطالبيين ضد العباسيين، وبالغ كثيراً في مبدوحه (المعز لدين الله) وجعل الدين مرتبطاً به^(١)، وهذا اتقى غاية الغلو، فإن الدين لا يرتبط بشخص مهما بلغ مقامه بين المسلمين، ولم يقف عند هذا الحد بل شادى وأشرك المبدوح مع الله ﷻ في المبدوح، وهو ضرب من الأشراك بالله.

ومن معارضات المبدوح ما رواه الحميدي^(٢) في ترجمة ابن دراج القسطلي (ت ٤٢١هـ) أن أول معارضة قالها كانت لصاعده البغدادي، وكانت في مدح المنصور بن أبي عامر في قصيدته التي مطلعها^(٣):

أضياءُ لها فجرُ الثبيّ فيهاها عن اللّذنيّ المضيّ بحرُ هواها
وجلّلتها صبيحُ جلالِةِ اللّذجا وقد كان يهلبها إلى ذجاها

ويرى الدكتور إحسان عباس^(٤) أن سر معارضة ابن دراج القسطلي لصاعده يعود إلى الخطوة التي نالها صاعده عند المنصور بشعره، فأراد ابن دراج لنفسه مكانة شبيهة مكانة صاعده، فنظم قصيدته المتقدمة آنفاً في مدح المنصور أيضاً، وأراد كذلك أن يكون له بها اسم مقيد في ديوان الشعراء.

وكان المجلس الذي يحيط بالمنصور بن أبي عامر مليئاً بالحساد من القاد والشعراء، وربما ليهوده بأنه لا يستطيع المعارضة، وادعوا لدى المنصور بأنه سارق ومتحلل^(٥)،

(١) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٢) حذوة القبس: ١٠٣.

(٣) ديوان ابن دراج القسطلي رقم (٣) من الديوان: نج: د: عمود علي مكّي، ط ٤، ١٩٩١.

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة فرطية: ٣٧ - ٣٨.

(٥) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة فرطية: ٣٨.

فقال قصيدة بالية مدح بها المنصور بن أبي عامر، فقد رجّح الدكتور محمود علي مكي^(١) أنه قد عاد ثانية إلى معارضة صاعد البغدادي، وقد شيرت هذه القصيدة عند الأندلسيين فقالوا دفاعاً عن نفسه وعن أذبه ومطلعها^(٢):

حسبي رضاك من الدهر الذي غتبا	وجودك كفتيك للحط الذي انقلبا
يا مالكا أصبحت كلفي وما ملكت	وميجستي وحياتي بعض ما وهبا
ما قطع الغيث إلا ريثما خلفت	مجادح الجود من بينك فانسبا
ولا نأى السعد إلا وهو تجذبة	شواغع المجد عن عليك فاقربا
أنت ارتجحت المنى غراً محجلة	تحوي وقد اعجزتني ذهبها قربا
لسن ذهني شالاً حرجفاً غصفت	بماء وجهي لقد أنشأتها سخبيا

أما قصيدة صاعد البغدادي والتي عارضها ابن دراج لمطلعها^(٣):

يا أيها الملك المنصور من بين	والمعيني نيباً غير الذي انصبا
بغزوة في قلوب الشرك والعبه	بين المنايا تاعلي السم والفضبا
أما ترى العين تجري فوق مرمرها	زهواً لتجري على احبالها الطربا
أجربها لظما الترابي بجرحها	كما طمرت فسدت العجم والغربا
تخال فيه جنود الماء والفة	مستلمات لربك الذرع واللبا
تخطها من فون الأيك زاهرة	قد أوقفت لفتة إذ انصرت ذها
يدعوه الملك ما ينكف تأظرها	يستلو على السمع منها آية عجا
لا يحسن الدهر أن ينشي لها مثلاً	ولو تعنت لبيها نفسة طلبا

ولم يكف الحساد عن ابن دراج، والمكانة التي وصل إليها عند المنصور كانت توجج الغيرة والحسد في قلوبهم، والتفت رغباتهم مع رغبة المنصور بن أبي عامر في مطالبة الشاعر بالجديد من الشعر، وإن اختلفت نوايا الحساد عن نية المنصور، فهم يتنون أنفسهم في تقصير ابن دراج في قول الشعر، لعله يخرج من ديوان شعره، أما نية المنصور فلم تكن إلا الاستمتاع بسماع الطريف والجديد من ابن دراج.

(١) ديوان ابن دراج، مقدمة المؤلف: ٤٥.

(٢) الديوان، القصيدة رقم (١٠٠) وبلغت (٦٤) بيتاً.

(٣) مطبع الأضواء، ٣٩٥، ليج شوابكة، وبطرس: البيان المغرب: ٢ / ٢٧٧.

ومن الجدير بالذكر أن المنصور بن أبي عامر كان معجباً بقصيدة أبي نواس التي مطلعها^(١):

أجارة بيتنا أبوك غيور
وميسور ما يبرجى لديك عسيور
فعرض على صاعد أن يعارضها، فأبي صاعد إجلالاً لأبي نواس، نعرم عليه المنصور
فأنشده^(٢):

إني لمستحي غيلاً
لا من ارتجال القول فيه
من ليس يُدرك بالزوي
سـة كيف يُدرك بالبيديه ؟

لأن أن الدكتور محمود علي مكي^(٣)، يرى في اعتذار صاعد من معارضة أبي نواس هو احساسه بصعوبة الأمر، وليس ما برره صاعد لنفسه بإجلاله لقبه أبي نواس، ولا لفرق كبير بين الأمرين فإن إجلال الشاعر لا يكون إلا بسمو مرتبته فإنها لم تلغ عند المنصور الذي لم يسمع له عنراً، ولم يرض إلا بمعارضة قصيدة أبي نواس، مما اضطر صاعداً بمعارضة قصيدة أبي نواس بقصيدة مطلعها^(٤):

جدال الثرى إني يكن بصير
طوتكن عني خلصة وفتير

ولعل المنصور بن أبي عامر أراد أن يكرر الاختيار على ابن دراج.

وروى لنا ابن حلكان^(٥): طلب المنصور بن أبي عامر من ابن دراج معارضة أبي نواس في مدح الخصب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر، والقصيدة مطلعها^(٦):

أجارة بيتنا أبوك غيور
وإن كنت لا حلاً ولا أنت زوجة
وجاورت قوماً لا تراوژ بينهم
فما أنا بالمشغوف ضربة لازب
وإني لطرف العين بالعين زاجر
وميسور ما يبرجى لديك عسيور
فلا ترحبني دوني عليك سفور
ولا وصل إلا أن يكون لشور
ولا كل سلطان، علي قدير
فقد كذبت لا تخفى علي ضمير

(١) ديوان أبي نواس: ٤١٧، نج: ٥، مجت الحديثي، بغداد: ١٩٧٩، ج.

(٢) الذخيرة: ج ٤ م ٢١ ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) ديوان ابن دراج، مقدمة المحقق: ٣٧.

(٤) الذخيرة: ج ٤ م ١ ص ٢٢ - ٢٣.

(٥) وفيات الأعيان لابن حلكان، مج ١: ١٣٥، نج: ٥، إحسان عباس، بيروت: ١٩٨٠، ج.

(٦) ديوان أبي نواس، نج: ٥، مجت الحديثي: ٤١٧ - ٤٢٦، وبلغت القصيدة (٤٠) بيتاً.

كما نظرت والريح ساكنة لها
 عقيناه أوساخ اليليين نوزو
 وأبو نواس في مطلع هذه القصيدة يتفرد بحسناء متنعمة عليه لا سبيل إلى الوصول إليها إلى يوم القيامة، ثم ينتقل بالدعاء على نفسه إن لم تكن صاحبه ولا زوجته... وإته ذو نظير نائب بزجر عيون الناس بعينه التي هي كمنظر العقاب، ثم يطلق أبو نواس حسناً من المعاني العذبة في مدح الخصب خلال فكرة خصبة واسلوب موسيقي رقيق جرساً وإيقاعاً، كما يرى الدكتور مصطفى الشكعة^(١)، ومن أبياته في زوجته التي يقول فيها:

تقولُ التي عن بيتها حنقٌ مركبي
 عزيمتُ علينا أن نرأك تسيرو
 أما دونَ مصرٍ للعنسى مطلبٌ
 بلسي إن أسبابَ العنسى لكثيرُ
 فقلتُ لها واسمعتُها بوادِرو
 جَرتُ قجرو في جربينَ عَبرو
 ذَريتي أكثرُ حاسديكِ برحلةٍ
 إلى بلدٍ فيه الخصبِ أميرُ
 إذا لمَ لسوزَ أرضِ الخصبِ ركابنا
 فاني فني بعدَ الخصبِ نوزو
 فني بشري حسنَ الشاءِ بهاله
 ويعلمُ أن الدائرات تدورُ
 كما جازة جودٌ ولا حملٌ دونهُ
 ولكن يصيرُ الخوذُ حينئذٍ يصيرُ

ونستشف من أبياته المتقدمة أن زوجته التي اتهمرت دموعها للتمس إليه أن يعدل عن الرحيل من بغداد إلى مصر، لأن الرحلة شاقة، إلا أنه يبيّن عليها هذا الفراق لأنه سيقتصد الخصب فهو أجدر بالزيارة من أي كريم، وبضاعة الشعر عنده والجد، وستشر عليه هذه الرحلة المال الوفير عندما يكون في (مصر) بلد الخصب.

ثم ينتقل أبو نواس إلى نوع من الأدب الجغرافي في الطريف، حيث يصف رحلته إلى مصر وصفاً جغرافياً يفيد منه الطاعن ويستثير به السامع، ويقول في وصف الرحلة:

رحلن بنا من عفرقوفٍ وقد بدا
 عن الصبح مفتوحاً الأديم شبيرُ
 فما نجدتُ بالماءِ حتى وأبشاهُ
 مع الشمسِ في عيني الباغُ تغورُ
 وغشرونَ من ماءِ التقيبِ بشربةٍ
 وقد حانَ من ذلكِ الصباحِ زهيرُ
 وواقينَ إشرافاً كئاساً لدمرٍ
 وهننَ إلى وعن المدخنِ صوورُ
 إلى أن ينهي وصف الرحلة بقول:

(١) الشعر والشعراء في العصر العباسي: ٣٠٠ د. مصطفى الشكعة، ط ٢، بيروت ١٩٧٥.

ولما أتت فسقاطاً مصرّاً أجارها على وكسبها أن لا تدالَ بحجرٍ
 ولعل ما يمكن ملاحظته على أبي توماس في وصف الرحلة أنه أطلال فيها وغور في
 وصف المدن التي مرّ بها بين بغداد ومصر، بدأ يعرفها، وعين أباغ، وماء الثقب،
 وتدمر، وحبل المدخن، وغوطة دمشق، والجولان ويسان، وخر فطرس، وبيت المقدس،
 وغزرة هاشم، والقرما، وشقور، حتى يبلغ المسطاط، ووصف الثالثة وصفاً مسرفاً في
 رحلته، كما وصفها الأقدمون من قبله، وأعله يناقض نفسه - كما يشير الدكتور
 الشكعة^(١) - بالنسبة لموقفه الرافض من البكاء على الأطلال ووصف الأبل والرحلة
 عليها، حيث لم يترك مناسبة في خروجه إلا ونال فيها من البكاء على الأطلال، ووصف
 الأبل ...

ثم يعود ثانية إلى المديح الخالص للممدوح معرضاً بطلب التوال بعد أن انتهى من
 وصف الرحلة ليحتم قصيده فيقول:

زها بالخصيب السيفُ والرمحُ في الوعى	وفي السّلم يزهي منيرٌ وسريرٌ
جوادٌ إذ الأهدى قبضن عن التدى	ومن دون غوراتِ النساءِ غبورٌ
وإني جديرٌ إن بلغتُك بالغي	وأنت بما أقلتُ منلتُك جديرٌ
فإن تولني منك الجميل فأهله	والأفئسي عاذرٌ ومشكورٌ

أما قصيدة ابن دراج التي عارض بها قصيدة أبي توماس فسطلعها^(٢):

دعي عزماتِ المستظام تسيرو	فنجذ في عرشي الفلا وعمورٌ
لعلّ بما أشجارك من لوعة التوى	يغور ذليلٌ أر يُفلك أسيرٌ
لم تعلمي أن الشواء هو التوى	وأن بيوت العاجزين قبورٌ
ولم تزجري طير السوى بحروفها	فقتبتك إن يُمنّ فهي سرورٌ
تحوكتي طول السفار وإنه	لقليل كف العامري طيرٌ

وقصيدة ابن دراج جاءت بالمخاور التي انتهجها أبو توماس نفسها، فبدأ ابن دراج
 بمخاطبة زوجته التي زهرته ومنته من الرحلة خوفاً عليه من هطاط السفر، وهو كأي
 لوماس، بعد زوجته بأن رحلته إلى الممدوح تدر عليه المال الرقيق ليهون عليها الفراق،

(١) الشعر والشعراء: ٣٠٠ د. مصطفى الشكعة.

(٢) ديوان ابن دراج المصطفى، القصيدة رقم (٧٨).

يقول:

فإن خطيرات المهالكِ طَبْرٌ لراكبها أن الجزاءَ خطيرٌ

ولقد صير ابن دراج عن أبي نواس في تصوير الجانب الأسري وعاطفة الأبو، نزوحه تطلب منه أن يعدل عن الرحلة إكراماً لها ولطفتها، لأن غيابها عنهما ربما يهرضهما للحرمان منه فتشكك هري أسرته، فيقول:

ولما تداثت للوداعِ وقد هَفَا بصبري منها أنةٌ وزليزُ

تأشِدني عهدُ المودةِ والحرى وفي المهدِ مِعْجَمُ النداءِ صغيرُ

عيني بمرجوعِ الخطابِ ولقطةُ بموقعِ أهواءِ الفسوسِ خيرُ

ثم ينتقل ابن دراج إلى وصف الرحلة ومساقتها ومناعبها، واختلف في الوصف عن طريقة أبي نواس عندما ذكر المدن والمواقع التي مر بها، فضلاً عن وصف الشقاء، وفي وصف مشاق الرحلة، يقول:

وأنتشيقُ التكبأءَ وهي يوارحُ وأستوطنُ الرُمضاءَ وهي تفورُ

وللموتِ في عيشِ الجبانِ تلونُ وللذمِّ في سعِ الجريءِ صغيرُ

أميرٌ على غولِ التناقِ مائةُ إذا ربيعَ إلا المشرفي وزيرُ

ثم ينتقل بعد ذلك إلى ممدوحه (المنصور بن أبي عامر) ويستغرق عنده الممدوح أكثر من نصف القصيدة، ومما قاله في مدحه:

وأبي فتىً للدينِ والمليكِ والندي وتصديقَ ظنِّ السراجهينِ كزورُ

مجيرُ الهدى والدينِ من كلِّ ملحدٍ وليسَ عليه للضلالِ مجيرُ

تلاقتُ عليه من تميمٍ ويعربِ شومنَ تاللاً في الغلا يدورُ

من الخميريينَ الذينَ أكفبمُ محالها تهمي بالندى وبحورُ

ويختم ابن دراج قصيدته بالاحتذاء من الممدوح فيقول:

حائبك في غفرانِ وآلةِ نائبِ وإن الذي يجزي به أغفورُ

وقصيدة ابن دراج، وإن التفتت مع قصيدة أبي نواس في الموضوع والوزن والقافية، إلا أنها اختلفت في عدد الأبيات، عندما بلغت قصيدة أبي نواس أربعين بيتاً نجد قصيدة ابن دراج بلغت خمسة وستين بيتاً، واختلفا في نظرتهما للممدوح، فقد حسد أبو نواس جانب الكرم عند ممدوحه الحبيب (صاحب خراج مصر) في حين حسد ابن دراج

بشخصه القائد العربي المسلم الذي جمع الدين والدنيا وهو الحاكم الفعلي للأندلس،
ويمكننا القول: إن ابن دراج قد تفوق على أبي نواس واستطاع أن يشق خباياها
تجاوزت تصيدة متفوقة في معانيها وصورها ولغتها، وأربابا تقدم عليه في بعض الآيات.
ب - المعارضات في الوصف:

ويعمد ابن عبد ربه إلى نوع ثانٍ من المعارضة الشعرية، وهو المعارضة الناقصة،
لمعارضن أبا تمام في وصفه للقلوب، وهو في هذه المعارضة لا يلتزم روي التصيدة السابقة
التي يعارضها كما فعل من قبل مع مسلم بن الوليد، وإنما ينظر إلى معانيها، ثم يشين
تصيدا لتضمن هذه المعاني مع شيء من التقلب والتغيير والعكس والإسهاب^(١).

ومما قاله أبو تمام في وصف القلم:

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِيَابِهِ	يَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَفَاعِلِ
لَعَابُ الْأَقَاعِي الْقَالِلَاتِ لَعَابُهُ	وَأَرَى الْجَنَى إِشَارَتَهُ أَيْدٍ عَوَامِلِ
لَهُ رِقَّةٌ طَلُّ وَلَكِنَّ وَالْقَبَا	بَأَنَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ وَبِئْسَ
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَعْلَمَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ	وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
إِذَا مَا امْتَطَى الْحِمْسَ الْمَطَافِ وَأَفْرَعَتْ	عَلَيْهِ لَعَابُ الْفَكْرِ وَهِيَ حَوَالِلِ
أَطَاعَةُ أَطْرَافِ الْقَنَا وَتَفَوَّحَتْ	تَنْجَوَاتُ تَقْوِيضِ الْحِيَامِ الْجَوَالِلِ
إِذَا اسْتَفَزَّ السُّهْنُ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ	أَعَالِيهِ فِي الْفِرَاطِ وَهِيَ أَسْفَلِ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْحَصْرَانُ وَسَدَدَتْ	ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَتَامِلِ
وَأَيْتٌ جَلِيلاً شَأْنُهُ وَهُوَ عَرَفَتْ	جَنَى وَسَمِيئاً خَطْبُهُ وَهُوَ تَاهَلِ ^(٢)

وقال ابن عبد ربه معارضاً:

بِكَفِّهِ سَاحِرُ الْبَيَانِ إِذَا	أَدَارَةٌ فِي صَحِيفَةِ نَحْوِهَا
يَطْبُقُ فِي عَجْمَةِ بِلَطْبِهِ	يَصْنَعُ عِنْدَ وَتَسْمَعُ الْبَصْرَا
لَوَالِدُ يَفْرُغُ الْقَنُوبِ مِمَّا	إِنْ تَسَمَّيْتُهَا وَجَدْتُهَا حَبْرَا
نَظَامُ دُرِّ الْكَلَامِ حُضْنُهُ	بِنَا حَطَّ الْكُتُبِ مُسْتَنْظَرَا

(١) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة فرطية: ٢٠٢.

(٢) شرح السويدي لديوان أبي تمام: ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥، تصح: ف. حلف رشيد نعمان، بغداد ١٩٨٢ م.

وأقرها ابن عبد ربه في العقد: ٤ / ١٩٦ - ١٩٧.

إذا امتطى الخِصْرَيْنِ أَذْكَرَ مَنْ سَحِيحًا فِيمَا أَطَالَ وَاحْتَصَرَ |
 بِحَاطِبِ الْعَالِيَةِ الْبَعِيدِ بِمَا بِحَاطِبِ الشَّاهِدِ الَّذِي خَضَرَ |
 تُسْرَى الْمَقَادِيرَ تَسَدِّدًا لَهُ وَتَسْفُدُ الْحَادِثَاتُ مَا أَفْرَأَ |
 ضَحَتْ^(١) عَنِيْلُ لَعَلَّهِ خَطَرَ أَعْظِمَ بِهِ فِي مَلْئَةِ خَطَرَا |
 صَحُّ لِكَاةٍ رِيْقَةً صَفَرَتْ وَخَطْبُهَا فِي الْقُلُوبِ قَدْ كَثُرَا^(٢)

ولا بد من الإشارة بأن ابن عبد ربه في كتابه (الغنية في الأجنوبة) تناول الكلام عن الأقبلي، وساق قطعة شعرية لعدد من الشعراء، منهم أبو الحسن بن عبد الملك الماشي، والعلوي، وأبو عامر، والبحري، وابن أبي طاهر، ثم أورد تلك القصائد والمقطعات بقصيدته الرائية المتقدمة في القلم^(٣).

ومن الباحثين الذين وقعوا وقفة متأنية عند معارضة ابن عبد ربه المذكور أحمد هيكل، حيث وازن بين القصيدتين^(٤)، ووجد أن ابن عبد ربه قد استعار المعاني من قصيدة أبي عامر في وصف القلم ومعارضها على الشكل الآتي:

له رِيْقَةٌ حَلٌّ وَكَثْرٌ وَغَبَا بِأَثَرِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْبَلْ
 أما القلم عند ابن عبد ربه فإنه:

صَحُّ لِكَاةٍ رِيْقَةً صَفَرَتْ وَخَطْبُهَا فِي الْقُلُوبِ قَدْ كَثُرَا

والقلم عند الشاعرين يمج ريقه قليلة، واستمد أبو عامر صورته من الطبيعة وجعل الريقة عندما يحجبها القلم طلاءً، ثم يضاهف تصبيراً وابلأً، أما ابن عبد ربه فإنه قصر عن أبي عامر في هذه الصورة، وقدم الفكرة تقديماً إخبارياً ساذجاً.

والقلم عند أبي عامر:

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَطْفَأَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ حَاطَتْهُ وَهُوَ رَاجِلٌ

أما القلم عند ابن عبد ربه:

يَتَلَقَّى فِي عَجْمَةٍ بِالْمَطْبِ نَصَمٌ عَنْهَا وَتَسْمَعُ الْبَصْرَا

(١) المشجعة: التلويح الطاهر.

(٢) الديوان: ٤٧، وذكرها ابن عبد ربه في العقد مع: ٤ / ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) العقد الجديد، مع: ٤ / ١٩٤.

(٤) الأدب الأندلسي: ٢٠٦ - ٢٠٤، د. أحمد هيكل.

والقلم عند أبي تمام ناطق في فصاحته، إذا تناوله الكاتب وبدأ يخط، وأخرس أجمع إذا تركه كاتبه ولم يستنطقه. وتتلازم الفصاحة مع النطق في قلم أبي تمام، كما قلم ابن عبد ربه فهو ناطق في عجمته، ولم يتطرق ابن عبد ربه إلى شرط الفصاحة مع النطق، وبذلك اختلفت صورة القلم عند الشاعرين.

والقلم عند أبي تمام:

إذا ما امتطى الحسن اللطافَ والمروضَ عليه شعابُ الفكرِ وهي فوائِلُ
أطرافُ أطرافِ القنا وتروضتْ لحنواةِ تقويضِ الخيامِ الجحافلِ

أما قلم ابن عبد ربه:

إذا امتطى الخنصرين أذكُرُ من سحبانٍ فيما أطالَ واحتصرَا

والقلم عند ابن عبد ربه فارس في ميدان البلاغة فهو يشبهه بأحد بلغاه العرب وهو سحبان بن وائل، وقلمه منقط للخنصرين فقط.

أما قلم أبي تمام فهو منقط للأصابع الخمس، وهو فارس ميدان حقيقي يأمر بقطاع، ولم يوفق أبو تمام في هذه الصورة، لعدم تلازم أجزاء الصورة في البيت الأول، فضلاً عن وجود بعد بين المشبه (القلم) والمشبّه به (الفارس الحقيقي)، ولعل ابن عبد ربه أقرب إلى الواقع عندما شبه (القلم) بس (سحبان وائل) فارس البلاغة.

والقلم عند أبي تمام:

رايتُ جليلاً شائلاً وهو مرهفٌ ضئيلٌ وسيناً خطبه وهو ناعلٌ

أما قلم ابن عبد ربه:

شخبتُ ضئيلاً لبعثه خطراً أعظمُ به في مُلمّةِ خطراً

والقلم عند الشاعرين طفيل، ولكن أثره ضئيل، غير أن أبا تمام في بيته أبي زيادة مفسدة عندما وصف خطره بأنه ((سمن))، ولعل ذلك يعود إلى حب أبي تمام الشديد للمقابلة بين الألفاظ، ومن الملاحظ أن ابن عبد ربه في معارضته لأبي تمام حاول تحديد الصور بالإضافات والتعديلات، نوفق حيناً وأخطئ حيناً آخر.

واعتمد أبو تمام وابن عبد ربه في وصفهما للقلم على التشخيص^(١)، ونجد أن

(١) التشخيص: وهو من الظواهر التي يرسم فيها الشاعر صورة ناشئة بالحياة، ويمثل في خلق الحياة على المحسوسات الجمادة، والظواهر الطبيعية المصاحبة، حتى إنها تعامل معاملة الذي يعقل ويتفهم.

الشاعرين اتفقا على اصباح صفة الحياة على القلب، فيصفانه وكأنه إنسان أمامهما مسبقين عليه الصفات الإنسانية، والشواهد كثيرة بين القصيدتين.

ولم تقتصر المعارضات الشعرية في الوصف على معارضة الأندلسيين للمشارك، بل تعدت المعارضة في الوصف على معارضة الأندلسيين فيما بينهم، ومن المقطعات التي شعف بها الأندلسيون وعارضوها، مقطعة فاطما أبو علي اندريس بن اليماني العبدري الياسي (ت: ٤٧٠ هـ) في وصف الحمامة، من قصيدة في مدح ابن راحب مطلعها^(١):

واذي الأراكِ أطلّتْ شكوى الشاكي
بقول فيها في وصف الحمامة:

ورقاً مطوّفةً السوائفِ سدىً
لم يحسكِ منعها حياةً حاكِ
تشدو عليّ خطرِ العصونِ بآلئِ
صغتِ علائقها بلا سواكِ
وكأنّ أرجلها القواصي ألبت
لغلاً من المرجانِ دونِ شراكِ
وكانها كُجِلتْ بشارِ جواحي
فصرى لأعينها لبياً حشاكِ

وعارضه أبو الربيع القضاعي في صفتها وليس في وصفها ويعتذر ابن بسام عن رواية شعر أبي الربيع القضاعي في وصف الحمامة لأن أبا الربيع خرج إلى ذكر الحمامة بوصف غير رائق استرد فيه، ورأى أن لا يكون ممن يرويه^(٢).

ومما قاله أبو الربيع القضاعي في صفة الحمامة معارضاً اندريس بن اليماني^(٣):

رُغمَ العيْرُ بأنكِ حاكِكِ
كذبِ العيْرُ وما حكي وذاكِ
هذا شيمكِ قلبهبةً نسيمةً
حسنيّ تسيّنَ مقالةَ الألكِ

وتخلع عليها صفات المخلوقات العاقلة المدركة للابضة بالخرقة، وهو الذي يطلق عليه الغربيون اسم (PERSONIFICATION).

ينظر: الطبعة في المزان الكريم: ١٦٠، د. كاسيد ياسر الزبيدي، بغداد: ١٩٨٠، الصورة الفنية معياراً نقدياً: ٤١٩، د. عبد الإله الصانع، بغداد: ١٩٨٧، ونظر: المديح في شعر صدر الإسلام: ٢٠٨ حليف حسين علي، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ١٩٨٧.

(١) الذخيرة، ج ٣ م ١: ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣ م ١: ٣٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣ م ١: ٣٤٥.

وَأَنْ أَدْعَى وَنَحْمُ الْفَلَاحَةَ بِأَنْ فِي عَيْبِهِ غَمَّةٌ عَيْنِكَ السَّخَّالِ
 قَلْبًا نَبِيحًا بِمَقَاتِلِهِ مُعَاوَلًا حَتَّى تَقْتُلَهُ قَوْلُهُ عَيْنَاكَ
 وعارضه يحيى بن هذيل في صفة الحمامة وقال^(١):

وَمُرْبُورَةٌ وَالذُّجُنُ يَسْبُحُ فَرُوقَهَا بُرُوقَيْنِ مِنْ طَلِّ وَنُورِهِ بِالْ
 مَالَتِ عَلَيَّ طَيِّبُ الْجَنَاحِ وَالْمَا جَعَلَتْ أَنْ يَكْتُمَهَا قَضِيْبَةُ أُرَاكِ
 وَتَرَمَّتْ لَحْنِي قَدْ حَلَّقَتْهُمَا بَعْدَاءُ فَسَمِعِيهِ وَأَنَّهُ شَاكِ
 فَلَقِدْتُ مِنْ نَفْسِي تَهْرُطٍ تَلْفِي نَفْسَ الْحَيَاةِ وَقَلْتُ مَنْ أَيْكَاكَ
 وعارضه في وصف الحمامة يوسف بن هارون الرمادي (ت ٤٠٣ هـ) بقوله^(٢):

أَحْمَامَةٌ فَوْقَ الْأَرَاكِيَةِ تَلْفِي بِحَيَاةٍ مِنْ أَيْكَاكَ مَا أَيْكَاكَ ؟
 أَنَا أَنَا فَيْكَيْتُ مِنْ حُرْفِي الْهَوَى وَقِرَاقٍ مِنْ أَهْوَى، آتَيْتُ كَذَاكَ ؟
 وعارضه في وصف الحمامة أيضاً أبو مروان المعروف بالبليبة، فقال من قصيدة
 أولها^(٣):

يَوْمَ الْعَقِيْبِ عَدَوْتُ مِنْ قِتْلَاكِ لَمَّا رَمَتْ بِهَا مَهَا عَيْنَاكَ
 ثم خرج إلى صفة الحمامة، فقال:
 أَحْمَامَةٌ يَكْتُمُ الْفَدِيْلُ وَإِنَّمَا غَمِيْتُ قَعَلْتُ فَوْقَ غُضَنِ أُرَاكِ
 مَعشُورَةٌ الطَّوِيْفُ ذَاتَ قَلَانِدِ غَمِيْتُ جَوَاهِرَهَا عَنِ الْأَسْلَاكِ
 نَاحِتًا عَلَيَّ غَضِنٌ وَكُلُّ شَيْخٍ يَكِي يَوْمًا يَلَا دَمْعَ فَيْسِي بِسَاكِ
 لَوْ كُنْتُ صَادِقَةً وَكُنْتُ شَجِيَةً جَاءَتْ دَفْعُوكَ حِينَ جَدُّ نَكَاكِ

وتحسن نضع هذه المقطعات الشعرية في الميزان نجد أن أبا علي اندلسي بن البهائي البغدادي، قد قدم صورة رائعة لوصف الحمامة، لذلك أتى عليه ابن بسام بقوله: ((وأجاد أراءك وزاد))^(٤).

(١) الذخيرة، ج ٣ م ١١ ص ٣٤٩.

(٢) شعر الرمادي يوسف بن هارون: ٤٦، نج: ماهر زهير حرارة، ط ١، بيروت، ١٩٨٠.

(٣) الذخيرة، ج ٣ م ١١ ص ٣٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٣ م ١١ ص ٣٤٥.

وأطلق أبو الربيع في معارضته في وصف الحمامة، لذلك احتلز من بسام^(١)، كما قدمنا من رواية شعره في الوصف واكتفى بإيراد أربعة أبيات في صفتها وتابعه يحيى بن هذيل، وأبو مروان البتية في معارضة ادريس في صفتها، في حين تفرد الرمادي بين هؤلاء الشعراء في المعارضة في وصف الحمامة ملتبساً مع ادريس بن علي وهو الواصف الأول للحمامة.

واعتمد الشعراء الأندلسيون هنا في المعارضة على مبدأ التشخيص، فقد أسبغ الشعراء على الحمامة صفة الإنسان، فأخذوا يحاطبونها وكأنها لهم، ولم يقتصر أبو الربيع القضاعي على إسباغ صفة الإنسانية على الحمامة، فجعل العبير يتلفظ ويحاكي الحمامة، حيث أعطاه صفة إنسانية بقوله:

زعم العبيرُ بأنه حائكك كذب العبيرُ وما حكى ربك

كما أسبغ الصفة الإنسانية على الغزال حيث جعلها تدعي، بقوله:

وإن أدعى ربح القلاة بأن في عيبه حمصة عينك السفاك

ولم يشخص يحيى بن هذيل مقطعته، في حين يشخص يوسف بن هارون الرمادي مقطعته ويسبغ على الحمامة صفة إنسانية ويسأها وكأنها إنسانة فيقول:

احمامة فوق الأراكمة تشفي بحياة من أبكأك ما أبكأك ؟

ويشخص أبو مروان المعروف بالبتية مقطعته ويسبغ على الحمامة صفة البكاء وهي صفة إنسانية فيقول:

احمامة بكت الهديل وإنما طربت فغئت فوق حصن أراك

وتبين حال الحمامة عند الشعراء، فهي شادية عند ادريس، إذ يقول:

((تشدو على حُضْر العصون بالسن)).

وحمامة كل من يحيى بن هذيل والرمادي باكية إذ يقولان لها: ما أبكأك ؟

ج - المعارضات في النوريات:

وهو خسر من المعارضة في الوصف، إلا أنه وصف من نوع خاص، وصف للنوريات، في معارضة نوريات المشاركة، وقد وقف ثلاثة من الشعراء الأندلسيين وهم: أبو الحزم جهور بن أبي عمير، وسعيد بن فرج الجياي، وأبو بكر بن القوطية، على نصيدة

لابن الرومي، فضلها الترحس على الورد، لمعارضوه ثامة فضلوا فيها قصائد الأزهار على الورد، قال ابن الرومي في الترحس^(١):

للترجس المفضل الميخ وإن لي	أب وحذاء عن الطريقة حائذ
من فضله عذ الحجاج يائذ	زهو وكوز وهو لبث واحد
يحكي مصايخ الماء وتارة	يحكي مصايخ الوجوه تراصد
ينبى الندم على القبح بلحظه	وعلى المدامه والساج فساعد
اطلباً يفتول في الملاح سيئة	أبداً فإنك لا محالة واجد
والورد لو فشت فرداً آمنه	ما في الملاح له سئ واحد
هذي التجوّم هي التي وثبنا	بحيا السحاب كما يري الولد
فما لي إلا من من أدلائها	شبهاً بوالده، فذاك المايد
أين العميون من الحدود تقامه	ورياسة لولا القياس القامد

قال أبو الخزم بن جهور معارضاً ابن الرومي^(٢):

الورد أحسن ما رأيت عني وأذ	كسى ما سقى ماء السحاب الجائد
خضعت نواويس الرماهي لحسبه	فتدللت تقاذ وهي شوارذ
وإذا تبدى الورد في أخصابه	يزهو فلما قبت وهذا حامد

(١) ديوان ابن الرومي: ٢ / ٦٤٢ - ٦٤٤، نج: ٥، حسن نصارك، القاهرة، ١٩٧٤.

(٢) الحلة السريانة: ٦ / ٢٤٦ - ٢٥٠، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، نج: ٥، حسين مؤنس، ج ١، وبظن: نصح الطب: ٦ / ٣٠٤.

وقد خلط نفر من أصحاب الترحس في نسبة هذه الأبيات لفصل ليس بن أبي الخزم جهور بن أبي عبيد، وحسينه الوزير أبي الخزم جهور بن محمد بن جهور الذي استبد بطريقة وتوفي سنة (٤٢٥ هـ) وذلك لاشتراك الإثنين في الاسم والكنية فنسب لصاحب طريقة شعراً ليس له، ويمكن وقع في هذا القيس الحميدي في جنود المقيس: ١٣٣، والغني في الجهاد: ٢٦٠ - ٢٦١، وذلك لاعتناء الأخير على الحميدي في نقل الترحس عن الخلود، وفصل ابن الأبار في حله هذه المسألة ونقشها مناقشة طريقة (٦ / ٢٥٠) ووقع في القيس أيضاً، الفتح بن خلفان عندما ترجم الوزير بن جهور بن محمد في كتابه مطمح الألفس ومسرح الناس في ملح أهل الأندلس، ونسب الفتح الأبيات في القسم الأول من كتابه للحفيد وليس للجد، والصوراب أن تكون للجد، وقد نبه عن هذا الخلط محمد علي شوايكة، محقق الكتاب: ١٨٤ - ١٨٦.

وإذا أتسى وفد الربيع قشراً
ليس المبشّرُ كالمبشّرِ بآبِهِ
بطلوع صلحته فَعَمَّ الوالدُ
حَسْرَ عليه من التوبة شاهدُ
بقية عوارفة فُهِنُ حوالدُ
وعارضها سعيد بن فرج الجبالي، فقال^(١):

عني إليك فما القيسُ الغائبُ
أزغبتُ أن الوردة من تفضيله
إن كان يستحي للفضل جماله
والنرجسُ المصفرُ أعظمُ ربه
ليس البياضُ بصفرة في وجهه
والنرجسُ المنحطُ إما رابعه
وحتمها بقوله:

وإذا فطرتُ على الحدودِ بمقلة
ولو إن فعلاً للكواكبِ في الثرى
وتسارع السوازلِ شبه صفاتها
الوردةُ وقاد التوقدِ ناصرُ
وعارضها أبو بكر بن القوطية^(٢) فقال:

كيفتُ حدودِ النرجسِ المصفرُ من
واصفراً حتى كذا أن يفضي أسى
هياتِ للوردةِ المفضلِ كُلباً
فصل القضيبة إن هذا منبغ
وكنفى اقتحاراً إن هذا ناقى
جندٍ وقد يلوي العمدو الحابذُ
لما رأى الوردة الذي هو وارذُ
وإن ادعى الكذبياً فيه تعابتُ
فصل الربيع وكلُّ نورٍ باتذُ
غضباً ومبتذلاً وهذا كاسدُ

(١) السدوع في وصف الربيع للعبيرين: ٢٧ - ٨٢، مع: هنري بيرس، المطبعة الاقتصادية بالرباط،

(٢) يراجع الدكتور إحسان في الممشى (١) من الذخيرة: في ٢ م ١: ٢١٥، أن ابن القوطية المقصود هنا هو صاحب الشرطة الحفيد، وليس المعروف بأبي بكر محمد بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية صاحب كتاب الأفعال وكتاب اقتراح الأندلس.

لو لم يكن للورد إلا إله
بقى وبقي ماؤة المعاهد
وأنه منافع لا تجعل كثرة
ومراقب مشكورة وفوائد
والترجس المصغر ليس بنافع
فبأ ولا في السوي إذ هو والبد
هنا عقيم لا يشاء بذكره
أبداً وعقب الورد باقي خالد^(١)

بعد أن وجدنا هذه القصائد الأربع في ميزان النقد، وجدنا ابن الرومي يتبع قصيدة دالية يفضل بها الترجس على الورد، ويرى أحد الباحثين أنه كان (استعاضاً بظواهر الطبيعة تعابه في بعض شاذج القبح والوصف، فيعارض بين زهرة وأخرى، مظهراً فضل أحدها على الثانية منفضحاً عن شدة تشبه المواضيع الثبات والرموز التي تحفل بها الطبيعة)^(٢)، إلا أنه كان في نظر الشعراء الأندلسيين الثلاثة^(٣)، خامطاً حق الورد فعارضوه بقصائد تامة، حاولوا أن يبنوا خطئ رأيه معتمدين الحاججة، وأولهم أبو الحزم بن جهور يرد على ابن الرومي، ويفضل الورد على بقية الأزهار، فالورد أحسن ما رأت عينه، ويحمد في رده على موروثه الثلاثي والدني، فيرد رثاً طريفاً بقوله:

وإذا أتى ولقد الربيعُ مبشراً
بطلوع صلحيه فيقيم الوالدُ
ليس المبشرُ كالمبشرِ باسمه
حسبَ عليه من النوة شاهداً

فالورد عنده هو الذي يسبق فصل الربيع، ويظهر للعيان مبشراً بمقدم الربيع، وبني على الورد (ينعم) وهي للممدوح، وهو يشبه الرسول محمد ﷺ بالورد، والمؤمنين المبشرين بشيئهم بفصل الربيع، ولا شك أن الرسول ﷺ هو أفضل عباده الله قاطبة فهو ولا شك أفضل من المبشرين بالجنة، وكذلك فالورد أحسن من فصل الربيع.

أمما سعيد بن فرج الجاني، وأبو بكر بن القوطية، فقد نصبا نفسيهما محامين يدافعان عن مظلوم وهو الورد، وقد ظلمه الجاني ابن الرومي، وجعل الأمر قضية لها حاكم وشهود وأداة وبراهين، ومثال ذلك قول سعيد بن فرج الجاني:

عني إليك فما القياسُ الخامسُ
إلا الذي رآه العيانُ الشاهدُ

(١) السديع في وصف الربيع: ٧٢ - ٧٤، وينظر: شعر أبي بكر بن القوطية من أميات ليلة الجمعة

طبعة: ٩٥، نج: هدى عويكيت بنام، حطة الورد، ١٤ / ١ / ١٩٨٥، وهي في (٢٠) بيتاً.

(٢) ابن الرومي قد وثقته من خلال شعره: ٤٠ إليها حازي، ط: ٢، بيروت، ١٩٨٠.

(٣) تقدم ذكرهم في الصفحة السابقة.

والقياس من عدة الحكام في القضاء بين الناس، ليقبسون حكم حالة متأخرة على سابقة لها، ضالتها وتوازيبها، وكذلك ورد عنده ((العيان الشاهد)) فلا يمكن أن يتم حكم دون شهود.

وكذلك قول أبي بكر بن القوطية:

هيئات للسورِ المُضالِّ كُلِّها وإن ادعى التكليبَ فيه معانيدُ
فصلُّ القضيةِ إنَّ هذا متبعٌ فصلُّ الربيعِ وكلُّ نُورٍ بانيدُ

ولو نظرنا إلى مفردات ابن القوطية: (ادعى، التكليب، معاند، قضية) وجدناها من محاولات المحاكم، وقد وفق الشعراء الأندلسيون في المعارضة إلى حد بعيد من ناحية البناء الفني.

د - المعارضات في المجلد:

وأول من بطلنا يحيى بن الحكم الغزال (ت ٢٥٠ هـ) والذي عارض أبا نواس معارضة تامة بأسلوب القصة الشعرية، وقصة المصيدة كما نوردها المقرئ^(١)، أن الغزال عندما رحل إلى العراق ضمّه مجلس هو في بغداد ووجد هؤلاء يلهجون بذكرى أبي نواس ويرون أنه لا يندبه أحد، كما وجدهم يزرون بأهل الأندلس، وشعرها والغزال يستمع إليهم، فلما تناولوا في حديثهم ذكر أبي نواس قال لهم من يحفظ منكم قوله:

ولما رأيتُ الشرابَ أخذتُ سِماؤَهُمُ تَأبَّطْتُ رَقِيصَ واحْتَمَيْتُ عَدائِي
فلما أتيتُ الحانَ ناديتُ وَثِقَةً فهِباً خفيفَ الروحِ نحوَ نَدائِي
فليسَ هِجُوعَ العَيْنِ إلا تَعَلَّةً عَلى وِجِلِ مَنِي ومِنْ نَظرائِي
فقلتُ أَذَلَّيْها فَلَمَّا أَذائِي طَرَحْتُ إِلَيْهِ رِيطِي وِردائِي
وقلتُ اعْرُثِي بَدَلَةَ اسْتِثْرِ بِها بَدَلتُ لَها فِها طِلاقَ نِساِي
فوالله ما بَرَّرتَ عيني ولا وَفَّتَ لَما عَبرَني لَني خَدايَ بِوِفايِي
وأنتَ إليّ صَحيحٌ ولم أَلِ أَيْباً فَكُلُّ يَدائِي وَحَقِّ لَدائِي

وأعجب المجلس هذه القصيدة التي شابهت شعر أبي نواس فتصوروا أن الغزال يشدهم شعراً لأبي نواس لم يسموا به من قبل، ولما أنزلوا قال لهم: حفظوا عليكم فإنه

لي، فالتكروا ذلك، نأخذهم قصيدة أخرى لها:

لداركتني في شرب النبيذِ خطيبي
وفارقت فيه ضيمتي وحياتي
فلما أتم القصيدة بالإنشاد جعلوا والترفوا عنه^(١).

ونرجح أن قصيدة أبي نواس التي عارضها يحيى بن الغزال كانت في مدح
هارون بن الرشيد والتي يقول فيها^(٢):

لقد طال في رسم الديار بُكايي
كأن مريع في الديار طريدة
فلما بدا لي الياس عنيت ناطي
إلى بيت حان ما تهر كلاله
لما رمته حتى أتى دون ما حوت
فإن لم تلك الصبابة أزدت بالدي
وحسبها بمدح هارون الرشيد:

إمام يحال الله حتى كالمنا
أشم، طوأل الساعدين، كالمنا
يراقب ألقية صباح مساء
يُناط تجراداً ميلة بلواء

عسند وضع القصيدتين في الميزان، نجد قصيدة أبي نواس من الشعر التقليدي الذي
ساده صاحبه بالوقوف على الأطلال، ثم انتقل إلى وصف حالة الياس عنده، التي عالجها
باللجوء إلى حانة الخمر لأنها منقسمة الوحيد، الذي يهرب فيها غضبه وينسى همومه، هذا
الحسان الذي طالما تردد عليه حتى أصبحت الكلاب التي في باه تألفه ولا تنكره، وأبو
نواس عندما يشرب الخمرة فإنه لا يفكر بكم سيكلفه سعرها، وهو يفتق كل ما في بيته
حتى لا يلقى شيئاً عنده فيضطر أن يدفع بذلك وحذاءه لقاء المزيد من الشراب، ثم ينتقل
إلى وصف الكؤوس المترعة بالخمرة قبل أن يشربها، وبعد ذلك يصل إلى الغرض الرئيس
الذي قيلت فيه القصيدة وهو المدح.

أما أسلوبه الشعري فإنه يتنازع بالسهولة حتى يقارب لغة التخاطب اليومي، أما
قصيدة يحيى الغزال، فلها تعلق مع قصيدة أبي نواس في الأسلوب الشعري السهل، ويقدم

(١) المطرب: ١٤٧ - ١٤٨، تجميع الطوب: ٢ / ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) ديوان أبي نواس: ٣٥٨ - ٣٥٩، القصيدة في (١٣) بيتاً.

الغزل قصيدته بأسلوب القصة الشعرية، إلا أن قصيدته لم تكن تقليدية بل اعتمدت على عنصر واحد هو الحمرة، فيصف بلوجه إلى حانة الخمر في ساعة متأخرة من الليل، وهو يستأدي رب الحان، ذلك الرجل الذي لا ينام ويسير مع الندامى ملجأ طلباتهم ليستقبل النزول، بخفة روح يستحسنها، ولما يتورط في احشاء الحمرة، فإنه يحب منها كثيراً، إلى أن يناع بدله، وهذا احتذاء واتضح بموقف أبي نواس، عندما شرب وانلس، ودفع بدله لرب الحان، والغزل بعد أن ارتوى لا يذله أن يغادر الحان، فيعود ويطلب من رب الحان إعادته بدلة عوضاً عن بدله التي ذهب بها الشرب، والقصيدة في جعلها تصوير لمعارضة أبي نواس الذي عرفته عنه البراعة والدقة في التصوير، وقد وفق الغزل إلى حد كبير في هذه المعارضة، ودليلنا أنه استطاع أن يوهم السامعين بأن هذا الشعر الذي ينشده هو لأبي نواس.

هـ - المعارضات في الغزل:

وفي هذا الميدان يطالعنا ابن عبد ربه، وهو يعارض صريح الغواني معارضة تامة فيقول ابن عبد ربه، ومما عارضت به صريح الغواني في قوله:

أديروا عليّ الرّاح لا تشربوا قبليّ ولا تظنّوا من عند قاتلتي ذخلي
فيا حوّني أليّ أمتوت صباةً ولكنّ عليّ من لا يحملّ لهُ قنّتي
فديتُ التي حدّثت وفالتُ لثربها ذعبي، الثّربا منة القرب من وصلي^(١)

ويبين أديبنا شرح المديوان نجد صريح الغواني يضيف إلى ما ذكره ابن عبد ربه

يقول:

كتمتُ تباريح الصّباة عابلي فلم يدّر ما بي فامتزجتُ من العذل
وختمها بقوله:

ماتقائد للذّاتِ مَجع الصّبا لأمطيّ هي أو أصيب فتّي متلي
هل العيش إلا أن أروخ مع الصّبا وأخذو صريح الرّاح والأعين الثّجل^(٢)

ويقول ابن عبد ربه، قللت علي ربه:

(١) العبد القريظ: ٣٩٨/٥، ويطر: ديوان ابن عبد ربه: ١٣٦، نج: د، محمد رضوان الداية، ط ١، بيروت ١٩٢٩ م.

(٢) شرح ديوان صريح الغواني، القصيدة رقم (٢)، نج: د، سامي الشعان، ط ١، مصر ١٩٥٧ م.

أقتناني ظُلماً ونجحتني قتلي وقد قامَ من عيبك لي شاهدٌ عدلٍ
اطلاباً ذَخِلني لسنِّ بي غيرَ شادنٍ بعينه سحرَ فاطلوا عنده ذَخلي
أغارَ عليّ قلمي فلما أيقنه أطالبُةً فيه أغارَ عليّ عقلي
ومنها بقول:

كحمت الهوى جهدي فخرجة الأسي بقاء الكفا هذا يحطُّ وإذا يُعلى
وأحييت فيها العدلَ حيناً لذكرها فلا شيء أشبه في فؤادي من العدلِ
القولُ قلبي كُلماً طامه الأسي إذا ما أبيت العزَّ فاصبرْ عليّ المذلِ
وحتمها بقوله:

وجدت الهوى تصلاً من الموتِ مغيماً فخرجة ثم اتكأتْ عليّ التصلِ !
فإن كنتَ ملتولاً عليّ غير رية فأنت التي عرضتِ نفسي للقتلِ^(١)

وأول من وزن بين القصيدتين هو ابن عبد ربه نفسه حينما قال: ((ومن نظر إلى سهولة هذا الشعر مع بدیع معناه ورفقة طبعه، لم يفضلهُ شعر صريع الغواني عنده إلا بفضل التقديم ولا سيما إذا قرن قوله في هذا الشعر:

كحمتُ الذي ألقى من الحُبِّ عاقلي قلمٌ يدري ما بي فاسفرحتُ من العذلِ
بقولي في هذا الشعر:

وأحييتُ فيها العدلَ حيناً لذكرها فلا شيء أشبه في فؤادي من العدلِ^(٢)
والتيين قبله وبعده))^(٣)، ومن الملاحظ أن ابن عبد ربه أبدى إعجاباً كبيراً بتقصيده وفضلها على قصيدة صريع الغواني، وتابعه الباحثون في الموازنة بين القصيدتين.

ويرى الدكتور جبرائيل حور ((أن ابن عبد ربه قد وثق في معارضته لصريع على تأثره له من ناحية القافية والبحر وبعض الألفاظ والمعاني والاستعانة بالبدیع وعلى كونه لم ينظم معارضته هذه إثر حادثة خاصة مع حسناء خاصة))^(٤)، وأشار الدكتور إحسان

(١) العبد القريد: ٥ / ٣٩٨ - ٣٩٩، ويظر: ديوان ابن عبد ربه: ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) وردت روايته في الديوان:

كحمتُ تاريخ الصباية عاقلي قلمٌ يدري ما بي فاسفرحتُ من القذلِ

(٣) العبد القريد: ٥ / ٣٩٩.

(٤) ابن عبد ربه، د. جبرائيل حور: ١٨٦، ط ٢، بيروت ١٩٧٩.

عاش إلى منيع ابن عبد ربه الخصاص في هذه المعارضة بقوله: ((وطلبته في المعارضة التزام التعالي الأصلية ومحاولة عكسها أو الزيادة فيها، فإذا قال مسلم: ((لا تطلب ^(١) ذحلي)) قال ابن عبد ربه:

أطلابٌ ذحلي لیس بی غیر شان
بعینه سحرًا فاطلبوا عنده ذحلي

فنعكس المعنى عند صريع الغواني، وإذا تحدث مسلم أنه كتم الحب عن عاذله فاستراح من العذل قال ابن عبد ربه إنه يحب العذل لكي يذكر اسمها ولا شيء أحب إليه من العذل، وإنه حقاً كتم الحب كما كتمه مسلم ولكن الأسي هو الذي أخذ بعنقه بناء البكاء:

وأحييتُ فيها العذلَ حيناً لذكرها
فلا شيءٌ أشهى في فؤادي من العذل
كتمتُ الهوى جهدي فجزوةُ الأسي
بماء البكاء هذا يُحطُّ وإذا يُعلي ^(٢)

ويروى ابن عبد ربه هذه القصيدة كما قلنا، ويرى أنه قد نال مسلم بن الوليد، وليس للمسلم فضل عليه إلا في التقدم.

و - المعارضات في الأغراض الأخرى:

ويقل لنا المقري في نفع الطيب أولاً للحميدي ^(٣): ((أنشده بحضرة بعض ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق، وهي:

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا
وقد علموا أني المشوق المتيم
سروا ونجوم الليل زواهرٍ طوالغ
على أتيسم بالليل للناس أنجم
وأخفوا على تلك المطايا مسيرهم
فتم عليها في الظلام التيسم

وأنسرت بعض الحاضرين في استحسانها، وقال هذا مالا يقدر أندلسي على مثله، وبالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل (ت ٣٨٩ هـ) وقال بديهاً:

عرفتُ بعرف الريح أين تيموا
وإين استقل الظاعونَ وحيموا
خليلي وذاتني إلى جانب الحيني
قلتُ إلى غير الجنى أتيمم
أيتُ سير الفردسين كالمنا
وسادي قناذ أو ضجيعي أرقم

(١) الأسي لا تطلب، لأن الشاعر سرح بها فكأنه، بظن: القويان: ١٣٢.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيطرة لوطية: ٦-٦٠.

(٣) نفع الطيب: ٣ / ١٥٢ - ١٥٤.

وأحور وسنان الجفون كثرة قطيباً من الرياح لذنّ فتعم
 نظرت إلى أجبابه وإلى الطوى فأتقت التي لست مهن أسلم
 كما أن إبراهيم أول نظرة رأى في السراي أنه سوف يسقم

ولا شك أن القطعة المشرقية التي أوردتها المقرئ ولم يحدد قائلها هي امتحان للشعراء الأندلسيين في مهاس ملوكهم، وجاءت الأبيات المشرقية في الشوق إلى الأحية بعد أن رحلوا عن الشاعر، واعتادوا بنجوم الليل، وهو نور يبتشي به الناس، إلا أن أمر رحيلهم انكشف للشاعر، لأنهم تبسوا وبرت أسنانهم على ضياء نجوم.

إلا أن قطعة يحيى بن هذيل التي عارضها القطعة المشرقية جاءت في الشوق إلى الأحية أيضاً، وذلك لما مقداره على المعارضة، وأخذ معنى (الخفاء والستر)، وتوسع به حيث لا يأتي بالصورة المتقدمة في القصيدة المشرقية بل يجد أن اللمحة طيب أحيته هي التي كشفت أمرهم بالنسبة له.

ويحدثنا ابن هذيل عن تواضع الشوق وكيف قضى ليلته، وقد رافقه الموموم وهو يتقلب وكأنه قد توسد شوكة أو قد استقرت إلى جنب فراشه أعمى، ويحتج قصيدته بالتماس إشاري من القرآن الكريم^(١).

ومن القصائد التي قبلت في الشوق إلى الأحية وعورضت قصيدة يوسف بن هارون الرمادي التي يقول فيها^(٢):

عداً يرحلون ليا يوم زليل وما دمع عيني سد الطريق
 وما نفسي جتهم من أمام وما هم نفسي بهم كُنْ ظلاً
 وما ليل من بعد ذا إن ظفر سيدون كيف يبتون عن
 لك كُنْ بالظلام بطيء اللحاق وأفرغ عليهم نحيب الماق
 ولما يلهم بسيم احتراق ما وأبدهم عن نوى والطلاق
 ت بالصبح فالذلف به في وثاق سي إلا على جبه الاستراق

(١) فيه إشارة إلى الآية ٨٨ و ٨٩ من سورة الصافات ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ فقال إلى
 مكيب.

(٢) جريدة المتنبس: ١٦٥، وقد نالت هذه القصيدة على ماهر زهير، جامع شعر الرمادي فأعقلها.

فعارضه لية بن غالب الموروري أبو العاصم^(١)؛

اعذوا غداً ليكسر الفراق	ولم يعملوا ذا هوىً بأطلاق
فتم الرغاء بأغدادهم	وجمع الركاب ذليل الفراق
أرؤا نوى البين في ليلهم	فاظهرة الصبح قبل الفراق
ويوم الفراق على فحبه	يذكر ذا الشوق حسن الفراق
ماقطع عنهم منوك السيـ	لـ واكشف للين عن شر ساق
واجعل دون القوي عرجة	تكون حديثاً لأهل العراق
برعد زفيره، وبسوق احترافي	وليل يداجي غيوم اشواق
لتطبق الأرض من سيلها	على طبقي الأرض أي الطباقي
فلا يستطيعون من وجبة	بغير اسراق ولا باستراق
ويقي الحبيب على صوته	وأمن منهم عذاب الفراق

لدى الموازنة بين القصيدتين^(٢)، وجدنا أن قصيدة يوسف بن هارون هي في الشوق إلى الأحبة ومدى تعلقه بهم، ويحويها منحىً مبالغاً فيه معتمداً على الأبيام، وحمل ما تنهه على نفسه هو مبالغ فيه، وقد عمد الشاعر إلى التشخيص فأضفى صفة الحياة على السوم السذي سيرحل بين أحبته ومخاطبه كمنحاطية من يعقل بأن لا يعمل بالظلام، كما شخص السمع وطلب من دموع عينه أن تسد الطريق على الأحبة بحر من الدم لئلا يرحلوا وشخص نفسه وطلب منه أن يكون هبوة نار، وشخصه أنه ليكون ليلاً يفيدهم عن السفر، وشخص الليل وطلبه منه أن يفيد الصبح فلا يظهر.

وقد عمد الشاعر إلى كل هذه المعوقات بأسلوب طريف إلا أن عنصر المبالغة أخرج تنبؤات الشاعر عن حدود المعقول والممكن.

أما قصيدة الموروري لأنها تناولت الموضوع ذاته في قصيدة الرمادي وهو رحيل الأحبة، فهو يرى أن يوم الفراق على صعوبته له حسنة لأنه يذكر الأحبة بأبام الوصال بينهم، ويستوعد الشاعر يوم الفراق بأنه سيجعل من غضبه معوقات كثيرة تنع السفر،

(١) المصدر نفسه: ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) اقتصر الدكتور احسان عباس على دراسة قصيدة يوسف بن هارون نظراً للدراسة في تاريخ

مستعمداً البيالغة ومحاولاً الإيهام أيضاً، لأنّ أنه لا يشخص أي لم يسبح صفات الحياة على الأشياء كما فعل صنوه الرمادي، فهو يتحدث يوم الفراق بأنه سيجعل من نفسه بركان غضيب، وينجح في تقديم صورة الإنسان الغضبان من خلال ربطه بتصوير حالته النفسية غير المستقرة يوم مطير فيه البرق والرعد والغيوم، ويجعل الشاعر من نفسه رعداً ومن احترائه برقاً ومن هبومه غيوماً ثقيلة، فتبتل هذه الغيوم أمطاراً صلاً السيول، تنقطع الطرقات، وبذلك يحاصر الغيب فلا يتوى على المغفرة، وبذلك يأمن الشاعر من عذاب فراقه.

الفصل الثالث: معارضة الأندلسيين للمشاركة

لقد برز هذا الاتجاه بشكل واضح في مطلع القرن الخامس الهجري، وفلوي عوده، طوال هذا القرن، نظراً لما امتاز به هذا القرن من ازدهار حضاري في العمادين كافة، وكان للشعر نصيب في هذه النهضة، لذلك وجدنا قدراً شعرياً لا يستهان به من معارضة شعراء الأندلس لفحول شعراء المشاركة، نظراً لما لبهؤلاء من منزلة كبيرة في نفوس الأندلسيين.

ويمكننا القول بالطمأنينة إن معارضة الأندلسيين للمشاركة أقدم أصلاً من معارضة الأندلسيين فيما بينهم، وذلك أمر طبيعي يرجع إلى أن الأندلس في تلك السدة لم يكن لها أسانيد من الشعراء الأندلسيين لكي يكونوا مثلاً أعلى لهم وبنوة يأتسون بها، ويسبحون على منوافها، في حين بقي المشرق كعبة للشعراء وقبلة للقاصد بفضل التقدم الحضاري الذي أحرزه على الأندلس بقرن من الزمن كما يذهب بعض الباحثين^(١).

وكان للمجموعة الشعرية الضخمة التي نقلها أبو علي القلي إلى الأندلس سنة ٢٢٠ هـ قد بلغت مبعة وسبعين ديواناً وسبع فصائد، وهذه الدواوين كلها لشعراء جاهليين وعصرين وإسلاميين، فضلاً عن أشعار المحدثين أمثال أبي نواس (ت ١٩٨ هـ) وأبي تمام (ت ٢٣١ هـ) وابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) والسنوبري (ت ٣٣٤ هـ) والشنفي (ت ٣٥٤ هـ) وكان لها أعظم الأثر في ازدهار معارضة الأندلسيين لشعراء المشاركة^(٢).

وتواصل اهتمام الأندلسيين بالشعر المشرقي في القرن السادس الهجري أيضاً وهذا ابن دحية الكلبي يحدثنا عن ابن زهر الحفيد (ت ٥٩٥ هـ) بقوله إنه كان (سكان من اللغة مكيين ومترود من الطلب عذب معين، وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب)^(٣).

مما جعل ابن زهر يمتلك شاعرية يشهد له بها المراكشي إذ يقول لابن زهر: ((شعراً أجاداً في أكثره))^(٤)، ولم يلق اهتمام الأندلسيين بالمشاركة عند شاعر دون آخر،

(١) ينظر: المعتمد بن عباد: ١٦ د. عبد الوهاب عزابي، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م.

(٢) فهرسة ابن خير الإشبيلي: ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٨. وينظر: تارات الفقد الأدي في الأندلس في القرن الخامس الهجري: ٢١.

(٣) المطرّب من أشعار أهل العرب لابن دحية الكلبي: ١٨٥، نبع: الأبياري وآخرين، القاهرة ١٩٥٤ م.

(٤) المعجب في أخبار الأندلس والمغرب: ١٤٦.

بل تعدى اهتمامهم إلى شعراء المشرق كافة، ولا سيما المجدين، وضحضت عن الاهتمام الأندلسي بأشعار المشاركة خاصة المعارضة الشعرية، وإراثنا أن نقف على هذه المعارضات وفقاً لأغراضها الشعرية، من مدح، وغزل، ووصف، وفخر، وشكوى من الزمن، ورثاء، ومجون، وأغراض أخرى.

١ - المعارضات في المدح:

استأثرت المدحُ باهتمام الشعراء الأندلسيين وذلك لأن أكثرهم عاش في بلاط الملوك والموقف يتطلب من الشاعر أن يطرق هذا الغرض الشعري، وكان للمعارضة الشعرية نصيب وافر من غرض المدح، ويروي الفصح بن خاقان أنه عُني في مجلس المعتصم بالله بن يحيى محمد بن معن بن سوادح بيتي التابعة اللذين قال لبيما:

ولما نزلنا بجزو التاج ولم نعرف الحسي إلا التماسا
أضيات لنا النارُ وجياً أغرُ وقتيساً بالقوادِ التماسا

فاستطاب المعتصم بالله واستحسنه، وجعله أهدغ ما للتابعة وأحسنه وأمر ابن الخداد بمعارضته فقال على البديهة:

إذا ما التمسْتَ الغنا بآين معن هقرت وأحمدتْ منه التماسا
ومن يبرجُ شمسَ العلى من نجيب فليس يرى من رجاءِ شماسا^(١)

من الملاحظ على شعر ابن الخداد أنه التزم الوزن والقافية وحركة الروي عند التابعة لمعارضة مادحاً المعتصم بالله، ولعل في هذه الرواية ما يدل على قدرة الأندلسيين في المعارضة والإجابة.

ونظر ابن دراج القسطلي إلى قصيدة النصي في مدح محمد بن العميد التي يقول فيها:

يادِ هواك صبرت أم لم تصبرا وبكساك إن لم يجر ذمك أو جرى
كس غر صبرك واتصامك صاحبا لسا رآك وفي الحشى مالا يُورى
وتبها يقول:

(١) فلاح العيان، الفصح بن خاقان: ك: ٦: ٥٥، نسخة مصورة من طبعة باريس، تقدم عهد العاني، مكتبة الحسينية، تونس ١٩٦٦ ونظر: ديوان التابعة لمعدي: ٤٨٠، تج: ٥، عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي بنسخة، ط ١، ١٩٦٤ م.

أنت الوحيد إذا ارتكبتَ طريفةً ومن السديفِ وقد ركبْتَ غنقنقرا
 قطفَ الرجالُ القولَ وقتَ ليلتهِ ولطفتَ أنتَ القولَ لماً نوراً
 من فبلغَ الأعرابُ أني بعدها شاهدتُ زسطاليسَ والاسكندرا
 وحتمها بقوله:

أنا من جميع الناسِ أطيبُ منزلاً وأسرُّ راحلةً وأربحُ فتحجراً
 زحلُّ عليَّ أن الكواكبَ قزقةٌ لو كان منك لكان أكرمَ فغشراً^(١)

ومعارضها ابن دراج في مدح منذر بن يحيى سنة شان وأربعمئة عندما كان حاجباً:

بشراك من طولِ الشرحلِ والسرى صبح بروحِ القمرِ لآخ فأسفرا
 من حاجبِ الشمسِ الذي حجبَ الدجى فجرراً بأنهارِ الندى فطفجراً
 نادى يحيى عليَّ الندى ثم اعطى سبلَ القفاةِ مهلاً ومكبراً
 لبسك اسعنا بذلكِ ودركنا نوءَ الكواكبِ فخبوا أو مطراً
 وحتمها بقوله:

والصرُّ نُصيرتَ من السماءِ فإنما نامتَ أنصارَ النبي ثنصرا
 واسلمُ ولا وجدوا لجوكِ قنصا في الدائباتِ ولا لجوركِ فعبرا^(٢)

فهذه معارضة معني وهي إذا معارضة تامة قلنا في مدح ابن العميد مُسبغاً عليه صفات الكرم والشجاعة والعموية وأصبحت هذه القصيدة هدفاً لمعارضة الشعراء لما تضمنته قصيدة المتني من شرف المعنى وصفاء اللفظ^(٣)، لذلك قال ابن بسام في معرض حديثه عن قصيدة ابن دراج في مدح منذر بن يحيى النجبي: ((أرادوا احتذى في هذه الأبيات الأخيرة حذو أبي الطيب في ابن العميد))^(٤).

لأن قصيدة ابن دراج قد نالت المتني في عدد الأبيات، فقد بلغت خمسة وستين بيتاً، في حينقتصرت قصيدة المتني على ثلاثة وأربعين بيتاً، ونجح ابن دراج في عقد المقارنات بين مبدؤيه (منذر بن يحيى) وسابقه من أشرف العرب وزعمائهم، فهو يعود

(١) شرح ديوان المتني، مع ١: ٢ / ٢٦٤ - ٢٨٠، وبلغت القصيدة (٤٧) بيتاً.

(٢) ديوان ابن دراج، القصيدة (٣٩) وبلغت (٦٥) بيتاً.

(٣) تاريخ المعارضات: ١٢٤.

(٤) الذخيرة: ج ١ م ١: ٧٥.

إلى عمق التاريخ ويستحضر شخصيات لها أهميتها، وهذا ما لم نجده في قصيدة المتني ذاتها، أي أنه استطاع أن يتجاوز التقليد إلى الإبداع.

ومن قصائد المديح عند المتني التي عارضها الشعراء الأندلسيون قصيدته في سيف الدولة لما نظم بيتي كلاب قال فيها:

بغيرك واعياً عبثَ الفلأبِ
وتملك النفسَ العقلين طُوراً

وغيرك صارماً فلم الطُرابِ
لكيف تحوز أنفياً كلاباً

ومنها يقول:

يَهْرُ الجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِيه
وإنْ يَكُ سَيْفُ دَوْلَةٍ هَيْرِ قَيْسِ

كَمَا لَمَضَتْ جَانِحِيهَا الْعُقَابُ
وَتَحْتِ رِيَاهِهِ نَبْرًا وَأَنْوَا

وحسبها بقوله:

وكلكم أنى متى أيبه
كذا للبر فن طلب الأعلو

فكلُ فعالي كلكم عجاب
ومثل سواك فليكن الطلاب^(١)

فقد عارضها ابن عبدون في قصيدة مدح بها أبا الحسين الرشيد بن المعتمد يقول

فيها:

عزيم لا يُدُّ عليه بائ
مضى في نابات الدهر حنلدا

وقد زروا الضلوع على قلوب
وسبرت ومن كواكبه حلي

ولسو بسوى الرشيد جعلت هذلي
وخلص الركب فيها والركاب

وحسبها بقوله:

وقد سرقتك إليك من الدجى بي
خفت بي والدجى يهفو حشاه

أغاروسب نخسب بها حراب
كما كسرت على خزم عقاب^(٢)

(١) شرح ديوان المتني، مج ١: ١ - ٢٠٤ = ٢١٤، وبلغت الشعبة (٤٢) بيتاً.

(٢) الذخيرة، ج ٢ م ١: ٧٠٨ - ٧٠٩، وبلغت (٦٥) بيتاً.

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أن قصيدة المتنبي في مدحه لسيف الدولة، خزّنة الألفاظ حينة التراكيب، رائعة الصور، كثرت فيها المحسنات اللفظية^(١). لذلك أصبحت موضع عناية الشعراء الأندلسيين فعارضها ابن عبدون الذي أجاد في هذه القصيدة لذلك أتى ابن بسام على قصيدته بعد أن أورد قسماً منها في الذخيرة فقال: ((وهذا مما أغرب فيه، ولم أسمع له بشيه ولعله أمير شعره ونتيجة فكره))^(٢)، وقد أتى ابن بسام على ابن عبدون في قوله:

وجبرت ومن كواكبه حلبي علي ومن غياجه قرابي

فقال: ((سلك فيه سبيلاً من البدع لا أسلك، واستولى منه علي غاية من الكلام المطبوع قلماً تُدرك))^(٣). ويقابل ابن بسام بين بيت من قصيدة المتنبي مع آخر من قصيدة ابن عبدون، فهو يعرض قول المتنبي:

يهز الجيش حولك جنايه كما نفضت جناحها العقاب

وقول ابن عبدون:

هفت بي والدجى يهفو حشاه كما كسرت علي حزر عقاباً

فيأخذ ابن بسام علي ابن عبدون قوله (كما كسرت علي حزر عقاب) ويرى أن ابن عبدون أولى بالحساب على تقصيره كثيراً عن المتنبي، فضلاً عن نسخه للفظ المتنبي^(٤) في هذا البيت.

ومن قصائد المتنبي في المدح التي استأثرت باهتمام الشعراء الأندلسيين وعارضوها، قصيدته الياقوتية في مدح كاتفور التي يقول فيها:

كفسي بك داء أن ترى الموت شافياً وحسباً المناناً أن يكن أمانياً
تنتبها لئلا تنبت أن ترى صديقاً فأقرباً أو عدواً مداجياً
ونبها يقول:

أبها المسلك ذا الوجه الذي كنت تالفاً إليه وفا الوقت الذي كنت واجياً

(١) تاريخ المعارضات: ١٣٩.

(٢) الذخيرة: ق ٢ م ٢: ٧٠٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

أبا كَلْبٍ طَيْبٍ لَا أبا الْمَسْكَ وَحِدَةً وَكَلْبٌ بِحِسابٍ لَا أَحْصَى الْعَوادِيَا
وخصمها بقوله:

مَدَى بَلَغَ الْأَسْأَدُ اقْتِصَادَ رُئْيِهِ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّاهِيَا
دَفَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْجِدِّ وَالْعَلَا وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النَّفْسَ الدَّوَاعِيَا
فَأَصْبَحَ فِرْقَ الْعَالَمِينَ يُرْوَدُ وَإِنْ كَانَ يُدِينُهُ الْكُرْمُ نَالِيَا^(١)

وعارضها أبو محمد عبد الحميد بن عبدون البهري (ت ٥٢٠ هـ) في مدح عمرو بن مدح وهو وزير أندلسي في قصيدة كورد منها ابن بسام قوله:

مَضَرُوا يَظْلَمُونَ اللَّيْلَ لَا يَلْسُونَهُ وَإِنْ كَانَ مِثْكَ الْجَلَابِيَا ضَالِيَا
يُؤْتُونَ بَعْضًا فِي الْأَكْبَةِ لَمْ يُؤَلَّ قَلْبُهُمْ حَيًّا عَلَيْهَا أَدَايَا
وفيها يقول:

وإني لأستحي من الجمد أن أرى علي إمامون موك أباديَا
وإني قد أسفقتني قبل وقته من البر ما حازت خطاة الأمايَا
وخصمها بقوله:

وَعَزَّ عَلَيَّ الْعِلْيَاءُ أَنْ يُلْقَى الْعَصَا مَقِيمًا بِحَيْثُ الْبِعْزِ أَلْقَى الْمَرَايَا
وَمَنْ قَامَ رَأْيِي ابْنَ الْمَطْفَرِ بَيْنَهُ وَمِنْ الْمِيَالِي نَامٌ عَيْنٌ لَاهِيَا^(٢)

من الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة تمام، وبلغ المدح حد الغلو والمبالغة عند المتني وذلك نتيجة طبيعية للحية الكبيرة التي مني بها عند سيف الدولة، وإهانتها إياه، ولا سيما أنه فالما بعد خلافه مع سيف الدولة، وطغت معانيه فتطلع للمستقبل وسمه الحكمة على قصيدته، بينما نجد ابن عبدون في قصيدته لا يأخذ ما أخذ المتني من الغلو في المدح لاختلاف ظروف الشاعرين، كما أنه لم يعتمد على الحكمة التي اعتمد عليها المتني في قصيدته، لذلك لم يتمكن ابن عبدون في هذه القصيدة من بلوغ شأ المتني فقتصر دونه كما يرى الدكتور محمد عمود باسم لوفل^(٣).

كما نظر ابن خفاجة إلى قصيدة المتني في مدح كاثور، المذكورة آنفاً وعارضها

(١) شرح ديوان المتني، مج ٢: ٤ / ٤١٨ - ٤٢٢، بلغت القصيدة (٤٢) بيتاً.

(٢) المدح، ق ٢ م ٢ = ٦٨٧ - ٦٩٠، وبلغت القصيدة (٣٩) بيتاً.

(٣) تاريخ المعارضة، ١٢٦.

مادحاً أبا العلاء بن زهر الأبادي وكتب ما إليه في منتصف محرم سنة أربع عشرة وخمسةائة قال فيها:

كفاني شكوى أن أرى الهد شاكياً
أدري فزاداً يصدغ الصدغ زفرةً
وكيف أوارى من أوارٍ وجدتي
وها أنا تلقاني الليالي بملها
وحثها بقول في المدح:

كفى قومك علينا أن كان غايةً
تسوا من رسم الزوازة ولباً
وأحرز في أخرى الليالي فضلاً
مكارمٌ يستطحي بها من قلمه
وحثها بقوله:

وانك للغذب القرامت على الضدى
شقيقى الشدى وابن الشبي وأبو العلى

من الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة تامة الأركان وزناً وقافيةً، وحركة رويً وموضوعاً، إلا أن طريقة التناول تختلف، فالتنبي يبدأ بالمدح ويكثر من الحكم وصولاً إلى غرضه الأساس وهو المدح، في حين نجد أن ابن خلفاجة يبدأ قصيدته برثاء جماعة من الأخوان ويندب ريعان الشباب ومعاصد أولئك الأتراب الأحياب وصولاً إلى غرضه الأساس وهو مدح أبي العلاء بن زهر، وقد استطاع ابن خلفاجة أن يشارف المتنبي في هذه القصيدة.

ولم يكن المتنبي وحده إماماً لابن عبادون في المعارضة الشعرية في قصائد المدح، بل جعل ابن الرومي نصب عينيه أيضاً، ولا سيما في قصائد المدح، فنظر ابن عبادون إلى قصيدته في مدح (آل وهب)، وعارضها، وقال فيها ابن الرومي:

(١) ديوان ابن خلفاجة القصيدة (١٥٠)، وبلغت (٦٦) بيتاً.

يا آل وهب: اعينوني على رجلي
 خرقتُ منه وقد عمت فواضله
 الحاطفة لا تراعي عيني، والله
 مضت سنون أراعي نجم دولتكم
 وإن رمى الدهر من يرمي صفاتكم
 فقد تقدمت في أمري على ثقة
 فاجبر وجرّب تجلني حيث تطبرني
 وارم المبهات بي في كلّ حادثة
 للوخ في دولة الأيام دولتكم

ومعارضها ابن عبدون في مدح المتوكل بن الأتطس بقوله:

مالي إذا نفسُ غُذت وسرت
 أنت الذي ياهت الأرض السماء به
 أحوم حول حياض من رضاك وما
 راقوا قدتم ولاد يال سُلعة
 فصري أقبسي الليالي غير مقية
 وإنني في مواليتكم كمثلكم

لدى الموازنة بين القصيدةين نجد اتفاقاً تاماً بينهما في الوزن والقافية وحركة حرف الروي والموضوع، وفي المعاني، فجاءت المعارضة تامة الأركان.

واستأثرت شخصية المتوكل بن الأتطس صاحب بطبوس باهتمام الشعراء، فمدحه أبو الخطاب عمر بن أحمد عبد الله بن عطّيون النحبي الطلطي معارضاً أبا نواس في قصيدته التي مدح بها العباس بن عبد الله بن جعفر المنصور التي يقول فيها:

أبها المنساب من غفرة لست من ليلي، ولا سخرة

(١) ديوان ابن الرومي، القصيدة (٥٠٤)، ج ٣، اختيار وتصنيف: كامل كيلاني، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٤٤، وبلغت القصيدة (٧٩) بيتاً.

(٢) الذخيرة، ق ٢ م ٢: ٦٩٥، وبلغت (٩) أبيات.

قد بلوت المر من لمره
بقوى من أنت من وطره
وعند أدنى لمظطوره
غير معلوم مدى بقره

بأمن الجاني لدى خطره
ثم تستلوي فري غصره
من رسول الله من لقره
حسبك العباس من نظره
لم تقع عين على خطره

احكمم الآداب من خيرة
كل مذخور لمذخيرة^(١)

كما قصيدة ابن عطيون في مدح ابن الأطلس ليقول فيها:

سيف جلمن سل من خورة
فالشى والصبر من جزرة
لا يقر المؤمن من قدرة
في تصادي الشوق من سخرة
والعات الشيب من خخرة
إن حسن الرويح في زخرة

باسم المشتى من طخرة
كس يكون الدهر من غخرة
سقتها في الشعر من قخرة

لا أدود الطير عن شجر
فاتصل إن كنت متصلاً
حقت مأثور الحديث غذا
خاب من أسرى إلى ملك
وفيها يقول:

لم أدانى إلى ملك
أأخذ الأيدي مظالمها
كيف لا يدانك من أملي
فاسأل عن سوء مؤثمتها
فلكل قلب الشيبه له
وحسبها بقوله:

قد ليست الدهر ليس فتى
فأذخر خيراً ثواب به

كما قصيدة ابن عطيون في مدح ابن الأطلس ليقول فيها:
عاكف جفني على سبرة
لمحت بالسحر قبته
قد ما قد أبح له
إن ليل الصب أوله
رأعت أسماء أن طلعت
لا تراعي يا أسيم لها
وحسبها بقوله:

قد بنى ملكاً مظفرة
ثم سماه له غمرا
يا ملكاً كل شاردة

(١) ديوان أبي نواس: ٣٩٩ - ٤٠٩، وبلغت القصيدة (٣٦) بيتاً.

ليس لي فضلٌ بمدحِهِ سَلَكُهُ اذْ رَجِئْتُ فِي قَرْوَةٍ
 ابْنِي مَا اجْمِيءُ بِهِ جَالِبَهَا تَصَوُّراً إِلَى هَضْبَةٍ (١)

تتفق القصيدتان وزناً وقافيةً ومعنىً.

بدأ أبو نواس قصيدته بالحكم بدلاً من الوقوف على الأطلال، إلا أنه لم يتخلص تماماً من البناء التقليدي للقصيدة، فقد وصف الرحلة والراحلة وصولاً إلى مبدوحة (العباس بن عبد الله بن جعفر المنصور) على الرغم من مناداته بالحميد، كما احتوت قصيدته على صور بيانية ذات القصد اليدعي واحتوت قصيدته على قدر كبير من الحكم الشعرية والأمثال.

أما قصيدة ابن عطّيون فاحتوت كذلك على قدرٍ من الحكم الشعرية والأمثال، فضلاً عن الصور البيانية، وتجاوز ابن عطّيون في قصيدته أيضاً البناء التقليدي، فهو يستهلها بالغزل وصولاً إلى مبدوحة، واستطاع ابن عطّيون أن يشارف بها نواس في هذه القصيدة (٢).

ونظر ابن عطّيون إلى قصيدة أخرى وهي لأبي العلاء المعري في القمحر فبعضها مادحاً ابن الأندلس، وقصيدة أبي العلاء المعري يقول فيها:

أرى العناء، لكثير أن تُصادا لعائد من تطيق له عبادا
 وما نهيت عن طلب، ولكن هي الأيسر لا تعطي لبادا
 فلا تلم السوابق والمطابا إذا غرحت من الأخرى حمادا
 لعلك أن تشنُ بها ففارا فتشجع، أو تجشمها طرادا

وفيها يقول:

فلا، وأبيك، ما أخشى انتفاضا ولا وأبيك، ما أرجو ازديادا
 لي الشرف الذي يظأ الشرفا مع الفضل الذي يهز العبادا
 وكم عين تؤمل أن تراني وتلقب عند رؤيتي السوادا

وختمها بقوله:

ولي نفس تحلُ بي الروابي وتأي أن تحلُ بي الوهادا

(١) الذخيرة، ج ٣ م ١٤: ٧٧٤ - ٧٧٥، وبلغت القصيدة (٢٣) بيتاً.

(٢) تاريخ المعارضات: ١٢٠.

لَمَسْتُ لَطِيفَ الْقَمَرِينَ كَفَاءً وَتَحَمَّلْتُ كَيْ تَلْبُدُ النَّجْمَ زَادًا (١)
 أما قصيدة ابن عطية التي عارض بها أبا العلاء المعري مادحاً ابن الأقطس فيقول
 فيها:

أَمِنَ كَيَوَانَ أَلْتَبُ أَنْ أَقَادَا لَقَدْ أَعْظَمْتَ شَاوِي فَا بَعَادَا
 وَفِي الْأَرْضَيْنِ أَعْجَزُ عَنْ مَدَا فَكَيْفَ أَرُوهُمَا سَبْعًا شَدَا
 وَمَقْصُورٍ عَلَى الْأَقْلَاقِ أَمْسَى بِرَامِحٍ بِالْبَرَى إِنْ لَمْ يُغَادَا
 ومنها يقول:

بُرَاغِ الدَّهْرِ مِنْ عَزَمَاتٍ شَهْمٍ يُعْضِي مَا أَقَامَتْ بِمَا أَقَادَا
 وَتَمْطِي حِكْمَةَ الْأَيَّامِ قَسْرَا فَتَتْرَكَ مَا تُرِيدُ لِمَا أَرَادَا
 غَلِيَّ إِلِيَّةً مَا ذُفِنَتْ حَيَاً أَحْصُ بِمَسَدِحِي إِلَّا جَوَادَا
 فَلَمْ نَلْقَ الْكِرَامَ مَوْلَاكَ إِلَّا كَمَا أَكَلَيْتَ مِنْ غَوْرٍ بَدَا
 وحسبها يقول:

فَأَبْقَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ مَجْدًا أَيْ لِيكَ حِكْمَتَهُ إِلَّا الْفَرَادَا
 فَصَيَّرَ ذِكْرَكَ السَّمَارَ أُنَاً وَأَحْقَبَ فَدْخَلَكَ الرِّيحَانُ زَادَا (٢)

كما نظر إلى قصيدة أبي العلاء المعري فيها شاعر آخر وهو أبو بحر يوسف بن عبد الصمد وعارضها مادحاً الوزير أبا بكر بن زيدون وزير بني عمّاد - وهو ابن الشاعر المعروف بأبي الوليد بن زيدون، فقال ابن عبد الصمد معارضاً:

زَمَانَ يَمْنَعُ الْجَمَلِ الطَّرَادَا وَمِيرٌ بِحَسَبِ السَّخْلِ الْقِتَادَا
 وَأَيَّامٌ تُفَلِّسُ كُلَّ حَسَبٍ وَتَخْلُقُ فِي رَضَى الْعَمَلِ الْجِدَادَا
 وَقَدْ جَسَّنَ الشُّجَاعُ فليس يَنْدُرِي أَيْرِطِبُ الْجَمَارِ أَمْ الْجَوَادَا
 عَلَيْكَ الْجَدُّ فِي قَلْبِ الْمَعَالِي وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تُعْطِيَ الْقِتَادَا
 فَاسْنِي الْجَدِّ مَا أَدْرَكَتْ سَعَاً وَخَيْرُ السَّعَى مَا كَانَ الْجِهَادَا

(١) شرح ديوان سقط الرائد لأبي العلاء المعري: ٦٠ - ٦٤، شرح وتعليق الدكتور ٥. رضا، بلغت القصيدة (٦٠) بيتاً، بيروت ١٩٦٠.

(٢) الشعرية، ق ٣ م ٢: ٢٧٧ - ٢٧٩، بلغت القصيدة (٢٢) بيتاً.

ولا يُقْبِعُكَ عَيْشٌ فِي حُمْرِي
فغَيْرُ الْبَيَازِ مِنْ صَاذِ الْجُرَادِ
وقال منها:

لَكَ الْبَيْشُ الَّذِي سَلَى وَمَرَى
وَمَا أَخْنَى عَلَيْكَ نَقَاذُ تَوْنٍ
ومن يخشى على الشمسى الثقاتا
وحسبها بقوله:

فَلَا جَلِبَةَ الزَّمَانِ إِلَيْكَ هَمًّا
وَلَا مَعْنَتِكَ حَادِلَةً رِقَادًا
فَبِإِنِّ السَّاسِ وَالْأَيَّامِ عَيْنٌ
وَجَدْتَكِ سِحْرَ جَلْبِهَا سَوَادًا^(١)

لدى الموازنة بين القصيدة المشرقية لأبي العلاء والقصيدتين الأندلسيتين، فقصيدة ابن عطفون وابن عبد الصمد، نجد اتفاق القصيدتين الأندلسيتين مع القصيدة المشرقية في الوزن والقافية وحركة الروي، إلا أن الاختلاف هو في الموضوع، فقصيدة أبي العلاء قائمة على الفخر وغرض الفخر يُعطي الشاعر حرية اختيار الألفاظ الضخمة والمعاني السامية، لذلك جاءت قصيدة أبي العلاء قمة شعرية لا تُحارَى زاحرة بالحكم التي جعل منها المعري ديدنه في الشعر، أما قصيدتا ابن عطفون وابن عبد الصمد فكانا غرضهما المدح، وقد استهوت موسيقى قصيدة أبي العلاء المعري الشاعرين واستولت عليهما في قصيدتهما، فحرصاً على تتبع أبي العلاء تبعاً دقيقاً لذلك جاءت قصيدتهما لتنظما في رواقع الشعر الأندلسي، فقد أحسن ابن عطفون البراعة والصياغة في مدح ابن الأنطس، أما ابن عبد الصمد فنجد قصيدته قمة في المدح والثناء ورُفِعَ أُنْدَارُ الْمُدْحُوْحِينَ لذلك فقد أبدع وأجاد فيما أراد.

ولأبي صام قصيدة معارضة بها الأندلسيون وقالها في مدح الخليفة المعتصم فأكبراً تكيهه بالأندلسيين (خيلبر بن كاسر).

الْحَقُّ أَيْلُجٌ وَالسُّيُوفُ عَمَّوَارٍ
فَحَدَّازٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرَبِ حَدَّازٍ
مَلِكٌ غَدَا جَارُ الْخِلَافَةِ مِنْكُمْ
وَاللهُ قَدْ أَوْصَى بِحِفْظِ الْجَارِ
يَا رَبِّ قِسْمَةٌ أَمَةٌ قَدْ بَرَّهَا
جَارُهَا فِي طَاعَةِ الْجَارِ
جَالَتْ بِحَيْدَرٍ جَوْلَةَ الْمَقْدَارِ
وَأَحْلَسَهُ الطُّغَمَاءُ قَارِ بِوَارٍ
ومنها بقول:

(١) المذخبة، ج ٢، ص ١١٢ - ١١٣، وبلغت القصيدة (١٩) بيتاً.

وكذلك أهل النار في الدنيا هم
يا مشهداً حذرت بفرجه إلى
ومسوا أعالي جذعِه فكالمَا
وحنبا بقوله:

فالأرضُ دارُ القفوتِ ما لم يكنْ
سورُ القرآنِ الغرِّ فيكم أنزلتْ

وقد نظر إلى هذه القصيدة وعارضها أبو إسحق إبراهيم بن خلفجة في مدح الأمير

أبي يحيى بن إبراهيم، ومنها قوله:

سَمَحَ الخيالُ على التوى بمزار
فرفعت من ناري لضيغ طارقي
وكبها المدحي أخشن بها من مركب
وأناخ حيث دموع عيني فتَهَلَّ
وتبها بقوله:

كسَّ التواضعُ عن جلالٍ وارتقى
الفتى إليه بالأمرِ إمارةً
فعمان تلك الدولة الغراء في
وحنبا بقوله:

واسلمَ أبا يحيى لها من دولة
وامبَدَ لها فالسيف في يدِ فارسِي
واضع على شحطِ الدارِ لأملِ
كسَّ الليالي رواقِ الأمحارِ
يسطو به والسهمُ في يدِ بارِي
أهدى التاءَ على ثنائي الدارِ^(١)

من الموازنة بين النصبتين نجد أن المعارضة تامة الأركان، وقصيدة أبي ضام تنم

عن شاعرية طدة، فقد أكثر من إظهار اختلاف شئ من اليدع والمهنات اللفظية، فضلاً

(١) ديوان أبي ضام شرح الصولي، دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان، ج ١، القصيدة (٧٥)، وبلغت (٦١) بيتاً، ط ١، ١٩٧٧.

(٢) ديوان ابن خلفجة، القصيدة (٢)، وبلغت (٩٩) بيتاً.

عن شكته من خلج الصفات والسمائل الحميدة على ممدوحه (المعصم).

ويعجب ابن خفاجة في هذه القصيدة بأي شام، لذلك تراه يرسم خطاه، ويخلع الصفات الحميدة على ممدوحه، فضلاً عن اعتماده على البديع والمحسنات اللفظية، وتكاد لا تخلو أبيات قصيدته من الزخرفة اللفظية، وجاء نفسُ ابن خفاجة أطولَ في هذه القصيدة، حيث قاربت المائة بيت، فهي مطولة من مطولاته دأبَ بها على مقدرة شعرية لافتة وعلى حسن تصوير وتحليل.

ولأي شام أيضاً قصيدة مدح المعصم بالله عارضه بها الأصمُ الروائي، يقول أبو

شام:

السيفُ اصدقُ إنباء من الكتب	في حذو الخدِّ بين الجذِّ والمعبِ
بعضُ الصالح لا سودُ الصحائف، في	مستورهنَّ جلاءُ الشكِّ والرهبِ
والعلمُ في شئبِ الأرماحِ لامعةٌ	بين الحمسين لا في السبعة الشهبِ
أين الروايةُ بل أين التجردُ ؟ وما	صاغوه من زُخرفِ قبا ومن كذبِ

ومنها يقول:

فَشَجَّ الفروعُ المُعلَى أنْ يُحيطَ به	نظمٌ من الشعرِ أو نثرٌ من الخطبِ
يا يومَ وقعةِ عموريةِ انصرفت	عنك المني حُفلاً معسولةِ الحلبِ
لم يعلم الكفرُ كم من أعصرٍ كَمَتَتْ	له العواقبُ بين السُمِّ والقُضبِ
تدبيرُ معصمٍ بالله منظمٍ	له مقسُربٍ في الله مُقرَّبِ
خليفةُ الله جازى الله سعيك عن	جرثومةِ الدين والإسلامِ والحبِ

وختمها بقوله:

فبين أيامك السلافي لصبرت بها	وبين أيام بدر أقربِ النسبِ
أبقت بني الأصفر الصمراضِ كاسهم	صُفِرَ الوجوهِ وجلتْ أوجهُ العربِ ^(١)

وقال الأصمُ الروائي ابن الطليح معارضاً ومنشداً قصيدته في عيد المؤمن:

... ..

ما للعدا جنةٌ أوقى من الحرب

فقال عيد المؤمن رافعاً صوته: إلى أين ... إلى أين ؟ فقال الشاعر:

(١) شرح الصولي لديوان أبي شام، دراسة وخطيب: الدكتور خلف رشيد تيمان، ج ١، القصيدة (٣) وطلعت (٢١) بيتاً.

.....
 وأين يذهب من في رأس شاهقة
 حدث عن الروم في انظار أندلس
 وطوبى طارق قد حل الإمام به
 لو يعرف الطوبى ما عثاه من كرم
 ولو سيقن بأما حل ذروته
 ومن يعاود هذا الفتح ثانية
 ويؤسس الدين غصناً لوبى عزته

ابن المفسر وخيل الله في الطلب
 وقد رمته ساء الله بالشهب
 والبحر قد ملأ العُبرين بالعرب
 كأطوار كان موسى ابن الركب
 لم يسقط النور فيه الكف للحب
 لغار كالعين من خوف ومن زهب
 اضعافاً ما حدثوا في سالك الخقب
 كان أيام (بدر) عنه لم تعب^(١)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، وموضوعها السديح، فأبو تمام يمدح المعتصم بالله وبين دوره في فتح عبورية وكسر شوكة الروم وهو بذلك يُكَلِّبُ المتحمين الذين أرادوا للمعتصم الكف عن الحملة لأنه سيحصرها، في حين أقدم المعتصم وفتح عبورية فتحاً مبدئياً.

وأبو تمام في قصيدته هذه يُفصح عن متبجحه الشعري - كما هو ديدنه - في قصائده الأخرى، فهو يكثر من البديع ويلج على المعاني الدقيقة والأنكار العميقة^(٢). ويؤكد على المعاني الإسلامية في هذه القصيدة، ويرى بأن المعتصم قد أدى واجباً دينياً عند فتحه لعمورية وكأنه امتداد لمعارك العرب المسلمين مع الشرك والتي بدأت يوم بدر، لذلك فهو يقول:

خليفة الله جازى الله سبحانه عن
 فسبح إيمانك اللاتي كصرت بها
 جُرثومة الدين والإسلام والحب
 وبين أيام بدر أقرب السب

أما الأوصم الروائي ابن الطليق، فهو يرسم خطي أبي تمام في هذه القصيدة في مدحه للإمام عبد المؤمن، ويرى في شخصية مدبوحة خصلاً تقارب خصال المعتصم من حيث إقدامه على كسر شوكة أعداء العرب المسلمين، فهو يبدأ قصيدته بتهديد الأعداء من جيوش عبد المؤمن الفاتح، ويرى بأن أعداءه لا يعصمهم من غضبه عاصم، ويهيج

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ٢٨٥، عبد الواحد الراكشي، نج: محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣.

(٢) شرح الصولي لديوان أبي تمام: ٣٠، د. حلف وحيد ليمان.

المرواني منبج أبي عامر في الإكثار من البدع، كما يؤكد أيضاً على المعاني الإسلامية في قصيدته فيشبه جبل طارق بن زياد بجبل الطور في سيناء الذي كان يعبد به موسى النبي لذلك يقول:

وطودُ طارقٍ قد حلَّ الإمامُ بهِ كالتُّورِ كانَ لموسى أينَ الرتبِ

فالشاعر أمد من القرآن الكريم، وهو كذلك يلمد من تاريخ المسلمين مستلهماً قول أبي عامر:

فبين أيامك اللاتي نُصرتُ بها وبين أيام بسدرِ القربِ النسبِ

فيقول:

وتليس الدينُ غصناً توباً عزتهِ كأنَّ أيامَ ((بدوي)) عنه لم تغيبِ

والمرواني يرى أيضاً أن الفتح الذي أقدم عليه الإمام عبد المؤمن واجبٌ دواعياً عن العرب والمسلمين.

ولاحظ بعض الدارسين أن روح المتنبي تسري في مدائح ابن حمديس، ومن

مدائحه هذه قصيدته التي مدح بها نصيماً أمير المهديّة، والتي يقول فيها:

تفرّغتُ صبري جنةً للوالب فإن لم تُسلمِ يا زمانَ فحاربِ
عجبتُ حفاةً لا تلينُ أعاجمِ ورأيتُ شموساً لا تذلُّ لراكبِ
كأنك لم تقنعْ لنفسِ بعسرةِ إذا لم تُلقبِ في بلادِ المغاربِ
إذا شئتُ أن أرمي الظلالَ بلحظةِ غنتُ (نصيماً) في سبأ المنابِ
ولو أن أرحسَ حيرةً لأتيناها بعزمِ نغمةِ السورِ ضربةً لأزبِ
وحسبنا بقوله:

أحينَ حينٍ التيبُّ للموطنِ الذي مغساني غوانيه إلبه جواثبي

ومن سارَ عن أرضي توى قلبه بها حتى لهُ بالجسمِ أوبةً آيب^(١)

ويرى أحد الباحثين: (وإن ابن حمديس في هذه القصيدة قد تأثر عفوياً بروح المتنبي المشاعمة في سورتة على أدينا وشكواه عنها وفخر بعزيمه وصلابة عوده وأن التشابه في الروح يمكن أن يُردَّ إلى أمرين، الأول: التأثير العفوي الطبيعي بالأصول المتورثة وبالأعلام المبدعين، والثاني: التشابه في التجارب والظروف والأحوال التي أملت أمثال هذه القصيدة

(١) ديوان ابن حمديس، نج: د. إحسان عباس، القصيدة (٩٧)، بيروت، ١٩٦٠.

على الشاعرين^(١١).

ومن القصائد المدروحة التي تقيت هوى عند الأندلسيين، قصيدة المتني الميمية في مدح سيف الدولة الحمداني فعارضها شاعران من شعراء الأندلس هما: ابن دراج القسطلي، وابن خلفان الأندلسي، يقول المتني:

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَسْأَلِي عَلَيَّ قَدِيرَ الْكِرَامِ الْمَكَارِمِ
وَتَعَطِّسُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَعَارَهَا وَتَصْفُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَامِ
يُكَافَأُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَهُنَا وَفِي عَجَزَاتِ هُنَا الْجَيْشِ الْخِضَارِمِ
وَمِنْهَا يَقُولُ:

إِذَا كَانَ مَا تَوْبَهُ فِعْلاً مُضَارِعاً مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَارِمُ
ضَرَّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَا هَزِيمَةً وَرَجُوكَ وَخَاسَجَ وَالْعَسْرُوكَ بِاسْمِ
تَجَاوَزْتَ مَقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّبِي إِلَى قَوْلِي قَوْمَ أَنْتَ بِالْعَيْبِ عَالِمُ
ضَمَمْتَ جَنَاحَهُمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً صَوْتِ الْحَوَائِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
وَمِنْهَا يَقُولُ:

هَبْنَا لَضَرْبِ الْفِجَامِ وَالْجِدِّ وَالْعَلِي وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنْتَ سَالِمُ
وَلَمْ يَلْقَى الرَّحْمَنُ حَدِيثَكَ مَا وَلِي وَتَفَلْسِيقَهُ هَدَامَ الْعَدَا بِكَ دَانِمُ^(١٢)

وعارض ابن دراج هذه القصيدة بقصيدة ميمية أيضاً مدح بها ممدوحه الأثير حاكم سرُنْسُنْطَة مندر بن يحيى النجفي قال فيها:

لَعَلَّ مَنَا السَّبْرُقَ الَّذِي أَنَا شَاهِمُ يَهِيمُ مِنَ الدَّلِيَا بِمَنْ أَنَا هَانِمُ
أَمَا فِي حَشَاةٍ مِنْ جَوَائِي مَخَابِلُ أَمَا فِي ذَوَاهِ مِنْ جَفَوِي مِيَاهِمُ
وَمِنْهَا يَقُولُ:

فَمَلِكْتَ تَسَاجِعَ الْمَلِكِ تَسَاجِعِ مَلِكِي لَتَاجِجِيهِمَا تَعْمَوُ الْمُلُوكُ الْخِضَارِمُ
وَتَوَاجَّحَتْهَا فَوْقَ الْأَكَالِيلِ وَالْقَدْرِ فَوَالِقِنُ نَعَشَاهَا السُّورُ الْقَشَاعِمُ
وَأَفْعَالُ خِطْبِي كَيْتَ تُشَكِّلُهَا لَهُ بِرَفْعِكَ لَمَّا أَوْقَتَ عَلَيْهَا الْجَوَارِمُ

(١١) ابن خلدون حياته وفعراء: ٢١٥، نائف خالد محمد الحسن، رسالة ماجستير مطبوعة على الأثر الكلاسيكية، جامعة بغداد ١٩٧٤.

(١٢) شرح ديوان المتني: ٤ / ٩٤ - ٩٤ - ٨ - ١، وبلغت القصيدة (٩٦) بيتاً.

ومن أعربت فيه أعظمُ يعربُ
فمنصغرٌ في أصغره العظامُ
وحتمها بقوله:

ولا نظم الأعداء ما أنت نالرُ
ولا عدمُ الإشرأكُ ألك ظفرُ
ولا زالٌ للسيفِ الخيلِيّ قائمُ
جهاذٌ على الكفارِ بالنصرِ فقدمُ
ولا نسرُ الأعداءُ ما أنت ناظمُ
ولا عدمُ الإسلامِ منك مالمُ
وأنت به في طاعةِ الله قائمُ
وروجةٌ على الإسلامِ فالفتحُ قائمُ^(١)

وعارض ابن خلفاجة قصيدة المتنبي المذكورة آنفاً بقصيدة مدح بها أمير المسلمين إبراهيم بن يوسف بن تاشفين (ت بعد ٥١٥ هـ) عندما حاصر حصن (الموريلة) بطيور العُدو به، غير أنها لم تكن معارضة تامة كمعارضة ابن دراج وإنما كانت معارضة معني قال فيها:

أرائكُ أمضى أم حسانكُ الطعُ
وكلُّ له في جانبِ الملكِ مسلِكُ
لك الخيزُ ما أهداكُ والسهمُ صائبُ
ومنها يقول:

أحطتُ به حصراً إحاطةً مضطِطُ
وأنطرتُه غيثاً من الغيثِ واكثفاً
تضمُّ جناحِ الخيشِ حولَه ضمةً
وحتمها بقوله:

فأستودعُ اللهَ الأميرَ وميجةً
وهللتُها من دارِ مُلكِ وهنتُ
أشنتُها فيمن هناكُ ألتعُ
به فلكأُ واللهُ يعطي ويمنعُ^(٢)

من الموازنة بين القصيدة المشرقية والقصيدة الأندلسية نلاحظ أن الشاعرين يشاركان المتنبي في موضوع المدح، فالمتنبي يمدح سيف الدولة، أما ابن دراج فيمدح المنذر بن يحيى النخعي، وابن خلفاجة يمدح أمير المسلمين إبراهيم بن يوسف بن تاشفين،

(١) ديوان ابن دراج القسطلي، القصيدة (٤٤)، وبلغت (٦١١) بيتاً.

(٢) ديوان ابن خلفاجة، القصيدة (٤٩)، وبلغت (٤٩) بيتاً.

والمتني في قصيدته يذكر بنا نعر الحذت، ويخلع على سيف الدولة من الصفات والخصال الحميدة من شجاعة وإقدام ما لم يظفر بها ممدوح من قبله، وبعد ذلك يُعرج على وصف جيش سيف الدولة، ثم يختم قصيدته بالدعاء لسيف الدولة.

كما ابن دراج فاستطاع أن يتوحي قصيدة المتني، حيث جاءت قصيدته بنفس الطول حازرت المائة بيت، وهي بذلك أكثر من ضعف قصيدة المتني وبداها بالفرل والتشويق إلى المحبوب، ثم انتقل إلى غرضه الأساس وهو المدح، فطلع على ممدوحه صفات الكرم والشجاعة واصفاً مآثره في حربه مع الإنزنج، وقد اعتمد ابن دراج على الاقتباس الإنشائي في قصيدته في أكثر من موضع، ولعل ما يُعزّد قولنا إن ابن دراج قد اقتضد في معارضة المتني هو استلهاهم ابن دراج لمعاني المتني تقطاً ومعنى.

فإذا قال المتني:

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظام
وقال ابن دراج:

ومن أعربت فيه أعظم يعرب فمتصغر في أصغره العظام
وإذا قال المتني:

إذا ما توبه لعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
قال ابن دراج:

والفعال حقيقي كنت لشكلها له برفعك قد أولت عليها الجوازم

أما قصيدة ابن خفاجة نبي في طول نفسها، وروحها، ومحبها وصياغتها تذكر بسيفيات المتني كما يشير إلى ذلك استاذنا الدكتور منجد مصطفى هجوت^(١).

وقصيدة ابن خفاجة هي معارضة ناقصة، وقد وفق ابن خفاجة إلى حد كبير في استلهاهم معاني قصيدة المتني، ولعل شخصية الممدوح - إبراهيم بن يوسف بن تاشفين - القوية، هي التي هيأت له أسباب الشجاع.

ومن المعاني التي استلهاها ابن دراج، فمن أبيات المتني معنىً ولقطاً قول المتني:

ضمنت جناحيهم على القلب ضمةً صوت الخواصي تحببها والقوادم
قال ابن خفاجة:

تضم جناح الجيش حوليه ضمةً تكاد بها أضلاجه لتفَعَقُصُ

وعندما يصف المتنبي بلاء سيف الدولة وجيشه في موقعة الحدث نجد وصفاً يناظر هذا الوصف عند ابن خفاجة في موقعة حُصْنِ الموربة،

وإسن خفاجة يُفردُ لصفه جيش مددوحيه الأمير إبراهيم أبنياً ولجيش العدو أبنياً
أخرى، في حين تقتصر أبيات المتنبي على وصف جيش سيف الدولة، ولا تتعدى إلى
وصف جيش الروم، وامتنازت أبيات ابن خفاجة بأنها حاملة بالمعاني والصور الإسلامية،
والممدوح عنده أبلج كالصبيح، ويصدع بالحق ويزينه الخلق الكرم والتفوى^(١).

وفي المعارضات الثالثة يطالعنا ابن شهيد^(٢) في المديح معارضاً قصيدة قيس بن
الخطيم التي يقول فيها:

تذكر ليلتي حمنها وحلهاها وبانت قأمي ما ينال لقاءها
وملكت قد أصيبت ليل بكنتي ولا جارة أفضت إلي حياءها

ولها يقول:

طعنت ابن عبد القيس طعةً لائمٍ فما لقد لولا الشعاع أضواءها
ملكنت يا كئسي فانهزت لقطها يرى قائماً من خلفها ما وراءها

حتمها بقوله:

ولفحها مسورةً حوزنية بأسيكنا حتى نذل أباها
والا فنعنا في بعث نساءنا وما ملعت بلخزبات نساءها^(٣)

وقال ابن شهيد قصيدة في مدح أبي مروان معارضاً:

منازلهم تبكي إليك عفاها سقها الثريا بالقرى نحاءها
الذت عليها البعصبات بقطرها وجرت بها طرج الرياح ملاءها

ومنها يقول:

(١) الاتجاه الإسلامي: ٢٧٩.

(٢) منظرة: الفخيرة، في ١ م ٦ / ٢٥٢ فيها تحصيل الحوار الذي جرى بين صاحب قيس بن الخطيم
وعامر بن شهيد وصاحبه.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم: ٢١ - ٢٤، نج: الدكتور - إبراهيم السامرائي والدكتور أحمد مطلوب،
القصيدة (٦)، ط ١، بغداد ١٩٦٢، وبلغت (١٨) بيتاً.

خلفي عرجا ببارك الله فيكما
ولا تصعاني أن أجرد بأدمع
إليك أبنا مرواناً أقيت وإيا
هزلك في نصري حتى فكأني
وحسبها بقوله:

وكم أمةً أنجدتها وكأنها
ومن خطبة في كفة الصكِّ فصلٌ
برايغ سَدَاتٍ حليمةً قَمَعَاءِهَا
حَمَمَتْهَا أَهْوَاءُهَا وَمِرَاءِهَا (١)

عند الموازنة بين القصيدتين وجدنا أن الاتفاق لم يحصل إلا في الوزن والقافية وحركة الروي إلا أنهما اختلفتا في الموضوع، فموضوع قصيدة قيس بن الخفيم هو الفجر بقسمه، فهو يبدأ القصيدة بالفجر ثم تستغرق معاني الفجر عنده، لأن قصيدته قائما حال أخذها لئار حده (عذِّي) من قائله.

أما قصيدة ابن شهيد فموضوعها المديح فهو يخاطب بمدوحه (أبا مروان) مستنبلاً قصيدته بالمدح واصفاً لشوقي المنازل إلى أبي مروان ثم يصف حالة شوقه وحنينه إلى هذه المنازل التي عاش فيها طفولته وحياته، ويكي الشاعر على هذه الديار لأن الحسام قد أثار فيه لواعج الشوق عند سماعه هديلها (٢)، ويفخر الشاعر بنفسه أيضاً فهو متماسك الجنان قوي الشكيمة، إلا أن نائبات الدهر قد آذته وجعلته يعيش حياة العوز والخمران، لذلك فهو يتجه إلى مدوحه الذي خلج عليه صفات الحلم والكرم والشجاعة، فلهذا المدوح مواقف حساسة في الحروب.

ومن قصائد المديح التي عارضها ابن شهيد قصيدة العتي في مدح سيف الدولة التي يقول فيها:

غيري بأكثر هذا الناس يتحدخ
أهل الحفيظة إلا أن تجرهم
إن قاتلوا جَنِينَا أو حدثوا شَجَعُوا
وفي التجارب بعد العسي ما يبرغ
وحسبها بقول:

الطرحُ المجدُّ عن كفي وأظله
وانسرك العيثُ في عِمدي واتجع

(١) ديوان ابن شهيد الأندلسي، القصيدة (٢).

(٢) شرح ديوان العتي، مع ١: ٢ / ٢٢٠ - ٢٢٢، وبلغت القصيدة (٤٩) بيتاً.

والمَشْرِفِيَّةُ لَا زَالَت مَشْرِفَةً دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجْعُ
وَحْتَمِيهَا بِقَوْلِهِ:

لَقَدْ يُظَنُّ شَجَاعاً مَنْ بِهِ خُرْقٌ وَقَدْ يُظَنُّ جَبَالاً مَنْ بِهِ زَمْعٌ
إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْبِحَلْبِ السُّعْ

أما قصيدة ابن شهيد التي عارض بها المتني فهي في مدح يحيى المعنلي ويقول فيها:

شَجَّتْهُ مَغَانٍ مِنْ سَلِيمِي وَأَذُورُ

وَأَحْمَرِي اعْتَلَقْنَا دُونَهُنَّ وَدُونَهَا قِصُورٌ وَحِجَابٌ وَوَالٍ وَمُغَشَّرُ
يُرْتَبِّهَا مَاءُ النُّعْمِ وَحَقُّهَا مِنَ الْعَيْشِ قِيدَانُ الْأَرَاكَةِ اخْتَصُرُ
رَبِهَا يَقُولُ:

وَمَنْ قَبِيَّةٌ لَا يَدْرُكُ الطَّرْفُ رَأْسَهَا نَزَلَ بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَتَحَدَّرُ
إِذَا زَاحَمَتْ مِنْهَا الْمُحَارِمُ حَوْرَتُ هَرَوَاتٌ عَلَيَّ نَعْدُ الْمَدَى وَهِيَ تَجَارُ
وَحْتَمِيهَا بِقَوْلِهِ:

وَأَنْ سَلَكْتُ أَحْوَاجَهَا فَبَيَّتْ بِهَا عَوَارِبًا مِنْ ذِي فَطْرِيَاتٍ لِرَجْرُ
وَسِرْنَا تَجْوِزَ السَّبْحِ حَتَّى بَدَا لَنَا بُغْوَةٌ بِحَسَى سَاطِعِ اللَّوْنِ أَزْهَرُ^(١)

لدى الموازنة بين القصيدتين وجدنا المتني متألفاً في ساء الشعر مخلقاً بأجنته، وقد خلع من الصفات على مبدوعه سيف الدولة الحمداني حتى جعل محله عنده فوق الشمس، وصور فتكه بالأعداء في أي وقت يشاء فلا يعصمهم من غضبه عاصم.

أما قصيدة ابن شهيد التي عارض بها المتني فهي ذاتها التي عارض فيها امرأ القيس، وستوقف عند الموازنة بين القصيدتين في موضوع الفخر، وأعل ما يدفعا إلى القول بالمعارضة أن ابن شهيد رداً على ذلك من الصَّعْبُ عندما لقيه في رحله المتحيلة في السوايح والسرايع^(٢)، فضلاً عن اشتراك القصيدتين في المعاني وابن شهيد قالها في مدح يحيى المعنلي ثم عرج على الفخر بنفسه، وللمتني قصيدة ثانية في مدح كانور وقال فيها:

(١) ديوان ابن شهيد: ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) الذخيرة: ١ م ١ ص ٢٨٨.

معي كُنْ لي أن البياضَ حضابٌ
 لبالي عند البيضِ^(١) فودائي فتنةٌ
 ومنها يقول:

وأصدي فلا أبدي إلى الماء حاجةٌ
 وللسرّ مني موضعٌ لا يناله
 وحسبها بقوله:

وما كنت لولا أنت إلا مهاجراً
 ولكنت الدنيا إلي حيلةً
 فعارضها ابن شهيد في الفخر قائلاً:

ولم أنسَ بالناوومي أياها الأولى
 وقسيةً ضربٍ من زناةٍ منطر
 وقضنا على جحرٍ من الموتِ وقفةً
 إذاى الشمسِ راحت فيه أكلٍ لحوينا

ومما يدفعا بالقول إلى معارضة ابن شهيد للمتنبي في هذه القصيدة هو ورودها على لسانه عند محاورته لخالك بن الصُّقْبِ أيضاً، وبسبب قصيدته بيده إلى معاينة النساء وحبه المفرط لهن، ثم يتقل إلى الفخر بنفسه، ثم يخرج إلى الغرض الرئيس وهو المدح ويضفي عليه صفات الشجاعة والكرم والمروعة والإقدام على الممدوح. أما قصيدة ابن شهيد فقصرها على الفخر بنفسه وبسببه، والمعارضة هنا هي معارضة ناطقة، وواضح أخذ ابن شهيد فإذا قال المتنبي:

وأصدي فلا أبدي إلى الماء حاجةٌ
 قال ابن شهيد:

وللشمس فوق العملات لعاب^(٢)

(١) القرون: قطار الشعر.

(٢) البيض: النساء.

(٣) العباب: أشعة الشمس.

(٤) شرح ديوان المتنبي، مج ١ ج ١ / ٣١٢ - ٣٢٢، وبلغت (٤٣) بيتاً.

(٥) ديوان ابن شهيد: ٩٥.

إذا الشمس رامت فيه أكلٌ طويماً جرى جشعاً فوق الجهاد لعائياً^(١)

ومن القصائد التي نالت عناية شعراء الأندلس لأكثر من قرن، قصيدة مسلم بن الوليد ((صريع الغواني)) التي قالها في الغزل ووصف الحبرة في حضرة هارون الرشيد، وليس في مدحه كما أشار الدكتور لوفل^(٢)، وقد تقدمت بنا معارضة ابن عبد ربه لهذه القصيدة في الغزل أيضاً، ووجود هذه القصيدة ومكانتها في نفوس الأندلسيين يتطالعنا أبو الحسن البغدادي المعروف بالفُكَيْك في القرن الخامس الهجري معارضاً لهذه القصيدة.

أما قصيدة صريع الغواني، فقد تقدمت بنا ومطلعها:

أديراً عليّ السراح لا لشربها قبلي ولا تطلبها من عند قاتلي ذخلي

وأما معارضة أبي الحسن البغدادي فعلها قوله:

لأية حالٍ حالٍ عن سنة العدل	ولم أصغ يوماً في هواة إلى الغدلي
ولا خطورت ذكوري سلو بخاطري	ولا طبعيت نفسي لنا عنه لي يسلي
إذا كان لا يُرضيك إلا مني	فيا قتلي من قسفتي أنت في حل
وليلٍ كأن الأنجم الزهر لرجس	به في رياضي فتحبها يد الطل
على زهرات كحل القطر قرؤها	سقبها ندي المرون علاً على نهلي
كان عليل الطل فوق عيونها	دموع النصبي حزن في الأعين التحل
وكم عطر الروعن السيم كانه	نسيم نشيد الملوك في الحزن والنهل
يجرد من غمد الندي صارم الحيا	فتضرب بمداة به عُسق النحل
وكم ميسم من جود يناه عاجلي	لراجي نوال منه في جبهة المنل
ضلكت رقي بالعوارف منعبا	واعبستي بالجود عن كل ذي فضل
وانسيتي أرض العراق ودجلة	ورجمي حتى ما أحن إلى أهلي ^(٣)

من الموازنة بين القصيدتين وجدنا اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، وجاءت قصيدة صريع الغواني في الغزل ووصف الحبرة، في حين قصيدة الفُكَيْك استعملها بالغزل ومزاج بينه وبين وصف الطيبة ثم عزج بعد ذلك على الغرض الرئيس وهو المدح،

(١) الذخيرة، ج ٦ م ١: ٢٨٩.

(٢) تلخيص المعارضات: ١١٦ - ١١٧.

(٣) الذخيرة، ج ٤ م ١: ٣٧٢ - ٣٧٣، وبلغت القصيدة (١٦) بيتاً.

فاضلى على مبدوحه الشماثل الطيبة والحصول الحبيدة من كرم ومروءة، فقد اخدلى على الشاعر عطايه ومن جوده حتى أساء له.

والفُكَيْكُ في معارضته يوافق صريح الغواني وهو بذلك يخالف ابن عبد ربه عندما عارض هذه القصيدة، كما تقدم بنا آنفاً^(١).

كما يلتزم المعاني الأصلية للقصيدة صريح الغواني ويؤكدنها ولا يخالفها، فإذا قال صريح الغواني:

أفترأ عليّ الروح لا تشرباً قبلي ولا تطلباً من عهد قتلي ذحلي
قال الفُكَيْكُ:

إذا كان لا يُرحبني إلا مني فيا قتلي من قتلي أنت في حلّ
وإذا قال صريح الغواني:

كصمت تباريح الصباة عافلي فلم يدري ما بي فاسترحمت من العذلِ
قال الفُكَيْكُ:

لأية حال حال عن منة العذل ولم أصعب يوماً في هواه إلى العذلِ
فكلامها يأتي من العذل بخلاف ابن عبد ربه الذي يستعذبه.
وإذا قال صريح:

هل العيش إلا أن أزوح مع الصبا وأغدو صريح الروح والأعين النحلِ
قال الفُكَيْكُ:

كان عليل الطلّ فوق عيونها دعوى التصابي حزن في الأعين النحلِ
فكلامها يلتزم بالأعين النحلِ، فمن هنا صريح وأكدها بعده الفُكَيْكُ.

٢ - المعارضات في الغزل:

تطالعنا المعارضات بين الأندلسيين والمشاركة متخذة الغزل غرضاً طام، فيروي المقرئ أن أياً في الغزل للولاءه الدمشقي امتدت في حضرة الفقيه المحدث إبراهيم بكر محمد بن الوليد الطرطوشي والتي يقول فيها الولاء:

لمرّ أسي من غير وعد في ليلة طهرت بسعد
بات الصباح في الصبا ج معافسي خدّاً بخد

(١) ينظر: الفصل الأول من هذا البحث: ٣٩.

يمتاز في وناظري ما شئت من خسر وشهد^(١)
 فقال الطروشى: ((أو يظن هذا الدمشقي أن أحداً لا يحسن نظم الكذب غيره ؟
 لو شئنا لكذبا مثل هذا، ثم أنشد نفسه بعرضه:

قمرٌ بدأ من غير وعيدٍ	خُصيتُ شائلته بسعدٍ
قلبه ورشفت ما	في فيه من خسر وشهد
ولثمتُ فاه من العرو	ب إلى الصباح المستجد
وسكوت من رشفي العقب	سقى على اقحاح تحت ركب
فتزعجت عن فمه قمي	وروضعت خذا فوق خذ
وشمت غزاف نيمه الـ	جاري على مسك وكذ ^(٢)

ولقيت قصيدة علي بن الجهم الرصافية هوى في نفوس الأندلسيين فعارضوها،
 والتي يقول فيها:

عُيون المها بين الرصافة والحسر	جلتُ الهوى من حيث أدري ولا أدري
أهدن لي الشوق اللدغ ولم أكن	سلوت ولكن زدتُ حمراً على جمر
وقلن لنا نحن الأهلة إنما	نهيه لمن يسري بليل ولا تقري
لا تدل إلا ما تزود ناظر	ولا وصل إلا بالخيال الذي يسري

ومنها:

ولن يُقبل الإيمان إلا بحكم	وهل يقبل الله الصلاة بلا ظهر
ومن كان مجهول المكان فإلما	منازلكم بين الحجون إلى الحجر ^(٣)

وخصما:

فحبوا بني العباس متى تحية	تسير على الأيام طية النشر
---------------------------	---------------------------

لعارضها أبو الطيب أحمد بن الحسين المسبلي بقصيدة يقول فيها:

متى طلعت تلك الأهلة في الحمر	ولابست لنا تلك العيون عن الحمر
------------------------------	--------------------------------

(١) لم أجد هذه الأبيات في ديوان الرواد الدمشقي، تج: د. سامي الدعان، ط دمشق ١٩٥٠.

(٢) فتح الطيب: ٢ / ٤٩، ويطر: الأندلس الإسلامي: ٤١٠.

(٣) ديوان علي بن الجهم، تج: خليل مردم بك، القصيدة (٥٦)، وبلغت (٥٦) بدءاً، ويطر: تكملة

الديوان (٢٢٠ - ٢٢٣)، ط ٢، بيروت ١٩٥٩.

ومن علم الأعجاز تستعجز اللقا
 وشوسن أبت إلا التماس سجة
 تذكريت والتذكار من قمر الأسي
 ليالي لا دمعي يبده بالنأي
 وهذي النبا الزهر تسطو على الدر
 وأقمار حسن في الهوى قمرت صبري
 ليالينا بين الرصافة والجسر
 ولا سستي مما تروغ بالجسر^(١)

من الموازنة بين القصيدتين وجدنا أن الشاعر الأندلسي حاول أن يرسم خطي
 الشاعر المشركي في قصيدته عملاً على غنيل الغنطلة، وعبارته فإذا قال ابن الجهم:

عوى المنا بين الرصافة والجسر
 جلتن الهوى من حيث أدري ولا أدري
 قال السبلي:

تذكريت والتذكار من شعر الأسي

ليالينا بين الرصافة والجسر

إلا أن الشاعر الأندلسي لم يتمكن من مهاراة ابن الجهم في قصيدته لتقصير دولته.

ومن فصائد الغزل المشرقية التي عارضها الأندلسيون قصيدة الشريف الرضي التي
 يقول فيها^(٢):

يا طيبة السان توعسى في خماله
 الماء عندك مبدول لشاربه
 هبت لنا من رياح الغور والحة
 ثم اتينا إذا ما هزنا طرب
 مسهم أصاب وراميه بذي سلم
 وعد لعينيك عندي ما وقيت به
 حكمت حافظك ما في الرجم من قلع
 كأن طرقت يوم الخزع يُخبرنا
 أنت التعميم لقلبي والعداب له
 عندي رسائل شوق لست أذكرها
 سلفي مني وليالي الخيف ما شربت
 تبسك اليوم إن القلب مرعك
 وليس يرويك إلا مدمعي الباكي
 عهد الرقاد عرفناها برأيك
 على الرحاح تعلقنا بذكرك
 من بالعراق لقد أهدت مرماك
 يا قرب ما كنت عيني عيدك
 يوم اللقاء فكان الفضل للحاكي
 بما طوى عنك من أساء قتلاك
 لما امرتك في قلبي وأحلاك
 لولا الرقيب لقد بلغنا فاك
 من الغمام وحياتها وحياك

(١) المطرب من شعر لعل المغرب لابن دحية: ٤٥.

(٢) ديوان الشريف الرضي: ٢ / ٥٩٣ - ٥٩٤، وبلغت القصيدة (١٨) بيتاً.

إذ يلتقي كلُّ ذي دينٍ وماطله
وحسبها بقوله:

يا حَبِذاً ظفحةً مرتت بغيرك لنا
وحبذا وقفةً والركبة مغفلٌ
لو كانت اللمة السوداء من عُددي

فعارضها غاتم المحزومي^(١) في مطلع غزلي في مدح ائريس العالي بالله:

لولا التخرُّجُ لم يُحجِبْ عمركِ
إيا غزالتنا، شئس الضحي طلعت
بدوت في حلبة زرقاء وهي كذا
أظماني منك، يا ظمياء جالوةً
إني أراك بغسل النفس حاذقةً
إن كان واديك ممنوعاً فموعداً
دعني بيفداف ممدودةً بدجلتها

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، والشريف الرضي كان أصديق في التعبير لأنه عاش معاناة حقيقية في الحب في حين جاءت قصيدة غاتم المحزومي تقليداً ليس إلا.

يقول الصفدي متحدثاً عن قصيدة ابن زيدون الثوبية المشهورة قالاً: ((وعارضها الناس في حياته وبعد مماته ولم يقاربوها وأظن أن ابن زيدون عارض بها البحري))^(٢) في قوله:

يكاد عادلنا في الحب يُعربنا
تلحى على الوجد في ظلم، فديدنا
إذا زروذ دنت منا صرانتها
بنا جسوحا على كُتبه التوى فاني

(١) ترجمته في المقدمة: ٤٣٦ تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ: ج ٤: ٦٠٣.

(٢) صم صتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي: ١٤.

وفي زورقٍ تبسح ليس يُفهلنا
منازلٌ لم يُلقمُ عهدَ مُعمرنا
وحسبها بقوله:

أذى الأمانة في مالٍ الشامِ فما
تسمو إلى الرتبة العليا محامته

أما قصيدة ابن زيدون فيقول فيها:

أضحى الثاني بديلاً من لتانيا
ألا وقد حان صبحُ البين صبحنا
من مبلغِ العليينا بانفراجهم
إن الزمانُ الذي ما زال يُضحكننا
وحسبها بقول:

يا روضةً ظالماً أجت لواحظنا
ويا حيافاً قتلينا بزهرنا
وحسبها بقوله:

وفي الجوابِ متاعٌ إن شفعت به
عليك منا سلامٌ الله ما يفت
بيعنُ الأبيادي التي ما زلتِ تُولينا
صباةً بك تحفينا فتحفينا^(١)

إنَّ القصيدةَين متشابهتان في الوزن والقافية وحركة الروي، أما موضوع قصيدة البحري فهو مدح للمتوكل، في حين جاءت قصيدة ابن زيدون نابضة بالحنين، وهذا الأمر هو الذي دفع الصفيدي بالاعتقاد بمعارضة ابن زيدون للبحري، ومبهما يكن من صحة ذلك الاعتقاد أو عدمه فإن قصيدة ابن زيدون قد طُبعت شهرها الأندلس، وعرضت في المشرق والمغرب، في حين لم تعرف قصيدة البحري بهذه الشهرة. ومن قصائد الغزل التي عارضها الشعراء الأندلسيون قصيدة قلغا العباس بن

(١) ديوان البحري، ج ٤، تب: حسن كامل الصبري، القصيدة (٨٢٦)، وبلغت (٢٩) بيتاً وينظر: بحث الدكتور هشام الوكيل (ابن زيدون ومعارضوه)، مجلة الكتاب العراقية: ١٢٢، العددان (١١ و ١٢)، بغداد ١٩٧٥.

(٢) ديوان ابن زيدون: ١٤١ - ١٤٨، وبلغت القصيدة (٥٢) بيتاً.

الأحف في الغزل:

ملك الثلاثُ الأمساتُ عذائي وحللتن من قلبي بكل مكانٍ
مالي تطاوغي البويتهُ قلبها وأطبعين، وهن في عصباني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قلوبن - أعز من سلطاني^(١)
لمعارضها سليمان المستعين (٤٠٤ - ٤٠٧ هـ):

عجبا، يهاب الليثُ حد مناي وأهاب حفظَ فوائس الأجبان
فأفارغ الأهوالَ لا مصيباً منها سوى الإعراضِ والهجران
وتبكتك نفسي ثلاثَ كالدُمى وظهر الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحنٍ شاطري من فوق أغصانِ علي كنبان
هذي الهلال، وتلك بنت المشعري حسناً، وهذي أخت غصن الين
حانكت ليهن السلو إلى الصبا ففضى سلطان علي سلطاني
فابحن من قلبي الحمى وتركتني في عز ملكي كالأمير العاني
لا تعذبوا ملكاً تذل للهوى ذل الهوى عزٌ وملك ثمان
ما حزر أسي عيدهن صباهةً وبنو الزمان وهن من غيداني
إن لم أطبع فيهن سلطان الهوى كلفاً بهن فلست من مروان^(٢)

لدى المولادة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي والموضوع، إلا أن أبيات سليمان المستعين جاءت أصداق تعبيراً من الأبيات التي قبلت على لسان هارون الرشيد ووضعا عن العباس بن الأحنف، لأن الشاعر الأندلسي عاش تجربة عاطفية ولوعة حقيقية، في حين أن هارون الرشيد لم يعش مثل هذه التجربة وإنما نظمت عن لسانه^(٣).

ومن المعارضةات النافذة في باب الغزل، أبيات ابن شهيد التي نظر فيها إلى بيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

(١) الذخيرة، ق ١ م ١١، ٤٤٧: الجلود؛ ١٢١: الخلة السراية ٢، ٩. وقد نسبها جميع المصادر لهارون الرشيد، إلا أنها أدرجت في ديوان العباس بن الأحنف: ٢٣٩، وبلغت (١٠) أبيات.

(٢) الذخيرة، ق ١ م ١٩، ٤٧ - ٤٨.

(٣) تاريخ المعارضات: ١٠٩ - ١١٠.

سوت إليها بعدما نام أهلها سوز خيابِ الماءِ حالاً على حالٍ (١)

فعارضها ابن شهيد في المعنى بقوله:

ولما صلاً من مكره لنام ونامت عميون القسنى
 دنوت إليه على بعده دنو ورفيقى ذرى ما الثمنى
 أدباً إليه دسب الكرى وأسور إليه سوز الظنى
 أقبل منه بياض الظلى وأرشف منه سواد اللغنى
 ومث به ليلتي ناعماً إلى أن تسم لعمرو اللغنى (٢)

ومعارضة ابن شهيد في هذه الأبيات لمعنى بيت امرئ القيس واضحة والمعترف بها في المخالفة التي دارت بينه وبين مالك بن الصنقب، محاولاً إنباه الآخرين بأنه يأخذ من غيره ولكن بصورة قليلة (٣).

ومن قصائد المتحي التي عارضها أبو بكر يحيى بن يحيى (ت ٥٤٠ هـ) أو (٥٤٥ هـ) قصيدته في مدح سيف الدولة:

لذكورت ما بين الغليب وبارق فخر عوالينا وفجرى السواق
 وصحة قوم يدهون قصبهم بضلة ما قد كسروا في المواق
 وليلاً تودنا السؤفة تحسه كأن نراها عسبر في المراق
 بلاذ إذا زار الحسنان بغيرها حمصا نرهبها لقبنه للشحاق
 سقتي بها القطر تلي مريحة على كاذب وعددها جنود صادق
 سهاذ لأجفان وشس ناظر وسقم لأسدان ومسلك لباق
 وأهدى بهوى نفسه كل عاقل عفيف بهوى جسده كل فاسق
 ومنها يقول:

تعود أن لا تقضم الحب حينه إذا الهام لم ترتفع جنوب العلاق

(١) ديوان امرئ القيس: ٢٧، نج: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار المعارف بمصر ١٩٦٩، والبيت من قصيدة مطلعها:

ألا هم صياحا بها الظليل المائي وهل يمن من كان في العصر الحلي
 ديوان ابن شهيد الأندلسي: ١٢٠.

(٣) الذخيرة، ق ١ م ١: ٢٨٦ - ١٢٨٧، ويظر: ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: ١٢١.

ولا تردّ الغدران إلا ومازها
ورحمها بقوله:

فلم أزمى منه غير محائل
نصيب الجانيّ العظام بكفه

فعارضها أبو بكر بن بقي بقصيدة غزلية مطلعها:

بأي غزّالا غازلكه مقلبي
وسألت منه زيارة نشفي الجوى
بما ودحن من الدجى في لجة
عاطفه والليل يحب ذيله
ورحمته ضمّ الكميّ ليقه
حتى إذا أخذت به سنّة الكرى
أهدتني عن الخلع تشنّاه
لما رأيت الليل آخر عهده
وذعتني من أهوى وقلت تأنّاه

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في القافية، وحركة الروي، واستطاع يحيى ابن بقي أن يستوحي أبيات المتنّي الغزلية والتي وردت ضمناً في قصيدة المدح عنده، فهو يعارضه معنىً ولغظاً.

فإذا قال المتنّي:

تذكرت ما بين الغديب وبارق
فقال ابن بقي:

بين الغديب وبين شطّيّ بارق

فأين للأندلس من (غديب) وهو موضع في كوفة العراق لولا المعارضة الشعرية ؟

فإذا قال المتنّي:

(١) شرح ديوان المتنّي، مج ٢ م ١: ٦٠ - ٧٣، وبلغت القصيدة (٤٧) بيتاً.

(٢) مجلة المورد، مج (٧) ج (١) لسنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، (ابن بقي القرطبي حياته وشعره):

١٣٨، جمع وتحقّق: د. محمد حميد السيد، القطعة (٢٤).

سقتني يا القَطْرَ بِنِي مَلِيحَةً
قال ابن بقي:

على كاذبٍ وعدّها حِوَةً صادقٍ

وسألت منه زيارة تشفي الجوى
وإذا قال المتنبي:

فأجابني منها بوعدٍ صادقٍ

سهاذ لأجفانٍ وضنّ لناظرٍ
قال ابن بقي:

وسقم لأبدانٍ ومسلّ لناشِقٍ

عاطيئه والليل يسحب ذيله

صبيه كالمسك القتيق لناشِقٍ

وهكذا نجد أن ابن بقي في غزليته مترسماً خطوات المتنبي، إلا أن معارضته جاءت ناقصة وذلك لاختلاف البحر عند الشاعرين، فقصيدة المتنبي من بحر الطويل أما قصيدة ابن بقي فمن بحر الكامل.

ومن أثمار الواوّه المتشقى في الغزل قوله:

لما تحققت وذي	أعقبت وحملاً بهد
يا صفق النامس وجهاً	يا نالها كليل عهد
لا لئس ليلتة كنا	في الضمّ وروحاً بفرد
وما علينا رقيباً	يبدل قلوباً بهد
إلا نجوم أنارت	كأنّ دُرّ في لؤلؤد ^(١)

فعارضها المستظهر بالله أبو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الناصري (ت ٤١٤ هـ)^(٢):

طال عمر الليل عندي	مذ تولعت بهدي
يا غزلاً نقض الو	ذ ولم يوف بعهددي
أنسيت العهد إذ بش	سنا على مقبرتي ورد
واجتمعنا في وساج	وانتظمتنا نظم عقدي
وتعالمنا كهمصية	من وقيدنا كهمد

(١) ديوان الواوّه المتشقى، نجح: د. ساسي الدعاع، القصيدة (٦٠-٦١)، ط دمشق ١٩٥٠.

(٢) نظير ترجمته في: الحلة السرياء: ٢ / ٦٢.

وتجزم الليل تحكى
 وهو بأبي لا زوردي^(١)
 وأخذ المستظهر من الولاء واضح في معاني الصد والمجران والمجلس الذي ضم
 الحبيب في خلوة بينهما.

ومن أشعار الغزل المشرقية التي عارضها ابن خلفان قول الرضي:

ولما وقفنا بالبراة غديّة
 وقرفاً لسوديع ورد سلام
 تلتئم مرقاباً بفضل ودانهِ
 ظفقت هلالاً بعد بدر تصام
 وقيلته فوق الثام فقل لي
 هي الخمز إلا أنها بفسام^(٢)

فعارضها ابن خلفان من قصيدة مطلعها:

يا رباً بسلام زارني
 منه الملال وقد تلتئم
 فوشفت فاه في اللثام
 م الطميه كاساً شهيدم^(٣)

وسا يدعنا إلى القول بأن بيتي ابن خلفان هنا في معارضة الرضي هو تعليق ابن
 بسام على قصيدة ابن خلفان بقوله: ((بيتاه الأولان منها أحدهما من قول الرضي لفظاً
 بلفظ ومعنى بمعنى))^(٤).

٣ - المعارضة في الوصف:

لقد اشتمل فن المعارضة فيما اشتمل على فنون وأعراض شعر الأخرى، حيث
 جاء في الوصف نصيب لا يستهان به في هذا المجال، فمن المعارضات الثامة قصيدة أبي
 تمام الراية في وصف الطبيعة التي عارضها أبو بكر نصر الإشبيلي، وابن قليل البجلي.

قال أبو تمام فيها:

رقت حواشي الدهر فهي لمرفر
 وغدا الثرى في خليه يتكسر
 نزلت عقدة المصيف حميدة
 وبذ الشتاء جديدة لا تكفر
 لولا الذي غرس الشتاء بكفه
 لاقى المصيف هشاماً لا لميزر

(١) الذخيرة، في ١ م ١: ٥٧ - ١٥٨ ونظر: ربات البرزين وغيات المميزين لأبي سعيد المغربي:

٦٦، نج: د. العماد عبد الصمد، القاهرة ١٩٧٣.

(٢) الذخيرة، في ٣ م ٢: ٥٧٤.

(٣) ديوان ابن خلفان، القصيدة (٢٦٨).

(٤) الذخيرة، في ٣ م ٢: ٥٧٤.

أولا ترى الأشياء إن هي غيرت
 دنيا معاضى للورى حتى إذا
 حتى غدت وقدأنا بنجادهما
 مصفرة محمرة فكانها
 من قاصع غصن البسات كأنه
 أو ساطع في حُمْرة فكان ما

وخمها بقوله بمدح المعتصم المشرقي:

ملك يضل القحور في أيامه
 فليغسرن على الليالي بعده
 ويقل في للحاثة ما يكفرو
 أن يبدلى بصروفهين المغسور

ومعارضها أبو بكر بن نصر الإشبيلي:

انظر نسيم الزفر وق فوجهه
 خضيل برتجان الربيع وقد خدا
 وكانها تلك الرياح غرائس
 أو كالقباين لبسن موسى الحلى

ونظر ابن قليل البجائي إلى قصيدة أبي تمام ومعارضها:

ضحك الربيع بروحه وسمة
 فكانه زهر النجوم إذا بدت
 وكان غرقة تسبحها عند الصبا
 وعرف العبير بقروح فيه الغسير^(٦)

لدى الموازنة بين القصيدة المشرقية لأبي تمام والقصيدتين الأندلسيتين مع القصيدة المشرقية لابن قليل الإشبيلي وابن قليل البجائي نجد اتفاق القصيدتين الأندلسيتين مع القصيدة المشرقية في الوزن والقافية وحركة الروي، وعلى الرغم من أن الموضوع الأصلي للقصيدة أبي تمام هو المدح، إلا أن الأبيات التي استهل بها القصيدة كانت في وصف الطبيعة، لذلك جاءت

(٦) ديوان أبي تمام بشرح الصولي، القصيدة (٧٤)، وبلغت (٣٢) بيتاً.

(٧) حلوة القدس: ٣٦٩.

(٨) المصدر نفسه: ٣٦٩.

قصيدة الأندلسيين بالوصف كذلك ولا سيما ابن نصر الإشبيلي فكان التصق بالمعارضة من ابن قليل البجاني، لذلك يرى الدكتور إحسان عباس: أن مشاركة ابن نصر الكاتب لأبي تمام لم تقتصر على المعارضة حسب وإنما هي في جزئيات القصيدة فيقول ابن نصر:

حضل يرتعان الريح وقد غدا
للعين وهو من النظارة منظر

لإما هو ناظر فيه إلى قول أبي تمام:

دنيا فعاشي للورى حتى إذا

وكذلك قول ابن نصر الإشبيلي:

وكأنما تلك الرياض عوائس

إما هو ناظر فيه إلى قول أبي تمام:

جلى الريح وإنما هي منظر

مليوسهن معصفر ومزعفر

مصفرة مغمرة فكأنها
غصبة تيمن في الوعى والمنظر

فضلاً عن اختلاف الشعراء في فهم الريح، فأبو تمام متفهم لطبيعة الحياة وترجع الإنسان بين العمل والمتعة، في حين يصور الشاعران الأندلسيان الريح بأنه منظر^(١)، ويخلص الدكتور إحسان عباس إلى أن الشاعر الأندلسي أرق، وصورة أبي تمام أقرب^(٢)، ومن قصائد الوصف التي لاقت هوى في نفوس الشعراء الأندلسيين قصيدة أبي فراس الحمداني التي قالها عندما كان أسيراً عند الروم، فعارضها أبو بكر محمد بن سوار الأصبهاني عندما اعتقل في مدينة (قورية) وقصيدة أبي فراس يقول فيها:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر	أما للهوى تهى عليك ولا أمر
بلى، أنا مشتاق، وعندى لوعة	ولكن منلى لا يُداع له سر
إذا الليل أحواني بسطت يد الهوى	وأذلت دعماً من خلانقه الكبر
تكاد تُحني النار بين جوانحي	إذا هي أذقتها الصباة والقكر
معلّتي بالوصلي، والموت دونه	إذا فت ظمانا فلا نزل القطر
حفظت وحسبت المودة بيننا	وأحسن، من بعض الوفاء لك العذر
وما هذه الأيام إلا صحائف	لأحرفها، من كلف كتابها، بشر
بلمسي من الغادين في الحي عادة	هواي لها ذنبا، وبجانبها غدر

(١) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة فرطية: ١١١ - ١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١٢.

تسرع إلى الواشين في، وإن لي لأذنبها، عن كلّ واشية، وتُر
وحتمها بقوله:

أعزّيتي الدنيا وأعلى ذوي الغلا

فعارضها أبو بكر بن سوار الأشبوي واصفاً حاله في الأسر:

وليل كهيم العاشقين قميصه
ركبنا فياجيه ومركبتها وغر
سريت وأصحابي يسلمهم الكرى
بيهم مئة في سكر وما هم سكر
رميت بجسمي قلبه فسفدته
كما تفد الإصباح إذ فتق الحجر
ولما بدا وجه الصباح تطلعت
حبول من الوادي فحجلت غر
لقلت لهم: حيل النصارى فسروا
إليها وتكروا ها هنا يحسن الكر
وكانت حميا النوم قد صرختهم
فألقوا وولوا مدبرين وما قرأوا
ومنها يقول:

فجاءوا بأنواع الكحول ونظموها
ملاسل في جيدي كما ينظم المر
وماقوا كلاماً كالفحولة الجسماً
لها عين حنظل فلاحظها شزر
فسبحان ربي ما أجل جلالة
فضاقت علي الأرض حتى كأنها
تخلفني منها له الحمد والشكر
فناديت في حول من الدهر كامل
بما رحت ما كان في طولها فتر
وحتمها بقوله:

بعدل علي تمتم الأرض كلها
أرجل حمر الأرجل حمر
حيني إليه موثقاً ومسرّحاً
وقسع الدنيا ولو أنها قبر
كما حن للمر الذي يفرق البحر^(١)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقهما في الوزن والقافية وحركة الروي
والموضوع، ولشترك القصيدتان بالسعالي والأمنكار، فكل منهما شاعر ومقاتل أدت هما
الحروب إلى الأسر، فالخميني أسير الروم، والأشبوي أسير الإسبان، فيفيد الأشبوي كثيراً

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبد الله الحسين بن مخلوف: ١٥٧ - ١٦٦، دار صادر،
بيروت، ١٩٦٦، وبلغت القصيدة (٣٣) بيتاً.

(٢) الذخيرة، ٢٠٢ : ٨١٥ - ٨١٧، وبلغت القصيدة (٦٦) بيتاً.

من معاني قصيدة أبي فراس الحمداني ليعبر حالة الأسر التي عاشها^(١١).
ومن المعارضات الناقصة في باب الوصف، معارضة ابن حنيس في قصيدته في
وصف الزرافة في معلقة امرئ القيس^(١٢)، وذلك لأن الشاعر التزم الوزن والقافية، فأحلّ
بالمضمون وذلك واضح في البيت الأخير من القصيدة.

يقول ابن حنيس:

ونومية في الخَلْسِي منها خلانقٌ متى ما ترقى العين فيها لتسهل
إذا ما استُها القاف في السمع ذاكراً رأى الطرفاً منه ما غناه بقولٍ
ومنها يقول:

كان الخطوط البيض والصفراء أشبهت على جسمها ترصيع عجاج بصندل
إذا طلع السطح استجدات بطاخة برأس له هاد على السُحْب مُعقلٍ
وحسبها بقوله:

وتحسبها من نفسها إن تحشرت تُزوّف إلى تعلي عروساً وتجلسي
وكم منشد قول امرئ القيس حوّلها ((أقامم مهلاً بعض هذا التذلل))^(١٣)

ويشير أحد الباحثين إلى أن ابن حنيس كان معجباً بامرئ القيس مهلاً إلى حماكته
ومعارضته في بعض آثاره، حيث صرح في هذه الأبيات السابقة^(١٤)، وتأثر ابن حنيس
واضح بامرئ القيس، فضلاً عن اعتماده البحر والوزن والقافية وحركة حرف الروي
نفسها.

وتأتي أبيات ابن شهيد اللامية في معارضة طرفة بن العبد، ضمن المعارضات
الناقصة، وذلك لاختلاف القصيدة في حركة الروي، استمع لطرفة حيث يقول:

(١١) تاريخ المعارضات: ١١١.

(١٢) مطلعها:

فما نيك من فكري حبيب ومنزل
والمعلقة بلغت (٨٦) بيتاً. ينظر: خرج المعلقات سبع للروزي: ٧، ٥٦، دار الجليل، ط ١٩٧٢، بيروت ١٩٧٢ م.

(١٣) ديوان ابن حنيس، القصيدة (٦٤٩).

(١٤) ابن حنيس حياته وشعره: ٩٥، نايف خالد محمد الحسن، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة
الكاتبة، جامعة بغداد ١٩٧٤.

لِهِنْدِ، بِحَرْزَانِ الشَّرِيفِ، طَلُولُ
وَبِالسَّفْحِ آيَاتِ، كَأَنَّ وَسُومَهَا
تَلْرُوحِ، وَأَدْنَى عِبْدِ بْنِ مُجَيْلِ
بِعَدَانِ، وَضَعَهُ زَيْدَةُ وَسَمُولُ (١)

ويحتملها بقوله:

وإن امرأ لمن بعض يوماً، فكأهة
تعارف أرواح الرجال إذا التقوا
لمن لم يرد سوءاً بها لجهول
فمنهم عدو يقتل وحليل (٢)

وأما معارضة ابن شهيد فيقول لبيبا:

أمن رسم دار بالعقيق مُجَلِي
ولما هبطنا الفيتَ نُذَقَرُ وحشهُ
ولارت بنات الأعرجياتِ بالضحى
وحسبها بقوله:

على كلِّ حوارٍ العنانِ أسيل
أبسيلٍ من أعطافٍ غيرِ وبيل

إلى أن شناههم راكسدين لما احسوا
لشأوى على الزهراءِ صرعى كأنهم
خليعين من بطشٍ وفضلٍ عقولٍ
أساطينٍ قصرٍ أو جذوعٍ نخيلٍ (٣)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية واختلافاً في حركة الروي، فضلاً عن الاختلاف في موضوع القصيدتين، فطرفة في قصيدته يهجو ابن عمه عبد عمرو بن بشر، ويبدأها بالبكاء على الأطلال، ثم ينتقل إلى الغرض الرئيس في القصيدة وهو هجاء ابن عمه الذي رضى به إلى عمرو بن هند، ثم يختم الأبيات بالحكم وامتاز أسلوبها بالرسالة والصعوبة.

أما قصيدة أبي عامر بن شهيد لبي ووصف رحلة صيد سار هو وصحبه لبيبا وابن شهيد يفضل ذكر الأبيات في بكاء الأطلال مع أن المطالع يدل عليها، ثم يصف الخيل، ثم يصف الفرسان الذين شجروا بالشجاعة والإندام في الحرب ثم يصور مجلسهم واحتسابهم الحفرة مبيناً أثرها لبيبا، حيث يصحرون لا حول لهم ولا قوة، بأسلوب سهل قريب إلى النفس.

(١) تنظر: الساهرة، ق ١ م ١ : ٢٥٠ فيها تفصيل الحوار الذي جرى بين صاحب طرفة بن العبد وعامر بن شهيد وصاحبه زهير بن سبر.

(٢) ديوان طرفة بن العبد: ٢٩ - ٥١، وأبيات القصيدة (١٧) بيتاً المؤسسة العربية للطباعة والنشر - لبنان.

(٣) ديوان ابن شهيد، القصيدة (٥٣)، وبلغت (١٣) بيتاً وشرطاً.

٤ - المعارضات في الفخر:

معارضات الفخر لا تقل شأنًا عن أخواتها، فقد اجتمعت قصائد في الفخر لشعراء أندلسيين، عارضوا فيها قصائد اضرابهم في المشرق، وفي مقدمتها قصيدة البحري التي مدح فيها إسماعيل بن شهاب التي مطلعها:

ما على الركب من ولوف الركابِ في معاني الصبا ورسم التصابي
أين أهل القباب بالأجرع الفر وكولوا؟ لا أين أهل القباب
سقم دون أعين ذات سلم وعذاب دون التنايا العذاب
عرجوا، فالدموع إن أبك في الرب مع دموعي والاكذاب الكذاب
وختمها بقوله:

خَطَرُوا خطرة الجاهم وساروا في نواحي الطنون سمر السحاب
أخطروا المكرمات، والنمسا قا رعة محمد في غداة ضباب^(١)
فعارضها ابن شهيد بقصيدة قال فيها:

هذه دار زينة والرباب
لقد تركنا الصبا لكل غوي وانسلخنا من كل ذام وعاب
وانقطعنا لسواعظ مشيب أفتننا حياثها بذهب
وإذا ما الصبا تختمل عنا فليح بنا ارتضاء التصابي
وختمها بقوله:

من شهيد في سرها ثم من أشد جع في السر من لياب المياب
خطباء الأنام إن عن خطيب وأغاريب في معون عراب^(٢)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد الفرق واضحاً كل الوضوح في المعنى والبنى، فقصيدة البحري يستغرق بكاء الأطلال عنده كثيراً لم يفخر ويمدح إسماعيل بن شهاب، وقد عمد البحري إلى الإكثار من الاستعارة والتشبيه.

أما ابن شهيد فإنه يكاد يغفل اليكاء على الأطلال حين لم يذكر من أبياته سوى

(١) ديوان البحري، ج ١، نسج: حسن كامل الصيرفي، مع ١، القصيدة (٢٩)، ط ٢، القاهرة ١٩٧٢، وبلغت القصيدة (٣٨) بيتاً.

(٢) ديوان ابن شهيد، القصيدة (٣)، وبلغت (٢١) بيتاً.

شطر الأول ثم ينتقل إلى الفخر بنفسه وبأصحابه.

وترسم ابن شهيد خطا البحري في الاستعارة والتشبيه بينما اعتمد عليها في البناء الداخلي لقبديته^(١)، وقد أورد لنا ابن بسام اعتراف ابن شهيد باستفادة البحري^(٢).

ومن قصائد الفخر التي لقيت صدىً في قوس الأندلسيين قصيدة لأمرئ القيس^(٣) التي يقول فيها:

سما لك شوق بعدما كان أقصرا	وحلت سليمان بطن قو لغرورا
كناية بالثا وفي الصدر ودها	مجاورة غسان والحسي يعمررا
بمعني فمعن الحسي لما تحملاوا	لدى جانب الأفلج من جنب ليمرا

والتي حسبنا بقوله:

ولا مثل يوم في قداران ظننه	كألي وأصحابي على قرآن أغفرا
ونشرب حتى نحسب الخيل حوثنا	بقادا وحتى نحسب الجون أشقرا ^(٤)

فعارضها ابن شهيد بقوله:

ضحجه مغان من سليمان وأدور	قصور وخجائب ووال ومغشور
وأخرى اعتلقنا دوتين ودوتها	من العيش قينان الأراكه أخصور

وحسبنا بقوله:

وإن سلكت أخواجها عيت بها	عوارب من ذي مطربات فزجرا
وسرنا تجوز النيج حتى بنا لنا	بغرة يحي ساطع اللون أزهر ^(٥)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أمراً القيس يهيج في بناء قصيدته متبعاً تقليدياً،

(١) ابن شهيد الأندلسي حياته وأهله: ١١٧.

(٢) الذخيرة، ك ١ م ١: ٢٥٧.

(٣) تنظير: الذخيرة، ك ١ م ١: ٢٤٩ فيها تفصيل عن الحوار الذي جرى بين صاحب امرئ القيس مع عامر بن شهيد وصاحبه زهير بن غير.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٥٦ - ٧١، القصيدة (٤) وبلغت (٥٤) بيتاً، نوح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار المعارف بمصر ١٩٦٩.

(٥) ديوان ابن شهيد الأندلسي، ص ٥٥ وحققه: يعقوب زكي، وراجعه الدكتور محمود علي مكلي، القصيدة (٢٤).

فبدوها بمقدمة طليعة يكنيها أطلال حبيته ثم يتغزل بها ويأثرها ويحمر بنفسه ميمناً شجاعته وقدرته على تحمل الصعاب، ولا سيما رحلته المضنية مع صاحبه إلى القيصر ثم يُعزي نفسه بهذا الفخر، ثم يشتكي من الزمان سوء طالعته مع الأصحاب، وتستغرق هذه المعاني قصيدته كلها.

أما قصيدة ابن شهيد فإنها تدور كلها حول الفخر بنفسه فهو يسبق على نفسه فيها صفات القروسية والشجاعة والكرم عموماً لإبعاد نفسه عن كل مثلية^(١).

والشابه بين قصيدة ابن شهيد مع قصيدة عمر بن أبي ربيعة في الوزن والقافية دفع بطرس البستاني إلى القول بمعارضتها في معرض كلامه عن الغزل لدى شعراء الأندلس فقال: ((... فمنهم من كان يحنُّ إلى الأسلوب البدوي، فيذكر أماكن العرب في البداية، وعرائس الشعر عندهم، أو يحدو حدو امرئ القيس وابن أبي ربيعة في القصص الغرامي واحتياز الأموال إلى من يحب كما قال أبو عامر بن شهيد معارضاً ربيعة عمر:

وأخرى اعتلقنا دولهن ودولها
إلى آخر الأبيات))^(٢).

أما قصيدة عمر بن أبي ربيعة والتي نوه البستاني بمعارضته ابن شهيد لها فمطلعها:

أمن آلٍ نعم أنتَ غداً تُبكي
غداً غداً أمٍ وأخٍ قهجر^(٣)

ولا يستبعد الدكتور حازم عبد الله خضر معارضة ابن شهيد لعمر بن أبي ربيعة في قوله: ((وإذا كان أبو عامر قد قال القصيدة الرائية هذه رداً على صاحب امرئ القيس وأكد لها معارضته له، فإننا لا نجد غير اتفاق القافية والوزن دليلاً يثبت ما ذهب إليه البستاني، وإن كنا من جهة أخرى لا نستبعد تقليد أبي عامر لابن أبي ربيعة خاصة وأن الأخير اشتهر بالغزل وعرف به وأبو عامر يحرص على تقليد المشهورين في فنون خاصة

(١) ابن شهيد الأندلسي حياته ولديه: ١٨.

(٢) أدباء العرب في الأندلس وعصر الأبيات: ٦٩، بطرس البستاني، ط ١٦، بيروت ١٩٦٨ وبنظر: ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: ١١٩.

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة، النظر: القصيدة ٦٤ - ٦٧، وبلغت (٧٣) بيتاً، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، كتاب التراث (٦) ١٩٧٨، م.

أو المشهورين في شعرهم عامة))^(١).

ومن قصائد الشعر العربي التي استأثرت باهتمام ابن شهيد قصيدة الشريف الرضي، وقد عارضها ابن شهيد بتين منها وهما:

ما إن رأيتك كعمشٍ حبروا عجزاً على الأزمات والأزم
يسطوا الرجوة وبين أضلعهم عجز الجوى ومآلم الكألم^(٢)

فعارضها بقوله:

إن الكورم إذا نالته فحطصنة أبدى إلى الناس شبعاً وهو طين
يحي الضلوع على مثل اللظى خولقاً والوجه عجزاً بماء البشر ملان^(٣)

إن هذه الأبيات أوردتها المنج بن حطان في كتابه المنطج لابن معارضة ابن شهيد في المعنى للشريف الرضي، ولا شك بأن ابن شهيد قد استلهم معاني الشريف الرضي فقال معارضاً في الشعر^(٤):

وما لأن قياتي عجزاً حادثة ولا استخف بجلمي قط إنسان
ومن الملاحظ على الشاعرين أنهما أكدا معنى الصبر على الشدة والملمات.

٥ - المعارضات في الشكوى:

ومن قصائد الشكوى من الزمن قصيدة الشنتي في الشكوى من الأصحاب والزمن التي عارضها ابن زيدون، قوله:

يم السعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كامن ولا مكن
أريد من زماني ذا أن يبغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمن
لا تلقَ دهرك إلا غير مكتوب ما دام يصحب فيه روحك البدن
لما يدوم مرور ما سررت به ولا يُرد عليك القات الحزن
ومنها يقول:

يما من أعبت على بعدٍ بحلبه كل بما زعم الساعون قوتهن

(١) ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: ١٢٠.

(٢) ديوان الشريف الرضي: ٢ / ٨٤٧، منشورات مؤسسة الأعشي للطباعة، بيروت، لبنان.

(٣) ديوان ابن شهيد: ١٦٦، نج: بقويب زكي.

(٤) مطبع الأندلس: ١٩٠، نج: محمد علي شوابكة.

وأيستكم لا بصون الغرض جازكم
جزاء كل قريب منكم ملأ
سهرت بعد رحلي وحشة لكم
وحسباً بقوله:

وإن تأخر عني بعض موعده
هو الوفي ولكني ذكرت له
وعارضها ابن زيدون لما حل به العيد وهو بعيد عن أهله، فواجههم هذه الأبيات:

هل تذكرون غرباً عاذه شجن
يخلي لواعجه والشوق يفضله
يا ولياته، آيلى في جوانحه
وآرق العين - والظلماء عاكفه
فبت أشكو وتشكو فوق أهلكها
يا هل أجالس أقواماً أحبهم
أو تحفظون عهداً لا أضيقها
إن كان عاذكُم عهد قرب فني
وأفردة الليالي من أحبه
(وم السعلل؟ لا أهل ولا وطن

ولا يذُرُ على مرعاكم اللين
وحظ كل فحِب منكم ضغن
ثم استمر مريرى وارعوى الوسن
لما تأخرُ أمالي ولا تهن
مودة فهو يبلوها ويمتنع^(١)
من ذكركم - وجفا أجهاته الوسن
فقد تماوى - لديه السر والعلن
فؤاده، وهو بالأطلال مُرگهن
ورسائه، قد شقبا إذ شفني حزن
وبات يهفو ارتياحاً يسا الغصن
كنا وكانوا - على عهد - فقد ظعنوا
إن الكراف، بحفظ العهد تمتحن
بالشوق فذ عاذه من ذكركم حزن
فبات يشدها - مما جنى الزمن
ولا ندم ولا كاس ولا سكن^(٢)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في أركان المعارضة، وموضوع القصيدتين هو الشكوى من الزمن، فالمتي في قصيدته يرد على الشاعرين بكبرياته المعبود، فلا يسمت أحداً بنفسه، ويوجه إليهم يلومهم على موقفهم المضاد منه، ويعزي نفسه بأنه عبد أقسام كافور الرجل الكريم المعطاء الذي يجزل المطايا عليه فلا يحتاج لأحد.

أما ابن زيدون فقد عارض قصيدة المتي، ووقف على معانيها، ولعل ما يدعنا بالقول إلى معارضة ابن زيدون للمتي هو تضمين ابن زيدون مطلع قصيدة المتي:

(١) شرح ديوان المتي، مع ٢: ٤ / ٣٦٣ - ٣٧٠، وبلغت (٢٥) بيتاً.

(٢) ديوان ابن زيدون ١٦٦ - ١٦٣، وبلغت القصيدة (١٠) أبيات.

بم التعلُّل؟ لا أهل ولا وطن
 في قصيدته، فضلاً عن وقوف ابن زيدون على معظم آيات قصيدة المنسي
 واستلهاها لفظاً ومعنى، فإذا قال المنسي:
 سهوت بعد رحيلي وحشة لكم
 ثم استمر مبرري وارعوى الوسن
 قال ابن زيدون:

هل تذكرون غربياً عاذة شجن
 من ذكركم - وجفا أجزائه الوسن
 إلا أن هناك اختلافاً في الشكوى ذاتها عند الشاعرين، فالمنسي يشكو من الزمن
 ويحصل على بعض الناس لا يرجون خيره ولا يفرحون له ليعظمهم إياه، في حين نجد أن
 الشكوى عند ابن زيدون انحصرت على الزمن الذي أبعدته عن أحبته الذين تذكروهم يوم
 العيد، حينما نظر إلى الحماسة وسبع هدبها فكأنها تشكو من الزمن بعثها عن أثرها
 وبداها الشكوى هو أيضاً فكتب إلى أحبته بتلك الأبيات.

ومن المعارضات الناقصة قصيدة أبي نصر المعاني التي أثنىها له التتالي في البيعة:

لما رأيت الزمان يكسباً
 كل وليس به ملال
 لوقت بيتي وصحت عرجاً
 أشرب مما انخرت راحاً
 لي من قواريرها تدامي
 وأجعتني من إصار^(١) قوم
 بشرت وكفبت أمام عيني
 هفا يعوث^(٢) وذا سواغ^(٣)

ولاقت هذه القصيدة هوى في نفس أبي محمد عبد الحميد بن زيدون فعارضها من
 قصيدة مطلعها:

سأطلب لا بالكسدة البراع
 سوى ذا الخط من أيدي الزماع

(١) ورده (حقول) في البيعة.

(٢) البيعة الأخير من البيعة ولم يروه ابن سلام، تنظر: القصيدة في بيعة الدر في محاسن أهل العصر
 للتتالي، تسج: محمد عبي الدين عبد الحميد، ج: ١٤، ص: ١٣٢، ط: ٢، القاهرة ١٩٥٦، وتنظر:
 الذخيرة، في ٢ م ٢: ٧١٣.

وحينها يقول:

فبني عن ملوك الأرض تامل
كأعضاءها ألم فقلوباً
ومن عصب إذا منلت جراكاً
ويعنى لا تجرد على شمال
وعين لا تغمض عن لبح
فما أتقوا ولا همتوا بقيا
فلو سقت السماء الثرى أربا
يدهر جماعت الأحساب فيه
لمعتهم بيتاً لا يتقيا
ولم أجعل قرابي غير يسي

من الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في أركان المعارضة، وقد أتى ابن عبدون على معاني أبي نصر المعالي، بل حتى أقطاب، فإذا قال أبو نصر المعالي:

كُلُّ وِلِيِّي بِهِ مَلَالٌ وَكُلُّ وِلِيِّي بِهِ صِدَاعٌ

وقال ابن عبدون:

كأعضاءها ألم فقلوباً

على ضمه ورأس في صفاغ

٦ - المعارضات في المخاضات الأخرى:

ومن النصائد المشرقية التي عارضها الأندلسيون، قصيدة أبي العلاء المعري الطائفة

التي خاطب بها صاحب دار العلم بغداد وعرض بأمر له، قال فيها:

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا
رجوت لهم أن يقربوا لتباعدا
يدانهم أحياناً، شامرون تارة
يعلون عن غور العراق ليحطوا

وحينها يقول:

احزان دار العلم كم من ثلوة
ومحارة أرضي صيد محوة بعدها
أنت درسا فيها العوازل واللغظ
وحى المنايا من أسودها نشط

إذا جَنَحْتَ حَيْلُ الْكَلَامِ فَإِنَّمَا
لَسَدِيكَ يُعَانِي مِنْ أَعْتَبِ الضَّمِيطِ
وَحَسْبِهَا بِقَوْلِهِ:

أَوْلَيْتَ إِنْ يَقْعُدُ بِكَ الْجَاةُ يَهْضِرُوا
شُكْرُهُمْ شُكْرُ الْوَلِيدِ بِالْمَارِي
وَقَالَ ابْنُ زَيْدُونَ:

شَخَطْنَا، وَمَا لِلدَّارِ نَائِي وَلَا شَخَطُ
أَحْيَانًا أَلَوْتَ بِحَادِثِ عَهْدِنَا
لَعَبْرَتُكُمْ إِنْ الزَّمَانُ الَّذِي قَضَى
وَأَمَّا الْكُفْرَى فَمَا لَمْ أَرَوْكُمْ لَهَا جَوْرُ
وَنَبِيهَا يَقُولُ:

عَلَيْكَ (أَمَا بَكْرِي) بِكَرْتًا هَمِيَّةٍ
أَبَى بَعْدَ مَا هِيلَ التَّرَابُ عَلَى أَبِي
لَسْنَا السُّعْبَةَ الْخَضْرَاءُ لَقْدَى ظَلَالِنَا
وَالْوَالَاةُ لَمْ تُسْقَبْ زِنَادُ فَرِيحِي
وَحَسْبِهَا بِقَوْلِهِ:

إِنَّمَا يُسَعْفُ الْمَوْلَى قَلْبِي هَيْئَةً
وَأَنْ يَأْتِيَ إِلَّا قَبْضُ مِسْوَطِ قَبْضِي
تُسْتَفْسَنُ عَنِ نَفْسِي السُّطُّ هَا جَنَعْتُ
نَفْسِي يَسَدِ مَوْلَى لَوْفَدِ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ (١٦)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، إلا أن موضوع القصيدتين مختلف فأبو العلاء في قصيدته خاطب دار العلم ببغداد واستهل قصيدته بالشوق إلى الأصحاب الذين بعدوا عنه ثم ينتقل إلى الغزل ويصف، ثم ينتقل إلى وصف الحمرة وصولاً إلى غرضه الرئيس وهو مخاطبة حازن دار العلم وبين أنضال حلزون النار عليه ويختصمها في بسط الشكر لحازن النار.

وجاءت قصيدة أبي العلاء المعري جيدة الوصف متماسكة البناء حتى أصبحت

(١٦) شرح ديوان مقط الزند، القصيدة (٥٨)، وبلغت (٥٥) بيتاً.

(١٧) ديوان ابن زيدون: ٢٨٥ - ٢٩٢، تصح: علي عبد العظيم، وبلغت (١٠) بيتاً.

عط أظفار الشعراء على مختلف العصور، لذلك فقد عورضت كثيراً، ومن عارضها ابن زيدون الذي ترسّم خطأ أبي العلاء قلم يحد عنه، لذلك جاءت قصيدة ابن زيدون لا تفل في روحها عن قصيدة أبي العلاء، أما قصيدة ابن زيدون فقد كتبها إلى أسفاده أبي بكر مسلم بن أحمد بن أفلح الحوي بعد أن لها إلى إشبيلية تاراً من سجنه قرطبة، واستهلها بذكر الديار والشوق إلى الأحة ومدى تعلقه بذكرهما، ثم ينتقل إلى الغرض الرئيس وهو التماس الشفاعة.

ومن المصائد الطوال التي لاقت هوى في نفوس الأندلسيين فعورضت قصيدة أبي العلاء المعري أيضاً ويقول فيها^(١):

وفي السوم مغنى من خيالك محال	معاني اللوى من شخصيك اليوم اطلال
فطررك فُعُتال، وزندك مغتال	معانيك شتى، والعبارة واحدة
وأعجني من حيك الطلح والضال	وأبغضت فيك الحل، والحل بانغ
ولر أن صغفيه وشاة وعذال	وأهوى جرك السماء والفظا

ومنها:

كعادك فينا والركائب إجمال	صحبت كرامنا والركائب مغافن
لجبتني كيفاً اطمانت بي الحال	صنيت أن الحمر حلت لشوة
رزى الأماني لا أنيس ولا مال	فأذقتني بالعرفاني على شقي
كفة خزنا، نين فشت وإقلال	مُقبل من الأهلين: يسر وأسرة

وحسبها بقوله:

لما زاد، والدنيا حظوظ وإقبال	سقطتني رزقي، الذي لو طيلة
مكارم لا لكروي وإن كذب الخال	إذا صدقتي الجد القوي العم للفتي

فعارضها عبد الحار بن حديس (ت ٥٢٧ هـ) بقصيدة:

فاهلست باسم لا يصح به الفال	أجنتل على نحل العوان وإجمال
وتقسن تحلني بالأباطيل معطل	وخلبت نفسي بالأباطيل في القوي
وقد غيضت فيها الماء وأطرد الأمل	وكنت كصناد حال ريباً بقفرة

(١) شرح ديوان سقط الزند، القصيدة (٤٩٦) وبلغت (٥٥٠) بيتاً.

أيشكو بحر الشوقِ منكُ العدى فَمِ وماءُ المآقي فوق حدك فظالُ
ومنها:

وليلِ حكي للناظرين ظلامه ظلماً لهُ من روعة الصبح إجمالُ
كانَ لهُ نوباً على الألفي جيهه ولقد سحبت منه على الأرضي أقبالُ
وما ساي من لم يزل من حليها لدى العبدِ غرلانا: قلبٌ وخلخالُ
فناءً تداري كسلٌ حين يصحني سقام جفونٍ ما لها منه إبلالُ
وحتمها بقوله:

وما جئنا الأحياء منهم وحيداً مفاصل منهم في الكبورِ وأوصالُ
وما حيفا ما بينهم طولُ نومه لئلهي منها إلى الحشرِ أهوالُ^(١)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد الفعاق في الوزن والقافية وحركة الروي، فضلاً عن اشتراكهما في طرق موضوعات معينة كالتمسّح بين الغزل وذكرات الطفولة وتعبير الأحوال والتشويق إلى الأوطان، وامتنازت القصيدتان بألبيهما من المفصّل الطوال التي عمل التلقائية في الإنشاء للتعبير عن حالات النفس دون حافز خارجي، ويرى الدكتور إحسان عباس ((أن معارضة ابن حنبل للمعري ما كانت إلا أمراً عارضاً لم يؤثر كثيراً في طبيعة الدواعي الداخلية عند ابن حنبل))^(٢).

ومن قصائد الخجون التي لم يوفق الأندلسيون في معارضتها في المعنى قصيدة لعمر بن أبي ربيعة، حاول أبو الحسن علي بن حسن الإشبيلي معارضتها فأخفق، قال صبر:

قلت يوماً لها وحركتِ العرو ذ بيضها فغضبتُ وهنّسي
ليتي كنتُ ظهراً عودك يوماً فإذا ما أحضرتُ كنتُ بطنا
فيكنتُ ثم أعرضتُ ثم قالت من هذا أمالك في اليوم عينا
قلتُ لها رأيتُ ذلك منها بأي ما عليك أن أصني^(٣)

وقال ابن حسن معارضاً ((وهي من مستطرف مهنه)):

(١) ديوان ابن حنبل، نج: إحسان عباس، القصيدة (٢٣٨)، بيروت - ١٩٦٠.

(٢) الديوان نفسه، مقدمة المحقق: ١٨.

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٢٢٩ - ٢٣٠، رقم القطعة (٤٣٢)، المطبعة المصرية للكتاب ١٩٧٨ م، الأخيرة: ٢ م ١: ١٦٤ - ١٦٥، وهناك اختلاف بين رواية الذخيرة والديوان.

باني هبني صغير السن
سرتني أن ليس يندري
فيو يدعوني عما
قلت لَمَا أَن يَدَا لِي
قال ماذا قلته لي ؟
من حازت ثلثة مني
مذهبي فليس وفني
وانا أدعوهم بما ابني
وجهته من تحت بطني
قلت خيراً فيك اعني^(١)

ويرى ابن بسام أن ابن حصن قد أخفق في معارضة عمر فقال: ((قوله: ((قلت لما إن بدا لي وجهه))... البيت، مما أراد أن يصلح فيه فنهق، وأن يتغزل فزلى، وإنما أراد قول عمر فقطراً، وما لورد ولا أصل...)).

ونظر شاعر أندلسي إلى قول علي بن الجهم وعارضه، قال علي بن الجهم:
وعالب للشمس من جبهه
قولوا له عني: أما تسحي ؟
من جعل الكافور كالميتك^(٢)

معارضة الكافور بالميتك
ما النور مثل الظلم الخلك^(٣)
ومما يدلنا إلى القول بأنها معارضة هو تصريح ابن بسام بذلك: (وسمع الوزير أبو جعفر بن جرح من أهل أفلحنا قول ابن الجهم... معارضته)^(٤).

ومن قصائد أبي فراس الحمداني التي عارضها الأندلسيون، قوله:
سلي عني سواة بني كلاب
لبناهم بأسياق قصار
ندور به نساء بني قريظ
ببالن عمدة مُشفق العوالي
كفمين مؤونة الأسبل الطوال
وتسألة النساء عن الرجال^(٥)

(١) الذخيرة، ج ٢، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٨.

(٣) الذخيرة، ج ٢، ص ١٤٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ديوان أبي فراس الحمداني: ٢٢٨، ووردت رواية البيت في الديوان:

ندور به إمامة من قريظ وتسألة النساء عن الرجال

ونظر عبد الجليل بن وهبون إلى هذه القصيدة فعارضها في المعنى:

فأين العجيبُ يا أذونشَ هلاً
تجئتُ المشيخةَ يا غلامُ
متألمة النساءُ ولا مجالُ
فحجبرُ ما وراهكُ يا عصامُ^(٩)

لدى الموازنة بين المتطعين نجد اتفاقاً في البحر فكلاهما من الرمل، وفضلاً عن الاتفاق في المعنى، كما أن ابن وهبون استطاع أن يمثل معاني أبي فراس الحمداني ويصوغها صياغة جديدة.

ومن قصائد الرثاء المخالفة قصيدة لأبي حراش الجذلي التي قاطا في رثاء أخيه عروة وفيها يقول:

لغضري لقد راغبتُ أمةً طلعتي
تقولُ أراءَ بعد غزوةٍ لاهيا
ولا تحسني التي تناسيتُ عهدة
الم تعلمي أن أقدُ لفرقٍ قبلنا
وحسبها يقول:

يقرئةُ الشبهنُ الصحيحُ لما يرى
فاهري غا في الجوفِ فاحلُ قلبها
ومنه أبدوةُ منورةٍ ومقولُ
صيوذُ لحياتِ القلوبِ قولُ^(١٠)

فعارضها أبو المظفر البغدادي بقصيدة مدح بها ناصر الدولة (مبشر بن سليمان):

هو طيفها وطروقةُ تعليلُ
وكانَ زودكهِ نحيلُ يارقُ
وزراءُ وصلِكُمُ القصيرُ زمانةُ
لو دامَ قبلكُمُ اجتماعُ لم يدقُ
فمتى يضي لكُ والوفاء قليلُ
فتقتُ به النكباءُ وهي نليلُ
هجرٌ كما شاءَ الغيورُ طويلُ
الم الفرقِ مالِكُ وعقيلُ

ومنها:

٩) بلغت القصيدة (٩) أبيات في الديوان.

(١٠) الذخيرة، ج ٢ م ١: ٢٢٧.

(١١) ديوان الفلبي: ١١٦ - ١٢٣، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وبلغت القصيدة (٢٤) بيتاً.

النشر: دار الفوقية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ م.

فرحلت والنفس الأبية حرة
بقصائد قست الليالي واكتسنت
حطبت بدجلة والعراق ذبولها
فاقتت حيث العز أبلغ والندی
والعزم ماضي والحسام صليل
منها فرقت بكرة وأصيل
قاشرت من طرب إليها النيل
جم وظل المكرمات ظليل
وحسبها بقوله:

واهاً بصرك وهو يقطر نضرة
فكأنة ورد الحدود إذا اكتسنت
أين الندى ولقد بلغت من الغلا
وبمين تحت ظلاله التاميل
حجلاً وكذا يُزقها التليل
رباً نرد الطرف وهو كليل^(١)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في القافية وحركة الروي، إلا أنهما مختلفتان في الغرض الشعري، فقصيدة أبي خراش الهذلي موضوعها الرثاء في حين قصيدة أبي المظفر البغدادي موضوعها المدح، وقد أعجب أبو المظفر البغدادي بقصيدة الهذلي فعارضها، ولعل ما يعضد قولنا بمعارضة البغدادي للهذلي، فضلاً عن اتفاق القافية وحركة حرف الروي، وهو مثل البغدادي لعاني قصيدة الهذلي، فإذا قال الهذلي:

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلينا
خليلاً صفاً مالمك وعليل
قال أبو المظفر:

لو دام قبلكم اجتماع لم يدق
ألم التفرق مالمك وعليل

لم تقتصر معارضة الشعراء الأندلسيين للمشاوذة على المعارضة في الأعراس الشعرية التي وقفنا عليها فيما تقدم، وإنما لمسا أن هناك معارضة في منهج الشعراء المشاركة من قبل شعراء الأندلس ووجدناه عند الأعمى التطيلي وابن حديس.

فالأعمى التطيلي وكما أشار عدد من الباحثين^(٢) أنه استملى طريقة عمر بن أبي ربيعة في الغزل العذري، التي أشبه ما تكون بالشعر القصصي لأنها تعتمد على الحوار بين الشاعر وحيثه، أو صوبحياتها، وبطاعتنا الأعمى التطيلي في حوار منتج مع (أم الهدج)،

(١) الذخيرة، ق ٢٠٣: ٦٨٩.

(٢) بلاغة العرب في الأندلس: ١٦٦ - ١٦٧، د. أحمد حيف، القاهرة ١٩٩٤ تاريخ الأدب العربي في الأندلس: ٢٠٣، د. إبراهيم علي أبو الحسب، ط ١، القاهرة ١٩٩٦ وينظر: الأدب العربي في الأندلس: ١٢٩، د. عبد العزيز حنين، ط ٢، بيروت ١٩٧٦.

وهي المرأة التي كانت تتولى تهجد السيل بينه وبين هوجوه التي حشي أن تعالي عليه ولا
للفت إليه، فيقول في فية كان بهواها:

ما فنّ لحباً ولو تحرم بمفترب
وراكب الهول محمول على العطب
عني فصلي في اللذات من لرب
بسنّ أراك أسير الوجد والمطرب
كتمت سرّي لم أكفك كيف سي
عنا أنجمل هذا من ذوي الأدب
والمرء وقفاً على الأرزاء والنوب
ولا نصيب له منها سوى النصب

يا قلباً ذباً كغداً أو لا فلا تذب
ركبت هول الهوى من غير تجرّية
إيا لذينة لا والله مد حجت
تأثنتي أم الجهد فالتة
فقلت: قلبي صبي وألك لو
وأعزنت ثم قالت قد أسأت بنا
فقلت إني امرؤ ليا لقيتكم
سبنت فإدي ذات الخال فادرة
وحسب بقوله:

من المعالي وأناها عن الرّيب
فلم يدعني له ذني ولا حسني^(١)

له عتلي ما أدنى سحرته
كف عامم مستلب قد همتت به

وبرى الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب في هذا الحوار ((صورة من الخيال الرابع
وقصة من الحوار الطلي، ومعنى من معاني الصباغة العظيمة وشعاً من الحديث المنع، ولا
ينكره أدب، ولا ياباه ذوق، ولا يعيه عقل، وقد جاءت صياغته السهلة وأسلوبه
المتدفق، كما تجيء قطرات الندى على أوراق الورد، فتكسيها قنة المنظر، وعين
الرابعة))^(٢).

أما ابن حديس فإنه يُصرّح في إحدى قصائده عن تعمله في احتياج منهج أبي
نواس التجديدي في الشعر، والذي دعا إلى رفض الأساليب التقليدية في مطالع القصائد
الجاهلية والذي اندرج مع الزمن إلى بقية العصور الأدبية حتى وصل عصره (العصر
العباسي)، فاستكر أبو نواس موقفه المعروف والذي يمثله قوله:

قُلْ لِمَنْ يَكْفِي عَلِيٌّ رَمَعٌ ذُرْسٌ وَقَلْباً مَا ضَرُّ لَوْ كَانَ جَلْسٌ؟

(١) مجلة المورد، مج ٦ ع (٢) ١٩٧٢: ٣٠٩ - ٣٠٣ (المستفرك على شعر الأعمى الشطلي)، د.
محمد مهجد السعيد.

(٢) تاريخ الأدب العربي في الأندلس: ٤٠٩ د. إبراهيم علي أبو الخشب.

وأثر أبو نواس أن ينادي بعضُ قصائده بذكر الخمر، لتعلقه بها.

أما قصيدة ابن حنيس التي صرح بها التزامه منهج أبي نواس فهي في مدح المعتد

أبي عباد، وبمفتاحها بذكر الخمر يقول:

خلعتُ على بُنَيَاتِ الكُرُومِ	مَحَاسِنَ مَا خَلِقُنَّ عَلَى الرُّسُومِ
أَحَدَتُ بِمَذْهَبِ الحُكْمِيِّ فِيهَا	وَكَيْفَ أَمِيلُ عَنِ طَرَفِ الحُكْمِيِّ
وَمَا فَضِلَ الظُّلُومُ عَلَى شَوْكِ	صُحِّ المِسْكِ فِي كَفْسِ التَّيْمِ
يُخَذُّ حُبَّهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ	إِذَا صَفَّقَتَهُ مِنْ صَدَا المَعُومِ
وَكُنْتُ عَلَى قَدَمِ الذَّهْرِ أَصْبِرُ	إِلَى الأَلْبَاتِ بِالقَصْرِ المُتَعَمِّمِ
لِرُؤْيَا إِذَا طَمِعَتِ عَلَى كَأْسِي	كَمَا رَأَى الأَبْيَانُ عَلَى الفَطَمِ

وختمها بقوله:

فَصِلْ لِرَبِّكَ المَعْبُودِ وَانْحِرْ	فَرُومًا مِنْهُمْ بَعْدَ القُرُومِ
وَعِيدَ بِالمُهْدَى وَاعِدْ عَلَيْهِم	عَذَابَ الخُرُوبِ بِالأَلَمِ الأَلِيمِ ^(١)

(١) ديوان ابن حنيس، القصيدة (٦٨٤).

الفصل الرابع: معارضة الأندلسيين

فيما بينهم

نحدثنا في الفصل السابق عن معارضات الأندلسيين لشعراء المشرق في القرنين الخامس والسادس الهجريين، أما المعارضات التي جرت بينهم فهي موضع عنايتنا في هذا الفصل، فقد سجلت في الأندلس بشكل واضح وجلي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، حيث تضمنت الشخصية الأندلسية وتميزت خصائصها، ولم تعد عالة على نحو ما كانت عليه من قبل، وألجب هذان القرنان شعراء كثيرين، كإبن دراج (ت ٤٢١ هـ)، وابن شهيد (ت ٤٢٦ هـ)، وابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، وابن زيدون (ت ٤٦٢ هـ)، وابن عسار (ت ٤٧٧ هـ)، وابن الخلد (ت ٤٨٠ هـ)، والمعمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ)، وابن الليثة (ت ٥٠٧ هـ)، والأعشى الشبلي (ت ٥٢٥ هـ)، وابن حديس (ت ٥٢٧ هـ)، وابن الرُّفَّاق (ت ٥٢٩ هـ)، وابن حنيفة (ت ٥٢٢ هـ)، والرصافي البشبي (ت ٥٧٢ هـ) وغيرهم كثير.

ومن الملاحظ على شعراء القرنين الخامس والسادس الهجريين أنهم نظروا إلى الشعراء السابقين سيئوهم والتفتوا إلى أشعارهم، فعارضوها، فضلاً عن معارضتهم لمعاصريهم.

وكذلك شأن شعراء القرن السادس الهجريين نظروا إلى شعراء القرن الخامس وعندهم أتباعهم، لما امتلكت شعراء هذا القرن من شاعرية فذة أهلهم ليكونوا هدفاً للمعارضة الشعرية، وما معارضة شعراء القرن السادس لشعراء القرن الخامس، إلا اعتراف بشاعريتهم وتقديرهم في ميدان الشعر، وقد أضحت دول الأندلس في عهدها ونشاطها الثقافي أشبه بدول المشرق في القرن الرابع الهجري، فأخذت هذا الفن من فنون الشعر.

وقد أطلق الدكتور نوفل تسمية ((المعارضات الداخلية))^(١) على تلك التي جرت بين الأندلسيين، واستوقف عندها موضوعاً وفاقاً على نحو ما تقدم بنا في الفصل السابق.

يتصدر أغراض المعارضة الشعرية التي طرقتها الشعراء الأندلسيون فيما ينهجون شعر النوريات، ثم يليه الوصف والمدح والغزل والرتاء وأغراض أخرى.

١ - المعارضة في النوريات:

استأثرت النوريات باهتمام الشعراء الأندلسيين، وذلك لما للطبيعة الأندلسية الساحرة من جمال وفتنة، فكلف الشعراء بالأزهار والورود والأفاقي، فاستهلوا قصائدهم بوصف الطبيعة الأندلسية بما فيها النوريات، لذلك وجدنا قصائد معارضة عند عدد من الشعراء عتبت بالنوريات، وعلى الرغم من أن الموضوع هو جزء من موضوع عام عني به الأندلسيون وهو الوصف، فإننا لا نرى بأساً من دراسته منفرداً، وسعود إلى الموضوع العام فيما بعد.

ويروي لنا أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري (ت ٤٤٠ هـ) عدداً من المعارضة بدأت بقصيدة حذاية لأبي الحسن بن علي الأستحي مدح بها القاضي ابن عباد واستعملها بوصف الطبيعة الأندلسية ثم انتقل إلى غرض المديح فقال:

كألمما البروحن لَمَّا	وَأَحْتَنَى بِذِي الْمُرُونِ أَرْحَنَةَ
بِكُلِّ حَمْرَاءٍ صَرَفِ	وَكُلِّ بِهَضَاءِ غَطَّةِ
كَمَوَاكِبِ فِي سَبَاءِ	مِنَ الزَّبْرِجِدِ غَطَّةِ

وختمها مادحاً:

وَأَجَّةُ ابْنِ عِبَادِ السُّدِّ	بِ حَمْرٍ تَأْتِي لِقُرْحَانِ
حَوَى بِطُولِ يَدَيْهِ	طُولَ السَّبَاءِ وَغُرْحَانِ (١)

لمعارضها أبو الوليد بن عامر الحميري مادحاً ابن عباد في حضرته قائلاً:

الظُّفْرُ إِلَى النَّهْرِ وَالْمُخْبِئَةُ	لِخَسَنِ مِرَاةٍ وَأَرْحَنَةُ
فَذُ خَمَلٍ بَيْنَ رِيَاضِي	مِنَ التَّوَالِيْمِ غَطَّةِ
لَمَّا هَمَّ بِأَرْحَنِي	بِمَا لَمُرُونِ أَرْحَنَةُ

وختمها مادحاً:

(١) المديح في وصف الربيع: ١٠ - ٤١، وبلغت القصيدة (١٢) بيتاً.

كَمَا ابْنُ عِيَادِ السُّدِّ	بِ قَدْ كَمَا الصَّوْنُ عِرَاضَةَ
مِيْمُوحٌ عَلَى الْمَالِ قَطُّ	دَابَّأُ يُجِدُّ فَحِطَّةُ
لَهُ مِنْ الْجَاهِ وَحِطُّ	عَلَى التَّوَضُّعِ حُطَّةٌ (١)

ولما سمع القاضي ابن عياد قصيد أبي الوليد عامر بن حبيب الحميري، أمره باستحضر صاحب الشرطة أبي بكر بن القوطية والأديبين أبي جعفر بن الأبار وأبي بكر بن نصر وأمرهم عنه بمعارضة هذه القصيدة، ولم يتوانيا عن تلبية رغبة القاضي ابن عياد، فصنعا ذلك في ليلتهم أشعاراً رائعة السمات لافقة الصفات (٢).

فقال أبو بكر بن القوطية معارضياً:

بِشَاطِيءِ السَّوَادِ لَهْرٌ	كَمَا الدَّرَائِكُ أَرْضَانُ
خَطَرًا وَمِنْ لَهْرًا وَخَطَرًا	وَعَمَلُهَا مِيْمُوحَةٌ
تَمَّ بِرِيقِ وَزَوَابِ	مِنَ التَّوَادِيهِرِ حُطَّةُ

وختمها ملاحاً:

حَكَى سَجَايَا ابْنِ عِيَادِ	دِ الْكُورِيمِ وَهَوَاضَةَ
قَاضِي عَلِيٍّ الْحَقِّ مَاضِي	رَاضِي بِهِ لَوَاقِحَةَ
اسْمُ ابْنِ عِيَادِ تَعَالَى	أَنْ يُحَسِّنَ الدَّهْرُ حُفَّةَ (٣)

وقال أبو جعفر بن الأبار معارضياً:

لَا تَصْرِيحٌ لِلْحَطِّ حِطَّةُ	وَأَمْسُوحٌ مِنَ السَّوْرِ حِطَّةُ
حِطَّةُ السَّرِيحِ تَبْدِي	فَقَطَّلْ بِلِحْظِكَ حِطَّةُ
شَقَائِقُ ظَنِّ قَلْبِي	رَوَاهُهَا وَإِقْبَانَةَ

وختمها ملاحاً:

كَأَمَّا السَّرِيحُ قَبِيهِ	عَلَى اجْتِدَائِكَ حِطَّةُ
كَأَمَّا السَّرِيحُ قَبِيهِ	بِكُورِيمِ تَبْدِي وَحِطَّةُ

(١) المصدر نفسه: ٤٦ = ٤٢، وبلغت القصيدة (١٤) بيتاً.

(٢) المصدر نفسه: ٤٢.

(٣) البديع في وصف الربيع: ٤٣، وبلغت القصيدة (٦١) بيتاً.

كأثما السريح لبغي	كأثما السريح لبغي
كأثما البحر عاف	كأثما البحر عاف
وقد بالبحر كلفاً	وقد بالبحر كلفاً
وقال أبو بكر نصر معارضاً:	وقال أبو بكر نصر معارضاً:
أما ترى الأرض خضراء	أما ترى الأرض خضراء
كأهلها في مُـلَاة	كأهلها في مُـلَاة
وقد ذاك لـوُـوُ	وقد ذاك لـوُـوُ
من نرجسي ذي جُفُونِ	من نرجسي ذي جُفُونِ
وحسبها مادحاً:	وحسبها مادحاً:
جاووزُ كدابة مُـعَادِلَة	جاووزُ كدابة مُـعَادِلَة
ما أحسن الكُـلُـمُـرُ الأـ	ما أحسن الكُـلُـمُـرُ الأـ
وإن عـصاة مُـنَاوِ	وإن عـصاة مُـنَاوِ
ولـو تخـصـنُ مـنـه	ولـو تخـصـنُ مـنـه

ولما علم الوزير الكاتب أبو الأصبح (ابن عبد العزيز) هذه المعارضات قال قصيدة

في حضرة القاضي ابن عباد معارضاً:

يا من تأمل روجاً	يا من تأمل روجاً
وعامين الحُـمُنُ منها	وعامين الحُـمُنُ منها
فالأفحـور أن يـيـاحـن	فالأفحـور أن يـيـاحـن
وحسبها مادحاً:	وحسبها مادحاً:
قاضي يكافح عـنـا	قاضي يكافح عـنـا
أشدي وأولى جـمـيلاً	أشدي وأولى جـمـيلاً

(١) المصدر نفسه: ٤٣ - ٤٥، وبلغت القصيدة (٦١) بيتاً.

(٢) لم يرد في فصح الكلام تعريف ((بعض)) بـآل وهو ما وقع فيه الشاعر كما وقع لأي . الأصبح بن عبد العزيز في النص الثاني.

(٣) البديع في وصف الربيع: ٤٥ - ٤٦، وبلغت القصيدة (١٢) بيتاً.

أَيامَهُ الْغُرُ مَاءً حَقَقًا لَمَسْنِ وَأَمَّ حَلْوَى حَضَةً
فَالغُرُ فِيهَا قَصِيرٌ وَالذُّهْرُ فِيهَا كَفَمُ حَضَةٍ (١)

ويعرّو لنا ابن حبيب أنه: لما أكمل أبو الأصبغ إنشاء هذا الشعر أمر القاضي عامراً الحميري واليد إسماعيل صاحب كتاب (البدیع فی فصل الربیع) أن يدون له شعراً مما جادت به قريحته بديهة فقال (٢):

أَبْلَغُ شَقِيقِي عَنِّي مَقَالَةٌ لِمَنْ حَضَةٌ
بِأَنَّ وَصَفَ الْأَفَاحِي السُّلْدِي وَحَضَفَتْهُ لَمْ أَرِحْ حَضَةً
هَذَا وَحَضَفَتِ الْأَفَاحِي بِأَكْرَأَسٍ مِنْ فِطْحَةٍ
فَلِيَعَالِيهَا فَلِيَعَالِي صَرَفَ الشُّطْرَ وَفَتْحَ حَضَةً
أَوْ لَا فَصَفَرُ الْيَوَاقِي سَبَّتِ فِي حَمَوَائِمِ فِطْحَةٍ
أَوْ السَّحْرُومِ لَسَا قَطُ نَ فِي السَّهْبِي الْمَيْتِ حَضَةً
أَوْ لَا فَجِجَافٍ مَهَادُ بِالْحَضَمِ فِي كَفِّ أَسْحَانِ
وَقَدْ بِأَكْرَأَةٍ وَأَقْبَتُ مِنْ فَطْحِهَا فِيهِ بَعْدَ حَضَةٍ (٣)

ويعرّو لنا أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري معارضة أبي الحسن علي بن أبي غالب بن حصن لهذه الأشعار بقصيدة في مدح أبيه (ابن عامر الحميري) (٤) قال علي بن أبي غالب:

نَيْبَةٌ جَفُورًا لِنُزْرٍ هِيَ وَالْمُجُورُونَ كُلُّ عَضْطَانِ
قَدْ نَيْبَةُ الظُّلِّ مِنْهُ الْجَفُورُ الَّذِي كَانَ عَضْطَانِ

(١) المصدر نفسه: ٤٦ - ٤٧، وبلغت القصيدة (١٢) بيتاً.

(٢) المصدر نفسه: ٤٧.

وقد نسب السيد مقداد رحمه الله القصيدة خطأ لعامر الحميري واليد إسماعيل مؤلف كتاب السديع، في ص ٢٢٥ من بحثه الموسوم (تاريخ النوريات في الشعر العربي في المشرق وفي الأندلس) المنشور في مجلة آداب المستنصرية ج (١١) ١٩٨٥، والصواب أن عامراً الحميري دونها فقط عندما أملاها عليه القاضي ابن عباد لمحقق ذلك، ينظر: البدیع: ٤٧ - ٤٨.

(٣) البدیع في وصف الربیع: ٤٧، وبلغت القصيدة (٨) أبيات.

(٤) المصدر نفسه: ٤٩.

مِنْ بَيْنِ وَرِدِ كَعْبِدِ الْـ حَرِيْبٍ حَاوَلَتْهَا غَضَبَةٌ
 وَسَوْمِنِ قَدْ حَكَمِي لِي وَاللَّفَّ الْعَيْدِ بُحْبَةٌ
 وَلرَجِي قَتَعَ السُّبَّ لَدْ جَلَّهْ أَنْ يَفْهَمَةُ (١)

وحسبها مادحاً ابن عامر الحميري:

كَأَنَّهَا ضَمَمْتَ مِّنْ مَعَلَقِ الْمَسِكِ فَحُحْنَةٌ
 فَأَضْبَبْتَهُ مِّنْ طَبَّاعِ ابْنِ مِّنْ عَامِرِ السُّدُبِ يَفْهَمَةُ

نرى أنه قبل الخوض في الموازنة بين قصيدة أبي الحسن بن علي الأستجي - التي كانت محور المعارضة الشعرية في هذه الثورات - وثيقة القصائد المعارضة أن أتبه على وهم وقع فيه الدكتور سعد إسماعيل شلي في معرض كلامه على الشعراء الذين حضروا مجلس القاضي ابن عباد حينما قال: ((... امتدت المعارضات حتى أسهم شانية من الشعراء المهينين، والقاضي ابن عباد يستمع لهم، ويهتز طرباً، لقد أشد هذا المجلس ابن القوطية وابن الأبار، وأبو الأصبح بن عبد العزيز وابن حصن وغيرهم من الشعراء...))^(٢).

ولا يمكننا أن نوافق الدكتور شلي فيما ذهب إليه بشأن حضور ابن حصن هنا المجلس، فضلاً عن إنشاده قصيدة في مدحه، ونص الحميري صاحب كتاب البدیع بوضع الأمر، مما جاء فيه: ((قال أبو الحسن علي بن أبي غالب في المعنى الأول والقافية والعروض موصولاً بمدح أبي...))^(٣)، وليس من المعقول أن نقال قصيدة في مدح شخصية غير شخصية ابن عباد وفي مجلسه، لذلك يكون أمراً بديهياً ومنطقياً أنها قد قيلت خارج مجلس القاضي ابن عباد، وهذا يكون ابن حصن خارج المجلس وليس داخله، ونظراً عن ذلك فإن البيت الأخير من القصيدة يصرح باسم ابن عامر والد إسماعيل مؤلف البدیع^(٤).

وبذلك لا نجد ما يشير إلى أنها قيلت في مجلس القاضي ابن عباد، ولعل الذي أوقع

(١) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٢) البيعة الأندلسية وآثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف: ٧٤ - ٧٥ د. سعد إسماعيل شلي، ط ١، مصر ١٩٧٨.

(٣) البدیع في وصف الریح: ٤٩.

(٤) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

الدكتور شلي في اليس هو شكل القصيدة وموضوعها فهي ضالدة كبقية القصائد التي قبلت في مجلس القاضي ابن عباد، وتشارك مع هذه القصائد في الموضوع وهو وصف الطبيعة ثم الانتقال منه إلى المدح. لدى الموازنة بين قصيدة أبي الحسن بن علي الأستجني التي كانت محوراً لقصائد سبعة من الشعراء عارضوها بضمائم القاضي ابن عباد نجد أن أبا الحسن بن علي قد مدح القاضي ابن عباد مستهلاً قصيدته بوصف الطبيعة الأندلسية ثم انتقل إلى مدحه، وتفق بقية القصائد مع قصيدته في الوزن والقافية وحركة الروي وبخلاف معه القاضي ابن عباد، لأن قصيدته وإن كان موضوعها الطبيعة الأندلسية إلا أنها لم تكن في مدح أحد، بل كانت عبارة عن لمحات نقدية أبدعها القاضي ابن عباد في قصيدة أبي الأصعب بن عبد العزيز، وكذلك احتضنت قصيدة ابن حصن عن بقية القصائد التي قبلت في القاضي ابن عباد فجميع القصائد كما نوهنا آنفاً كانت في مدح القاضي ابن عباد باستثناء قصيدة ابن حصن فهي في مدح ابن عامر الحميري.

كما أن ثلاثة من الشعراء وهم: (أبو بكر بن القوطية، أبو جعفر بن الأبار، وأبو بكر بن نصر) لم تأت معارضاتهم بلديع ذاتي، بل جاءت تلياً لأمر القاضي ابن عباد، أما الشعراء الآخرون فقد عارضوا أبيات أبي الحسن بن علي فكانت الاستجابة للمجلس داعياً للمشاركة.

ولو أمعنا النظر في هذه القصائد لوجدنا أبا الحسن بن علي قد أتى على الطبيعة الأندلسية وصورها تصوير الخادق العارف، فدلّت تشبيهاه على إحساس مرهف، لا سيما حين شبه الروض بالمرأة الجميلة، والكواكب بالبرجد، وطل الأفاعي بالمسامع أو بالؤلؤ، والورد بمصدر الغوية التي ترك لها العاشق الميمان عطشاً، وشبه النهر بالسيف الضليل وغدران المياه والبروج بأكوس الفضا، ثم انتقل انتقالاً مستحسناً إلى مدح القاضي ابن عباد الذي خلج عليه صفة الكرم.

أما قصيدة أبي الوليد الحميري لجميع تشبيهاها حسنة مستساغة تنم عن شاعرية فذة وخيال شعري واسع عند الشاعر، فهو يشبه اليفار بالذهب الذي تزدان به الفناء، ويشبه الرجس بلون الخبيب المنفارق الذي يحالطه الشحوب والاصفرار، والأفحوان بلونه الأبيض والأصفر شبيهه بالأسنان البيضاء اللامعة والتي تجاورها أسنان أسنجر مزدانة بالذهب، وشبه ورود البقلاء الخلال على حد المرأة الحسان الذي يزيد بها جمالاً وفتنةً، وشبه معاقبة النهر بالسماء وقد كسا جنبي النهر بالأزاهر والرياحين، ثم تخلص تخلصاً

حسناً إلى مدح القاضي ابن عباد، وشبهه به وبين النهر، فكما أن النهر يكسو الضفين بالورود فإن ابن عباد يصفون الأعراس ويخلق عليه صفة الكرم والوجاهة، وبذلك يكون أبو الوليد الحميري قد وقف على معاني أبي الحسن بن علي وصاحبها بأثواب جديدة، فأجاد ما أراد.

أما ابن القوطية فإن تشبيحاته حسنة، وثم عن شاعرية أيضاً فشبّه الورود بوجه الفتاة الجميلة، وهو يلقب على معاني أبي الحسن بن علي، فإذا قال أبو الحسن بن علي:

كأنما الورود صدرٌ ألقى به التلم غبطة

قال ابن القوطية:

كما التفتيح حدة ألقى به التلم غبطة

ثم يشبه ابن القوطية الياسمين بالنجوم، ويصف الروض البديع وإن هذا الروض لجماله إذا نظر إليه إنسان فلا يستطيع عيانه مطامرتة لانتباهه به وهنا يتفعل ابن القوطية من وصف الطبيعة انتقالاً حسناً فمدح القاضي ابن عباد ويعقد موازنة بين هذا الروض البديع الرابع وسجالات ابن عباد القاضي العادل، وقد علّق أبو الوليد الحميري على مدح ابن القوطية للقاضي ابن عباد بقوله: ((أراد أنه ربيع القدر لم تقدر على حفظه سوب الدهر وهو معني كالسحر))^(١٧).

أما قصيدة أبي جعفر بن الأبار فإنها أنت بنفس أطول من بقية القصائد، والملاحظ على تشبيحات ابن الأبار أنها جميلة أيضاً فهو يشبه الأرض بالسيدة المتزوجة ويشبه الأبقوان بالنجوم ويشبه الأمطار بالهيش، ثم يدخل دخولاً مستحسناً في مدح القاضي ابن عباد.

أما قصيدة أبي بكر بن نصر فقد كان فيها مصوراً بارعاً للطبيعة، ولكنه وقل أيضاً على معاني أبي الحسن بن علي فإذا قال أبو الحسن بن علي:

كواكبها في سماء من الزبرجد فخطبة

قال أبو بكر بن نصر:

كأنها في قساة من الزبرجد فخطبة

وإذا قال أبو الحسن بن علي:

مدافع مُرَقَّطَةٌ

كَأَنَّ طَلَّ الْأَقَاحِي

قال أبو بكر بن نصر:

دموعها مُرَقَّطَةٌ

من تروحي ذي جفون

أما الوزير الكاتب أبو الأصمغ (ابن عبد العزيز) فلم يكن موثقاً في بعض تشبيهاته

ولا سيما قوله:

كَأَنَّهُ سَطْرٌ قِطْعَةٌ

فَالْأَقْحَوَانُ يَبَاحِنُ

لذلك انتقده القاضي ابن عباد على هذا التشبيه وقال:

مَقَالَةٌ لِمَنْ حَلَا

أَبْلِيغٌ شَقِيحِي عَنِي

الَّذِي وَصَفْتَهُ لَمْ أَرِحْتَهُ

بِأَنَّ وَصْفَ الْأَقَاحِي

فلا يرضى القاضي ابن عباد لابن عبد العزيز تشبيه الألقحوان الأصفر، بالقطعة

البيضاء، لأن ذلك يخالف لواقع الحال.

وإن عبد العزيز عندما وصف الألقحوان فإنه اقتصر في وصفه على الأبيض، ولم

يصف الصفرة، بينما نجد القاضي ابن عباد قد جمع بين الصفرة والأبيض ((تشبيهات

كلها مستول على غاية الكمال، مستوف نهاية الجمال، ولو وقع تشبيه من تلك التشبيهات

لموسوم هذه الصناعة متخذ لها كالبضاعة بعد إعمال فكره فيه وإشغال ذهنه به لكان

مستندراً مستغرباً فكيف باحتماهما على حسنهما وانطباقها له.. يديه مع ككرة اشتغاله

بالفرائض عن هذه التوافل...))¹¹.

أما قصيدة ابن حصن وإن كنا قد استبعدنا قائلها من أن يكون حاضرّاً مجلس

القاضي ابن عباد، فإننا لا نستطيع أن ننكر معارضة أبي الحسن بن علي الأسجعي، فقد

أثنى ابن حصن على معاني قصيدته وصانها بأثواب جديدة، فشبه الورد بخد الحبيب

والسوسن بالفتيات الجميلات وشبه التروحي بلون العاشق المُنْهَك، وهو كذلك ينقل

انتقالاً حسناً إلى مدح القاضي ابن عباد.

فيما تقدم وقفنا على فصائد نوريات جاءت المعارضة فيها تامة، ولا شك أن

للمعارضة في هذا المجلس، دلالة عميقة على مدى تثبيت الأندلسيين بوصف الطبيعة.

ولأبي بكر بن نصر قصيدة عارض بها ابن دراج اللسطلّي، في قصيدته في مدح

لمنظر حد الملك والتي وصف بها البهار فقال:

وطيناً نك الدغز فاشرب وطية	ذعبت فاصع لداعي الطرية
يبتزنا أنة قذ قرب	وهذا بشير الربيع الجديد
وصنع بديع وحلتي عجب	هنا يروق بمسك ذكي
لنا فحة نورت بالذهب	عصون الزرجد قد أوزقت
وقامت امامك مثل اللعنة	إذا جيعت في حبال الحرير
وقد لقت مؤلفهم بالسحبة	فمن حقا أن ترى الثارين
لعبد المليك فليك الغربة	وأن تسألوا الله طول البقاء
ولولا شائلة لم لطيبة ^(١)	فلولا محابنة لم تروق

فقال أبو بكر بن نصر في وصف أكثر نواوير الربيع في تصيد بديعة حسنة التشبهات غربة الصفات مدح بها عامراً الحميري والد مؤلف البديع معارضاً في بعض آياتها أبيات ابن دراج في وصف البهار والزرجد يقول فيها:

انوار تخصل عندك الانوار	اسلاله من عامر سألني عن الـ
قد كان لبل بما به آذار	لله بيان ظليه ثم ما
بشموس نور ينها أعمار	أما البقاع فالها جاذت لنا
في الوصف ما فيه اللبأ يحار	كالأقحوان بديعة فاصع له

ومنها يقول:

في خيرة قلبها بما يبار	وشقائق الشعان قمصن أشيعت
قضبان أمي في ذراها ناز	وكأثها وسط البقاع وقد غلت
أيقنت أن اليبسك مة معار	وإذا ناملت السهار تانلاً
وغا الشحار فحلصاً نواز	قضب الزمرد مورقات لينة

وحتمها مادحاً:

لحبا الكوسس وتطعن الأوتار	وتحية بين اللذام لخت لي
ألقا حكتا خدقي وتلك لعار	واقبل جود العامري فحسد

(١) ديوان ابن دراج، التصيدة (١٦٦) في البديع في وصف الربيع: ٥٦، ١٠٠.

عَشْرُ لَعْدُ مِنَ الْمَسِينِ لِأَتَمِّي عَشْرُ يُصْرَفُهَا وَهَنْ بِحَارٍ^(١)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقهما في وصف التوريات والخلاص منه في المدح، فابن دراج القسطلي مدح المظفر عبد الملك وأبو بكر بن نصر مدح عامراً الحميري (ت ٤٤٠ هـ) واقتصر ابن دراج على وصف البهار، في حين وصف أبو بكر بن نصر نواوير كثيرة منها: الأبحوان، والأعنان، والبهار، والقرجس، والحفري، والسوسن، والموزة.

لأن ما يدفعا إلى القول بمعارضة أبي بكر بن نصر لابن دراج القسطلي في المعنى هو وقوف أبي بكر بن نصر على بعض معاني ابن دراج وصياغتها بأنواب جديدة، فإذا قال ابن دراج:

بِهَارٍ يَرُوقُ بِمِسْكِ ذَهَبِي وَصَنَعِ بَدِيعٍ وَخَلَقِ غَضَبِي

قال أبو بكر بن نصر:

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِهَارَ تَأَمَّلْ أَتَيْتُ أَنْ الْمِسْكَ مِنْهُ مُعَارِزٌ

وإذا قال ابن دراج:

غُصُونُ الزُّمُرُودِ قَدْ أَوْقَتْنَا لَنَا فِطْنَةُ نُورَاتٍ بِالذَّهَبِ

قال أبو بكر بن نصر:

فِطْنَةُ الزُّمُرُودِ مَوْرَقَاتٌ فِطْنَةُ وَأَبَا النَّضَارِ مَخْلَصاً نُوراً

لذلك نستجد أن تأتي مثل هذه المعاني في قصيدة أبي بكر بن نصر مشابهة لمعاني ابن دراج القسطلي من باب المصادفة، وإنما الراجح أن يكون الشاعر مُتَلَعاً على قصيدة ابن دراج معارضاً لها.

٢ - المعارضات في الوصف:

إن المعارضات في الوصف بين الأندلسيين هي امتداد لهذا الفن الذي بدأ بمعارضة قصائد الوصف عند المشارقة، وكما قدمنا عندما نضحت الشخصية الأندلسية، امتقلت القصيدة الأندلسية وطبعت بالطابع الأندلسي، فظهرت معارضات الوصف فيما بينهم.

ومما أُنشِدَ في حضرة المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود قول ابن قاضي ميلا يصف مراكياً للروم أوقع به المسلمون وغرقوه وذكر قتل العليج:

(١) المدح في وصف الربيع: ٥٠ - ٥١، ١٠٠.

إذا طفا أبصر الصمصام يرقبه
أو غاص في الماء من خوف الردى شرقا
وأى عيش لموقوف على قلب
يراقب الميتين: السيف والفرقا^(١)
تعارضها ابن شهيد الأندلسي
مادحا المعلى بالله يحيى بن علي وروافدا
المعلى على السودان بأشيلية:

حَتَاكَ سَعْدًا فِي حِلِّ الطَّبَا وَسَقَى

ومنها:

سَلَفًا لِأَسَدٍ سَأَى السَّوْتِ كَلْفَهَا
وَتَلَسَّ السَّيْرَ فِي بَوْمِ الوَحَى حَلْفَا
قَانَتْ بِنَصْرِكَ لَمَّا قَامَ مُرْتَجِلًا
خَطِيبُ جُرْدِكِ فَيْهَا يَسْرُ الوَرْقَا
سَوَّتْ تَقْدُمَ جَيْشِ النَّصْرِ فَجُحْدًا
سَلَّ الهَمْرَةَ فِي بَسْرِ الْعِلَا طَرْقَا
أَجْرَمَتْ لِلزُّنُجِ فَوْقَ الشَّهْرِ نَهْرَ دَمٍ
حَتَّى اسْفَحَالِ سَاءُ جَمَلْنَا شَفَقَا
وَسَاخَذَ الْفَلَّكُ الْأَعْلَى بِفَتْلِهِمْ
حَتَّى غَدَا الْفَلَّكُ بِالرَّاجِي بِهِ غَرْقَا
وحتمها بقوله:

إذا وبى نَقَرَ الحَطْبُيُّ نُهْرَةً
أو عَادَ بِالنَّهْرِ مَسْلُوبَ القُوَى غَرْقَا
وأى نَهْرٍ يَرْجِسِي الْعَبْرَ حَابِرَهُ
وَسَقَّةُ طَائِفَاتِ غَوْدَرَاتِ فِلْقَا

لدى الموازنة بين بيتي ابن قاضي ميلة والقصيدة ابن شهيد نجد المعارضة تامة الأركان، إلا أننا لا نستطيع إقامة موازنة متسقة لأن المصادر لم تدنا إلا لبيتين اثنين لابن قاضي ميلة في وصف المركب، في حين نجد اثني عشر بيتاً لابن شهيد الأندلسي مدح بها يحيى بن المعلى، إذاً نلاحظ أخذ ابن شهيد لمعاني ابن قاضي ميلة في بيته وصياغتها بأنوار جديدة، فنظر ابن شهيد إلى بيتي ابن قاضي ميلة السابقين^(٢)، ففي أبياته السادس والسابع والثامن إشارة إلى مية البحر.

ومما قاله أبو محمد بن صارة في وصف زورق في نهر لأشيلية:

تَأَمَّلْ حَالَنَا وَالْجَوْ طَلَنْ
مَهْيَاً وَقَدْ طَفَلَ الْمَسَاءُ
وَلَقَدْ جَاءَتْ بِنَا عَمْرَاءُ حَمَلَى
لِحَبَابٍ مِرْطَهَابٍ رِيحٌ وَحَسَاءُ

(١) المقطوف في ١ م ١: ٣١٢ - ٣١٣.

(٢) ديوان ابن شهيد الأندلسي، القصيدة (٤٤).

بَنَاهُمْ كَالسَّجْجِ جَلِي كَوَثْرِي لَفْسُ وَجْهَيْهَا قَبِي السَّمَاءِ (١)
 وافق أن وقف أبو إسحاق بن خفاجة على القطعة، فاستظرفها واستظاها، فقال
 يعارضها على وزنها ورويتها وطرفتها:

أَلَا يَا حَيِّدًا حَيْثُكَ الْخَيْبَا بِحَانِيهَا وَقَدْ عَبَسَ السَّمَاءُ
 وَالْأَهْلُ مَنْ جِيَادِ الْمَاءِ نَهْدُ تَنَارِغُ جُلَّةَ رِيحٍ وَخَاءُ
 إِذَا بَدَتْ الْكُؤَاكِبُ فِيهِ غُرْفِي رَأَيْتَ الْأَرْضَ لِحَسْنِهَا السَّمَاءُ (٢)

لدى الموازنة بين القطعتين نجد بينهما معارضة ثلثة الأركان والتي صارة تصف
 الزورق وهو في النهر قبيل الغروب، ويشبهه بصفتين هما عنقاء وحيلي، لأن القوم كانوا
 في الزورق، فقد شبهه بحيلي تصاحب ذواتها الريح ويشبه عذوبة ماء النهر بماء الكوثر
 العذب، وقد تلاخمت فيه الأمواج.

أما ابن خفاجة فيمنى على صاحبه ذي النفس العزيزة الآية أن يتزه في داخل هذا
 الزورق وقت الغروب، ويشبه الزورق بالفرس لأن الأهم هي إحدى صفات الخيل،
 فكان هذا الزورق فرس ينطيه فارس، وينقل ابن خفاجة إلى تصوير النهر بعد غياب
 الشمس وظهور النجوم في السماء التي سيحدها المتزهون في صفحة النهر، فتبدو صورة
 النجوم في صفحة النهر أروع مما هي عليه في السماء، فكان السماء تحسد صفحة النهر
 التي هي في الأرض، ولا سيما وهي هذه الصورة الرائعة، وقد أبدع ابن خفاجة آيما
 أبدع حين شبه القارب بالأهم وشراع القارب بحيل الفرس الذي نازعته ريح رخاء،
 ولم يقصد العراية في الصورة على نحو ما نجد عند ابن صارة.

والأي الوليد بولس القسطلني قصيدة مدح بها الوزير أبا الحسن خالد بن حسن
 واصفاً بناء لمنزل أزرق وهي رباح بالجزيرة الخضراء:

تَبَيَّنَتْ بِمَدَارَةِ الْقَمْنَرَيْنِ دَارَا لَمَدَحُ عُثْمَانَ أَوْ إِسْمَانَ دَارَا
 يَطْوِدُ مُشْرِفَ الْجَنَابَاتِ عَالِ كَأَنَّ عَلَى النُّجُومِ لَمَدَارَا
 وَقَدْ حُرْمَتِ أَبَا ذِيكِ الْمَعَالِي خَفَافِيهِ وَأَحْسَبُ ذَلِكَ السَّمَارَا

(١) ابن صارة الأندلسي حياته وشعره: ٤٤، نج: مصطفى عوض الكرم، ط مصر، المطبوع

١٩٥٨م.

(٢) ديوان ابن خفاجة القصيدة (٦-٣).

وقال مادحاً:

لَمَنْ يَكُنْ سِوَالاً عَيْسِي فَإِنِّي
لِي الْحَسَنُ بِنِ حَسُونِ الَّذِي لَا
يُجَارِي فِي السَّمَاحِ وَلَا يُجَارِي

وحسبها بقوله:

وَفَوْقَ الدُّوْحَةِ الْغَيْثُ غَدِيرٌ
إِذَا مَا الصَّبَا أَرْزَقَ مُسْتَقِيمًا
يُجَرِّدُهُ لَمَمُ الْأَكْيُوبِ صَلَاتًا

ومعارضة أبو بحر صفوان الشحبي مدحاً الوزير أبا عمر بن أحمد ابن الوزير أبي الحسن خالد بن حسون ووصفاً المنزل:

وَقَدْ حَمَيْتُ بِالْحَضْرَاءِ دَارًا
تَوَهَّمْتُ السَّمَاءَ بِهَا فَحَلَسِي

ومنها:

وَمَا قَالُوا لَهَا الْخَضْرَاءُ إِلَّا
وَمَنْزِلُنَا بِأَرْزَاقِ كَوْثَرِي
وَتَطَوَّرَ لَوْ نَزَّاحِمُ فَتَكْبَاهُ

وحسبها:

أَبُو عَثْرٍ بِنِ حَسُونِ الَّذِي لَا
قَسِي فِي السَّمَنِ كَبَلٌ فِي الْعَالِي
وَلَا عَجَبٌ بِمَوْذُودِهِ حَمِيرًا
وَإِنَّ السَّمِيمَ وَهُوَ أَذْقُ شَيْءٍ

من الموازنة بين القصيدتين نجد أن أبا الوليد القسطلي يبدأ قصيدته بالمدح ويطلع على مدحها صفات الكرم، ثم ينتقل إلى وصف المنزل الذي بناه الوزير أبو الحسن

(١) زاد المسافر وغسرة عميا الأديب السعدي، أبي بحر صفوان بن إدريس الشحبي: ٥٩ - ٦٠، أحمد
وعلق عليه: عبد القاهر عباد، بيروت، ١٩٨٠.

(٢) زاد المسافر: ٦٠ - ٦١.

خالد بن حسون، أي لها على محورين فقط المدح والوصف وبلغت أحد عشر بيتاً. أما قصيدة أبي بحر بن صفوان فجاءت بنفس أطول وبلغت ثلاثاً وعشرين بيتاً وهي على ثلاثة محاور، الأول: توجه فيه الشاعر بالمدح العام إلى الأخوان الذين رعوه وقصد بهم الوزير وحاشيته، أما المحور الثاني: فوصف به المنزل الأزرق وبين صفاته ومهاسنه، أما المحور الثالث: وهو الذي حتم به القصيدة فكان مدحاً خاصاً للوزير أبي عمرو بن أحمد بن حسون، وجاءت قصيدة أبي بحر صفوان بمعنى قصيدة يونس القسطلي نفسها، فلم يدع صفوان فيها، فإذا قال يونس القسطلي:

بطورٍ مُشرفٍ الجبابِ عالٍ كأنَّ على النجومِ له مداراً
قال صفوان:

وطود لو تزجيمُ منكباه نظام النجم لا تمشر انتشاراً
وإذا قال يونس القسطلي:

أبي الحسن بن حسون الذي لا يجاري في السماج ولا يبارى
قال صفوان:

أبو عمرو بن حسون الذي لا

ولا ين خلافة قصيدة في وصف فرس أشهب محلي:

رب طرفٍ كالطرفِ سرعةٍ غدوٍ ليس بمسرى سُرابةٍ طيفٍ الخيالِ
إنَّ سرى في الدجى فبعضُ الدُّراري أو سعى في الفلا فإحدى السُّغالي
لست أدري إنَّ قبلةَ ليلةٍ أترى أو تطيبتُ غداةً قاتلِ
أجنوبٌ فصادتُ لي من جنبِ أم شمالٌ عتاتها بِشِمالي
جال في أنجمٍ من الخلسي بهي وقصيرٍ من السماج مُدالِ
أشبهُ النُّورن أثقلُفةٍ خلصي حبةً فيهنَّ وهو مَلقى الجلالِ
قبدا الصُّبحِ مُتَجَمِّباً بالشُّربا وجرى البرقُ مُسْرَجاً بالجلالِ

ولأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الملقب بالحكيم (ت ٥٢٩ هـ) أبيات في وصف فرس أيضاً يقول فيها:

وأشهبٍ كالشبابِ الخصى يلوخ في مذهبِ الجلالِ
قال حمودي وقد رآه يُحسبُ خلقسي إلى القاتلِ

مَنْ الْجَمُّ الصَّخِّجُ بِالْأُتْرِيَا وَأَمْرُجُ السِّيرِقِ بِمِغْلَالِ^(١)
والأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الملقب بالحكيم (٥٢٩ هـ) كليات في
وصف فارس أيضاً بقول فيها:

وَأَشْبَهَ كَالسَّهَابِ أَحْسَى يَلُوحُ فِي مَلْهَبِ الْجَلَالِ
قَالَ حَسُودِي وَقَدْ رَأَى يُخِيبُ خَلْفِي إِلَى الْقَتَالِ
مَنْ أَجْمَ الصَّخِّجُ بِالْأُتْرِيَا وَأَمْرُجُ السِّيرِقِ بِمِغْلَالِ^(٢)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، وما إن
الشاعرين مترادمان^(٣)، ولعدم وجود دليل يثبت أيهما سبق في وصف الفرس لذلك
يصعب تعيين أيهما عارض الآخر، فلا ندري أيكون ابن خلفان في هذه القطعة معارضاً
أم معارضاً، لكن روح المعارضة الشعرية موجودة، ولا سيما الصورة الشعرية الواردة في
البيت الأخير من قطعة أبي الصلت أمية بن عبد العزيز حيث تتشرب كثيراً من الصور
الشعرية التي أوردها ابن خلفان في قصيدته السابقة^(٤).

ومما قال أبو الحسن جعفر ابن الخاج المورقي في وصف ثعلب:

لِي صَاحِبَةٌ عَمِيثَةٌ عَلِيٌّ شَوْوُهُ حَرَكَاةٌ مَجْهُوْلَةٌ وَمَكُوْلُهُ
يَرْتَابُ بِالْأَمْرِ الْجَلِيِّ لَوْهَمًا فَإِذَا سَقِنَ نَارَ غَنَةِ عُنُقُوْلُهُ
إِنِّي لِأَهْوَاةٍ عَلَيَّ شَرْقِيٍّ بِهِ كَالسَّيْبِ تَكْرِهَةٌ وَأَنْتَ تَصُوْلُهُ^(٥)

فعارضه أبو الصلت أمين بن عبد العزيز في وصف الثعلب قالاً:

لِي جَلِيْسٌ عَجِيْبٌ كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ هَلَلَهُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ تُقْبَلُهُ
أَنَا أَرْعَاةٌ فَكُكْرَمًا وَيَقْلِي مِنْهُ مَا يُسْتَلَفُ الْحَيَاةُ الْأَلْمَةُ

(١) ديوان ابن خلفان القصيدة (١٩٥): ٣٦٠.

(٢) ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني: ١٣٣، جمع وتحقيق: عبد العزيز، القطعة
رقم (٥١٠).

(٣) ابن خلفان (٤٥١ - ٥٢٣ هـ)، بطر: ديوانه: ٥. الحكيم أبو الصلت أمية بن عبد العزيز
(٤٦٠ - ٥٢٩ هـ)، ويطر: ديوانه.

(٤) وصف الجيوان في الشعر الأندلسي - عصر الطوائف والبرابطة: ٢٩٣، د. حزام عبد الله خضر،
بغداد: ١٩٨٢.

(٥) نفع الطيب: ٢ / ٣٦٠.

فهو مثل المشيب أكثره مرآة ولكن أصونته واجلته^(١)
 لدى الموازنة بين المقطعين نجد اتفاق الشاعرين في الوصف، فقد وقف الشاعر
 أبو الصلت على معاني أبي الحسن جعفر السيورفي وصاغها صياغة تقليدية وبذلك حلت
 مقطعه من عنصر الإبداع، لأن التقليد واضح فيها، وأبو الصلت في قصيدته يضيق ذرعاً
 من صاحبه، إلا أن مثل هذا الشعور لم تجده في مقطعة أبي الحسن السيورفي وقصر وصفه
 على جهله بصاحبه، وأكد الشاعران احترامهما لصاحبهما رغم ثقته وشبهه بالمشيب
 الذي يصفان رغم كره صاحبه له.

ولأبن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) بيتان في وصف الرهبة من البحر صادقاً
 موقئاً عند بعض الشعراء الأندلسيين فأقبلوا على معارضتهما بقول فيهما:

البحرُ صعبُ المذاقِ مرٌّ لا زُجفتُ حاجتي إليه
 ليسَ ماءً ونحوَ طينٍ فما عسى صيرنا عليه^(٢)
 فعارضهما ابن حنيس قائلاً:

لا أركبُ البحرَ خوفًا عليّ منه المعاطبُ
 طينٌ أتاه وهو ماءٌ والطينُ في الماءِ ذائبُ^(٣)
 وقال أبو الفضل جعفر بن المترح:

إن أبا آدمٍ طينٌ فالبحرُ ماءٌ يُذيبُ
 لولا الذي فيه يتلى ما جازَ عندي ركوبُهُ^(٤)
 وعارضه ابن حنيس:

واخضر لولا آية ما ركبته وفيه تصريفُ القضاء كما شاء
 القولُ حماراً من ركوبِ عبابه أيا ربه إن الطينَ قد ركب الماءُ^(٥)

(١) ديوان الحكيم أبي الصلت: ١٣٢، المقطعة (٥٣٤).

(٢) ديوان ابن حنيس: ٥٣٣.

(٣) ديوان ابن حنيس: ٥٣٣ - ٥٣٤.

(٤) ديوان ابن حنيس: ٥٣٤، ويغير الشاعر في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا لَهَا يُسَمِّى اللَّهُ

نَجْرَانًا وَلَمَّا أَفْرَسَهَا إِنَّ رَبِّي لَعَلُّوزٌ رَجِيمٌ﴾ سورة هود، الأ: ٤١.

(٥) ديوان ابن حنيس: ٥٣٤.

لدى الموازنة بين المقطوعات الشعرية الأربع نجد أن مقطوعة ابن رشيق القيرواني هي المحور الذي يبيت عليه المقطوعات الشعرية الأخرى، وأكد ابن رشيق الرهبة من البحر لصعوبة ركوبه، ولا سيما أن الإنسان ضعيف، وقد برّر الشاعر رهبته من البحر لأنه مخلوق من الطين وهي كتابة عن ضعف الإنسان^(١)، وجاء ابن حديس وأبو الفضل بن المنقرج ليؤكدنا هذه الرهبة من البحر، بل ذهب ابن المنقرج أنه لولا أن الله قد أحاط للمسلمين ركوب البحر وذلك في كتابه الكرم لحرمه على عبده.

٣ - المعارضات في المديح:

إن الأندلس عاشت حالة فريدة في القرن الخامس فكان أكثر ملوكها من الشعراء، لذلك فقد انظم الشعراء في مجالس الملوك يقولون القصائد في مدح أولي نعمتهم ومعارضون في مدحهم، ومن هنا كان بلاط الملوك البيئة الملائمة لازدهار معارضات المديح.

ومن قصائد المديح التي عارضها الأندلسيون فيما بينهم قصيدة ابن دراج في خيران العامري التي يقول فيها:

لـك الخـيـرُ قـد أوفـى بـعـيـدك خـيـرانُ	وَبَشْرَاكُ، قـد آوَاك عـزُّ وِلسْطَانُ
هـو النـجـحُ لا يـدعـى إـلى الصـبـح شـاهـدُ	هـو الكـوـرُ لا يُبـغـى عـلـى الشـمـسِ بـرهـانُ
إـلـيـك شـحـحُ المُفـلـك تـهـوي كـأهـا	وقـد ذُهِبَتْ عـن مـغـربِ الشـمـسِ غـويـهـانُ

ومنها يقول:

كـدائـبُ نـلُّ كـتـيـبُ بـصـركِ نـطـرُتِ	ووجـهـك (بـاسـمِ اللـهِ) وـالـسـيـفُ عـنـوانُ
هـو السـيـفُ لا يـرتـابُ أـنـك سـيـفُهـ	إـذا نـازـلُ الأـقـرـانِ فـي الخـربِ أـقـرـانُ

وحتمها:

وقـد زآذ أـبـسـاءُ السـبـيـلِ وِسيـلُ	وحلـسـوا فـرآد أـتـم لـك جـيـفـانُ
لـمـآ قـصـرتِ بـي عـن عـلـاك شـفـاعـةُ	ولا بـسـك عـن مـثـلي جـزآءُ وِاحـسـانُ ^(٢)

(١) ينظر: البحر في شعر الأندلس والمغرب في عصر الطوائف البرابطين: ٢٠، بحث د. محمد مصطفى جيت، المنشور في حوثيات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة، الرسالة الأربعين ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) ديوان ابن دراج، القصيدة (٣٣)، وبلغت (٨٠) بيتاً.

فعارضته الغسالية الجحائية وهي من شواجر القرن الخامس الهجري بقصيدة مدحت بها خيران العامري أيضاً، تقول فيها:

تتجزع إن قالوا سظعن أطعنا
وما هو إلا الموت عند رحيلهم
عبدتهم والعيش في ظلّ وصلهم
ليالي سعد لا يخاف على الهوى
ويستطو بنا هو فتعشق المني
ألا ليت شعري والفراق يكون هل
وكيف تطيق الصبر ويحك إن باتوا
والأ فعيش تجتني منه أحزان
أسق وروحن الدهر أزهو ريان
عذاب ولا يخشى على الوصل هجران
كما اعتقت في مطوة الريح الخدان
تكونون لي بعد الفراق كما كانوا

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، والموضوع، وجماعت قصيدة ابن دراج بنس طويل جداً، حيث بلغت ثمانين بيتاً وهي مطولة من مطولاته، أما قصيدة الغسالية الجحائية كما أوردها الحميدي في الجذوة فقد بلغت ثمانية أبيات^(١).

إن هذا النفس الشعري الطويل ينم عن شاعرية فذة يتدوها بالدعاء للممدوح ويصف رحلته إليه عن طريق البحر ويتقلد إلى المديح.

أما الغسالية الجحائية فلها لم تستطع بلوغ شأور ابن دراج في قصيدته لكثرة ما أتى به من صور شعرية رائعة فصّرت عن اللحاق بها.

ولابن هاني الأندلسي قصيدة في مدح جعفر بن علي يقول فيها:

أهلقنا إذ أرسلت واداً وخفنا
وبات لنا ساق يقوم على الدجى
أغر غصين خفف الدين فذة
ومنها يقول:

كأن وقبب النجم جدول مرقب
كأن يسي تعتي ونعشاً مطاقل
كأن سهلاً في مطالع أقبه
يقلب تحت الليل في ريشه طرفاً
بوحرة قد اظلمن في منبه حنفا
مفارق ألف لم يجذ بعدة النفا

كأن قدامي السر والسر واقع
وما كنت مداحاً ولكن مغوياً
أيا أحمد لقد كان في الأرض موثقاً
وحمياً:

وكيف تراكي ليك بتاً ولوعاً
أبئت بك الأيام وهي مخلوقة

فعارضها أبو الربيع سليمان القاضي

بعضك إلا ما قصرت لنا الدجى
كان النجوم الزهر في حضرة الدجى
كان جناحي سرها وهو واقع
كان أخاه لد أبي من تبية
كان لها مصباح مشكاة رهب
كان عراقي الدلو في كفة مانع
كان بني نعش طلائع نعجة
كان شهلاً خلفه من أناة
كان طلام الليل اسود مطرق
كان نبات القطب فوق مصايه

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة تامة الأركان، وامتازت قصيدة

ابن هاني بنفس شعري طويل مبدع لاحتوائها على حسن التشبيه وجميل المقابلات والاستعارات الكثيرة، في حين أخفق أبو الربيع سليمان القاضي فلم يبلغ شأن ابن هاني وكما أشار إلى ذلك ابن بسام بقوله: ((وإنما احتذى أبو الربيع في هذه التشبيهات طريقة محمد بن هاني الأندلسي وسلك سبيله فضل عنها...))^(١) ويمكن ملاحظة ذلك من

(١) مسوان ابن هاني الأندلسي: ٢٠٧ - ٢١٣، نج: كرم بساني، وبلغت القصيدة (٧١) بيتاً، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤.

(٢) الفخرقة، ج ٣ م ١: ٥٠٨.

(٣) المصدر نفسه.

موازنة بين تشبيهات الشاعرين، فإذا قال ابن هاني:

كَأَنَّ سُهَيْلًا فِي مَطَالِعِ أَقْبَدِهِ مفارقًا لِقَابٍ لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ إِقْبَا

قال أبو الربيع:

كَأَنَّ سُهَيْلًا خَلْفَهُ مِنْ أَدْبِهِ سَكَبَتْ عَلَى أَدَارِ حَلْبِهِ قَفِي

فإذا قال ابن هاني:

كَأَنَّ قَدَامِي التَّسْرِ وَالسَّرُّ وَفَجَّ فَصِيحُنْ لَمَّمْ لَسْمُ الْخَوَالِي بِهِ خَعَقَا

قال أبو الربيع:

كَأَنَّ جَمَاحِي لَسْرَهَا وَهُوَ وَالْفَجَّ مَبِيضَانِ لَمَّا يَسْتَقْلَبُ بِهِ خَعَقَا

وواضح أن ابن هاني كان أحق في المخالفة بين التشبيه وأركانته المعروفة، المشبه والمشبه به ووجه التشبه والأداة، فجماعت تشبيهاته محكمة، على خلاف أبي الربيع الذي لم يصل درجة ابن هاني ففصر دونه.

ونظر أبو الربيع سليمان القضاعي إلى قصيدة ابن هاني الغالية المذكورة سابقاً، ونظم قصيدة سبها في مدح أبي الحزم بن جبور، استقى أكثر معانيها وأندكروها من ابن هاني حتى تكاد تكون المعاني والأفكار واحدة عند الشاعرين، ومنها قوله:

فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءُ أَقْبَدْتُ كَنُكْلَاءُ فَبُوقِ السَّمَارِ وَجَبَّيْتُهُ حَبِيصًا

طَالَمْتُ عَلَيَّ وَطَالَ بَنِي نَحْبِي حَتَّى خَبَيْتُ الدَّهْرَ لَيْلًا غَمَّصًا

وَالسَّجْمُ فِي كَسْبِ السَّمَاءِ كَالْبُ شَيْخٍ تَدْرُغُ بِالْمَهَابَةِ وَالْكَسْبِي

وختمها بقوله:

وَالصَّبْحُ مَهْرُومٌ وَقَدْ رَفَعَ النَّوَا فِي إِسْرِهِ جَنَحُ الظُّلَامِ لِيَحْبَا

حَتَّى تَلْقَى النَّجْرَ فِي حَلَلِي الضُّحَى فَجَلَا لِمَا وَجَعِ الظُّلَامِ الْأَعْبَا

فَكَأَنَّهُ لِمَا اسْتَطَالَ عَلَى الذُّجَى بِنَا لِي الْحَزْمُ الْأَعْرُ تَلَيْتَا (١)

ومعارضها أبو بكر محمد بن عيسى الشاذلي المعروف بابن الأمانة (ت ٥٠٧ هـ)

بقصيدة مدح فيها ناصر الدولة، يقول فيها:

عَرَّجْ بِفَتَعْرَجَاتِ وَأَدْبِهِمْ عَسَى تَلْقَاهُمْ نَزَلُوا الْكَلْبِيَةَ الْأَوْعَا

أَطْلَسِيهِمْ حَيْثُ الرِّيحُ تَفْتَحَتْ وَالرِّيحُ فَاحَتْ وَالصَّبَاخُ تَلْفَا

ومنها يقول:

لَيْسَ الْحَدِيدُ عَلَى لِحْيِ أَدِيمِهِ فَعَجِبْتُ مَنْ ضَنَّجَ لَوْشَجَ حَدِيدًا
وَأَسَى بِجَمْرٍ ذَوَانِيًا وَذَوَابِلًا لَرَأَيْتُ رَوْحًا بِالضَّلَالِ تَحْرُمًا

وخمها بقوله:

وَأَمَّ الْعَدَا عَدَلِي عَلَيْهِ فَلَقِيَهُمْ وَالسَّحْمُ لَيْسَ بِمَكْنٍ أَنْ يُلْمَسَا
وَإِذَا وَجِلْتَا إِلَى الْأَمِيرِ مِشْرًا فَاحْتَقَلْ بِسَاطِئِكَ فِي تَوَاقُفِ السُّدُنَا^(١)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد المعارضة تامة في أركانها، وقد بدأ تأثير الطبيعة على القصيدتين، وعسى أبو الربيع فقضاهي بها وجاراه ابن اللبانة بالعبارة بالطبيعة في قصيدته أيضاً.

ولأبي المظفر البغدادي قصيدة مدح بها ناصر الدولة مبشر بن سليمان وهي في أصلها معارضة لقصيدة أبي حرائر الهذلي، كما مر بنا في الفصل السابق، وفيها يقول:

هوَ طَيْفٌ وَطَرِيقٌ لَعَلُّهُ فَمَسَى بِفِي لِسْكَ وَالْوَفَاءُ قَلِيلُ
وَكَأَنَّ زُورَانَهُ تَحْيِيلُ بَارِقِ فَتَنَّقَتْ بِهِ الْكِبَاءُ وَهِيَ بَلِيلُ
لَوْ دَامَ فَبِلَكُمْ اجْتِمَاعٌ لَمْ يَدَقْ أَلَمْ تَعْرِفِي عَالِكًا وَعَقِيلُ

وخمها بقوله:

وَاهَا لِعَصْرِكَ وَهُوَ يَطْفُرُ لَضْرَاةً وَيَمِينٌ نَحْتِ ظِلَالِهِ التَّامِيلُ
فَكَانَهُ وَرْدُ الْحَدُودِ إِذَا اكْتَسَتْ حَجَلًا وَكَأَذْ يُزِيئُهَا التَّقْبِيلُ
إِنَّ الْمَدَى وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْعَلَا رَتبًا تَرْدُ الطَّرْفِ وَهُوَ كَلِيلُ^(٢)

ويروي لنا ابن بسام أن الأمير مبشر بن سليمان طلب من أبي بكر الداهي معارضتها، فقال الداهي معارضاً^(٣):

فِي الطَّيْفِ لَوْ سَمَّحَ الْكُورِيُّ تَعْلِيلُ يَكْفِي ائْتِبَا مِنْ الْوَفَاءِ قَلِيلُ
وَيَسْتَوِي عَنْ شَخْصِ الْحَبِيبِ حِيَالُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهْ فَرَالُهُ لَمَشِيلُ

(١) الفذحيرة، في م ٣ ص ٦٦٨٤ وينظر: شعر ابن اللبانة، جمع وتحقيق: د. محمد محمد السيد، القصيدة (٤١).

(٢) الفذحيرة، في م ٣ ص ٦٦٩٠.

(٣) المصدر نفسه، في م ٣ ص ٦٦٩٠.

برق السماء على الغمام علامة
والروح إن بعدت عليك قطرة
وسنا الصباح على النهار دليل
وقد لك عنه الريح وهي بليل
وحتمها بقوله:

فبك كما القد الضاح وراءه
جاورت منه البحر إلا أنه
هبل كما برد المساء ظليل
عذب كما زلف النبي ظليل
وأنتك من بغداد بكر ما لها
وغيري وإن كثر الرجال قليل
وحتمها بقوله:

أنا ذلك لو لي أكون لكندة
لا عيب لي إلا السحول وخيله
ما فاني فيها الفنى الضليل
إن المهند قاطع ونحيل^(١)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة تامة الأركان، فقصيدة البغدادي استعملها بالغزل، ثم عرج على المدح وتابعه ابن اللبانة مستهلاً قصيدته بالمدح وحتمها بالمدح، فإذا قال البغدادي:

هو طيفها وطروقة تعليل
فمن يلى لك والوفاء قليل

قال ابن اللبانة:

في الطيف لو سح الكوى تعليل
يكفى الحب من الوفاء قليل

وإذا مضينا مع الأبيات الأخيرة عند الشاعرين وجدناهما يختتمان قصيدتهما بالمدح للممدوح.

٤ - المعارضات في الغزل:

الغزل فن شغل الشعراء، على امتداد العصور الأدبية، والقرنات أسماء كثير منهم بحياتهم، كمجنون ليلى، وكثير عزة، والعباس بن الأحنف صاحب فوز، وفي الأندلس، عرف ابن زيدون بصاحب ولادة، وابن الخلدك بصاحب نوبة الصراية، فلا يحصى للشعراء الأندلسيين من طرق باب الغزل، لأنهم كثيرهم من الشعراء يحبون ويغزلون، لذلك صلت المعارضة الشعرية في فن الغزل، وتطالعتنا مقطوعة شعرية غزلية لأبي الفضل بن حسداي يقول فيها:

(١) الملحمة، ج ٣ م ٢٤ - ٢٩٠ - ٢٩٢ وينظر: شعر ابن اللبانة الثاني، القصيدة (٦٦)، وبلغت (٢٩) بيتاً.

عهداً لئلا تظاهرة الأمانات
يُبدى العوهم للمشتاق متوجهاً
لنقصي عدات إذا هب الكرى وإذا
تعل غشيب الليالي أن يعود إلى
بشرى تحقق ما زار الخيال به
وعارضها أبو الطاهر عماد بن يوسف الأشكوري:

وعده لعلوة أن تقضي لباتات
لم لرحبها منك أنضام مقطعة
فقلت وقد أبصرت من بينها جزعي
وفي سبيل الهوى والشوق ما صنعت
عوض وجانك من يأس ومن تروح
بمني وبينك عهد سوف أحفظه

والإتفاق واضح بين القصيدتين في المعارضتين في جميع الأركان، وابن حسداي في مقطوعته يصور اشتياقه إلى خيال حبيبه التي أبعدها عنه الأيام.

أما الأشكوري فقد نجح إلى حد بعيد في مثل الصور الشعرية عند ابن حسداي لصالحها صياغة جديدة، مما يتضح عن طول ياحه في قول الشعر، لذلك جاءت الإنكار والمعاني في قصيدة الأشكوري مشابهة للمعاني وأنكار ابن حسداي، وقد أدها الأشكوري بشكل حوار جميل جرى بينه وبين الغيبة.

ولابن رشيق الفيرواني من قصيدة غزلية لم يصل إليها إلا مطلعها الذي يقول فيه:
والصبح قد مطل الليل العيون به
كأنه حاصصة في كلفاً حنين

(١) هذه القصيدة نسب للحكيم المصري وأولها:

توريد حذك للأحداق لذات
عليه من غير الأصداخ لآمانات

ويقول د. إحسان عباس في الغمام (٦) في الذخيرة، ج ٣ م ١: ٤٩٣ (٥) أن هذا مطلع لابن حسداي، ويشير أن صاحب القلائد قد خلط بين القصيدتين، المستوفد بنظر: الذخيرة،

ج ٣ م ١: ٤٩٢؛ القلائد العتيقة: ٢١٠.

(٢) الذخيرة، ج ٣ م ١: ٩١٩.

وهذا البيت اليتيم من قصيدة تقدمت، بدليل أن ابن بسام أشار إلى أنها قصيدة^(١)، وعارضها أبو الحسن عبد الكريم بن لؤس القيرواني المعروف بالخلواني بقوله:

وهسابٌ لعركٍ يُعْطِيهِ ونُشَيْبِي	وسحرٌ عَيْبِكِ يَغُويهِ ونُغْرِي
وَأَيُّ تَشْيِكِ مَعْنَى لَا يَقُومُ بِهِ	مَا فِي الْعَصُونِ مِنَ الْإِرْهَافِ وَالنَّجِي
إِذَا وَصَلْتِكِ بِالْمَحَطِّ الْقَتُورِ قَمْنٌ	لَقَدْ الْقَلُوبَ بِأَطْرَافِ السَّكَائِنِ
وَأَنْ تُعْتَلِّقَ بِالْعَصَنِ الرُّطِيبِ فَمَا	فِي الْعَصَنِ مَا فَيْتَكَ مِنْ كَلِّ الْأَدْنِي
لَمْ يَرْضَ عَنِّي الْفُؤَادِي مِنْ خُدَاتِهِ	حَتَّى مَسَحَتْ بِهِ فِي كَفِّ حَنْبِي

وحتمها بقوله:

إِنْ كُنْتَ فِي الْحَبِّ سَانِطاً عَلَى كَيْدِي	فَحَسْبُ عَضُوبَةٍ سُلْطَانِ السَّلَاطِينِ
أَوْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَسْكِينِ مَرْحَمَةٌ	فَسَيَأْتِي عَيْبِكَ مَسْكِينُ الْمَسَاكِينِ ^(٢)

ولا يمكننا إجراء موازنة منصفة بين قصيدة ابن رشيق القيرواني التي لم يصل منها سوى بيت واحد، وبين قصيدة الخلواني التي وصل منها أربعة عشر بيتاً.

الآن أن ابن بسام قد وقف على القصيدتين ووزان بينهما حينما قال عن الخلواني: ((وأراه عارض هذه القصيدة ابن رشيق، فضل عنها الطريق، هذا وقد قلت إن له في السبب لوفر نصيب، فأما إذا وصف أو مدح، تقلما رأيتُه في ذلك نجح ولا أفلح))^(٣).

وما يعزز كلام ابن بسام تقصير الخلواني عن ابن رشيق في بيته اليتيم الذي وقلنا عليه، فإذا قال ابن رشيق:

وَالصَّحُّ قَدْ مَطَّلَ اللَّيْلَ الْعَيُونَ بِهِ	كَأَنَّهُ حَاجَةٌ فِي كَفِّ حَنْبِي
---	-------------------------------------

قال الخلواني:

لَمْ يَرْضَ عَنِّي الْفُؤَادِي مِنْ خُدَاتِهِ	حَتَّى مَسَحَتْ بِهِ فِي كَفِّ حَنْبِي
---	--

وتقدم بنا في الفصل الثالث، أن نية ابن زيدون، في أصلها معارضة لونية البحري، وقد وقلنا عند جواب المعارضة هناك، والظاهر أن الإبداع الذي تحقق في قصيدة ابن

(١) إسوان ابن رشيق القيرواني: ٢١١، القصيدة (٢٠٧)، جمع وتحقق: هاشم باقر، (د. ت) ١، وانظر: الذخيرة، ك ٤ م ١ / ٢٢٥.

(٢) الذخيرة، ك ٤ م ١ / ٢٨٩ - ٢٩١، وبلغت القصيدة (١٤) بيتاً.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩١.

زيدون جعل منها أصلاً يعارضها الشعراء دون أن يعارضوا قصيدة البحري، ووقبت
قصيدة ابن زيدون شيرة في الشرق والغرب، فعارضها الشعراء الأندلسيون والمشرقيون
على حد سواء، وفيها يقول:

أضحى التالي بدلاً من لدائنا وناب عن طيب لقيانا نجافنا
ألا وقد حان صبح الين صبحنا حين، فقام بنا للحين داعينا

ومنها يقول:

بئس ومننا، فما ابتلت جوائنا شوقاً إليكم، ولا جفت ماقينا
نكاد حين لنا جيبكم ضمائرنا يقضي علينا الأسي لولا تأمينا

وحسبها يقول:

وفي الجواب مناخ إن شغبت به بين الأبيادي التي ما زلت تولينا
عليك منا سلام الله ما بقيت صباية بك لخطيبنا فتحنينا^(١)

ومن عارض هذه القصيدة من الأندلسيين أبو بكر بن الملح يقول:

هل يسمع الربيع شكوانا فُشِكنا أو يرجع القول معناه فيعينا
يا باخلين علينا أن نسودكم وقد عدلتم عن اللقا فحنونا
قفوا نرزكم وإن كنا نؤدكم نورا ومنكم بالوصل ممنونا
سرفتم الوصل حسداً لا فصدكم فكان بالوهم موجوداً ومظنونا
سرى من البسك عن مسراكم خبر بعد عهد هراكم نشره لنا

وحسبها يقول:

وتسع الحسي والأشراق محرقة نجوم بالساء والأرماح تحمينا
كرواحية في ساء النقع قد جعلت لنا رجوماً وما كنا شياطينا^(٢)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، وسبقنا
بالموازنة بين القصيدتين ابن سبام هنا أيضاً عندما قال عن قصيدة ابن زيدون: ((وهذه
القصيدة بحملها فريدة، وقد عارضه لها جماعة قصروا عنه، منهم أبو بكر بن الملح، فإنه

(١) ديوان ابن زيدون: ١٤١ - ١٤٨.

(٢) الأبحر، ج ١، ص ٣٦١ - ٣٦٣.

لأزعه فيها الرأية، فقصص عن الغاية، ...))^(١).

وما يعزز كلام ابن بسام هو ما للمسنة من براعة في أبيات ابن زيدون فلم نزل إلى يومنا هذا ترددها الأحيال وينبغي بها الشعراء، أما قصيدة ابن الملح فلم تمكن من مضاهاة قصيدة ابن زيدون، لذلك حمل ذكرها، ولعل العلة في نجاح ابن زيدون تعود إلى صدق التجربة التي عاشها ابن زيدون مع حبيته، في حين جاءت قصيدة ابن الملح تلبية لرغبة في غسه لينظم على منوالها عسى أن يصيب قصيدته من الشهرة ما أصاب قصيدة ابن زيدون.

وللأسعد بن بلطية مقطوعة غزلية عارضه في معناها أبا عيسى ابن ليون، ويقول فيها الأسعد:

لو كنت شافداً عشية أمينا والمزون يُبكيكنا بعيني مُذنب
والشمسُ قد مدت أديم شعاعها في الأرضي تجحجح غير أن لم تغروب
خلت الرذاذُ برادةً من قبضة قد غرقت من فوق نطع مُذنب^(٢)
وعارضها ابن ليون مخاطباً أبا البع كاتب أخيه الذي خلفه بعده على لوزنة:

لو كنت تشبه يا هذا، عشيتنا والمزون يُمسك أحيانا ويستحذو
والأرضي مصفرة بالقطر كامية أبصرت تبراً عليه المذو ينظر^(٣)

لدى الموازنة بين القطعتين نجد اتفاقاً في المعاني والأفكار واحتمالاً بالوزن والقافية، وقد سكن ابن ليون من عقل معاني الأسعد بن بلطية وصياغتها بشاب جديدة لا تقل عنها شاعرية وجاهلاً.

٥ - المعارضات في الرثاء:

الرثاء من قديم في الشعر العربي، إلا أنه يتجدد مع كل مصيبة تصيب الشاعر، فيعبّر عنها بما حادث قريحته، وللأندلسيين معارضات في الرثاء فيما بينهم اقتضت على رثاء الأشخاص، ولأبي بكر الصائغ المعروف بابن باجة قصيدة رثى بها الأمير ابن تيمولت ((أبا بكر بن إبراهيم)):

(١) المصدر نفسه: ٣٦٦.

(٢) الحلة السيرة لابن الأبار: ١٦٩، سج: د. حسن مؤنس، ج ٢، ط ١، القاهرة ١٩٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ١٦٩ / ٢ - ١٧٠.

يا صديّ بالظفر حازرة
صنعتك الحيل غادية
قد طوى ذا الدهر هوانه
عنتك فالهين حلة الكرم^(١)

معارضا ابن حنابلة:

يا صديّ بالظفر مرتباً
لا أرى إلا أخا كفاً
كم بصديقي فيك من حرق
وبكفسي لك من نعم^(٢)

لدى الموازنة بين المقطوعين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، والموضوع هو الرثاء في المقطوعين، فلما نجد أن الشاعرين أجادا في رثاء الأمير ابن تيفولك وحلج ابن باجة عليه صفات الشجاعة والكرم، ونجح ابن حنابلة في اجادة الموضوع أيضاً، لأنه عقدت المودة بينه وبين المرثي وكانت للأمير المرثي الفضل على ابن حنابلة لذلك صور أشجائه بفقدته لانه في بيته الأخير، وبذلك يكون ابن حنابلة قد تفوق على ابن باجة في معارضته، لأنه أنى بمعنى جديد وهو معنى التوجع والألم لفقدته الأمير ابن تيفولك، وهذا المعنى لم نجده عند ابن باجة الذي بدأ برثاء الأمير ابن تيفولك. وجاءت معارضة الرثاء بين الأندلسيين أكثر مما هي عليه، عند الأندلسيين مع المشاركة، وهذا أمر بدوي يرجع إلى ما عاشته الأندلس من الهن والإهن، ولا سيما بعد سقوط دول الطوائف، حيث بدأ تشريد هؤلاء الملوك وتقييم خارج الأندلس، لذلك ظهر رثاء السالك.

وكان لسقوط المعتمد بن عباد أثر كبير في نفوس شعراء عصره، فرثاه اثنان من شعراء الأندلس هما ابن اللبابة وابن عبد الصمد بدليتين حزينتين، رثاه ابن اللبابة ومعارضها رثياً أبو بكر بن عبد الصمد.

يقول ابن اللبابة:

تلكي السماء بمنزلٍ والنج غادي
على الجبال التي هُدَّتْ قواعدها
على البهائم من أبناء عباد
وكانت الأرض منهم ذات أوتاد

(١) ديوان ابن حنابلة: ١٠٥، القصيدة (٥٨).

(٢) المصدر نفسه.

والرايات عليها الياقات ذوات
عريضة دخلتها النيات على
وحسبها يقول:

غابت عن قلبك الأرضي الجمهم
إننا إلى الله في إيمانهم فلقد
هم الشواهي قسبا كهب معتصم
تبدلوا السجن بعد القصر منزلة
كم سأل في الماء من دمع وكم حملت
واين معتصم، تعصى بقسمها
وحسبها:

لما كنتم الله حيرا، إنكم نفر
إن كان بعدكم في العيش من أرب
وعارضها ابن عبد الصمد وثيا^(١):

ملك الملوك أسابع فالزادي
لما خللت منك القصور فلم تكن
أقبلت في هذا الثرى لك حاضعا
قد كنت أرجو أن تبرأ ادعني
فإذا بدعني كلما اجرته

نوارها فعدت في حفص أوهاد
أسود لمبو فيها وآساد

فليس للسعد فيهم نور إسماع
كانت لنا مثل أهومي وأعياد
مثل الأباطح فيها خصب مراد
واحدلوا بلصوحى عوض أجاد
تلك القطنع من قطعات أكباد
مرعى وماء لزوار ورواد

لم تعرفوا غير فعل الخير من عاد
فإن في عصي عيشي والكد^(٢)

أم قد عدلت عن السماع عواد
فيها كما قد كتبت في الأعياد
والجذت قيركا موضح الإنشاد
نيران حرن أضرفت بفزادي
زادت على حرارة الأكياد

(١) شعر ابن الهيثم الثاني، جمع وتحقيق: د. محمد هيد السعيد، القصيدة (٢٦)، وبلغت (٥٦) بيتاً.
(٢) احتضنت المصادر في نسبة هذه القصيدة، نسبها من نسبها إلى ابن الهيثم، أما القسم الآخر فقد نسبها إلى أبي بكر بن عبد الصمد، كما أشار أسدالنا المذكور منجد مصطفي بحيث في بحثه الموسوم: ((نيران ابن الهيثم الأندلسي دراسة وتحقيق))، وهو بحث مكمل لمخطوطات الماحسبي - جامعة الأزهر ١٩٧٣، وفي الصفحة (٦٢) من الدراسة، علماً بأن البحث غير منشور، أطلقني عليه أسداني المذكور منجد مصطفي بحيث مشكوراً.
وأشار المذكور همد هيد السعيد أيضاً إلى اختلاف المصادر في نسبها في كتابه: شعر ابن الهيثم الثاني جمع وتحقيق: ص ٩، منشورات جامعة البصرة ١٩٧٧، ورجح الباحثان الفاضلان نسبها إلى ابن عبد الصمد.

ومها يقول:

كَمْ رَدَّ نَحْوَ الْخَطْبِ عَنْكُمْ هَلَّةٌ وَحَاكُمُ مِنْ مَثَلِ عَاصِفِ عَادِ
لِرِوَا أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَفَضْلُهُ لَمْ تَكْتَحِلْ أَجْطَالَكُمْ بِرِفَادِ
وَاللَّهُ بِفَيْدِهِ لَكُمْ لِيَصُونَكُمْ مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ تَحَاكُفُ فِرَادِي

وحسبها بقوله:

وَلَقَدْ تَصَارَجَ حُبُّكُمْ بِجَوَانِحِي كَمَا تَصَارَجَ الْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَادِ
فَقِي السَّكَابِ الْعَيْثُ قَبْرَ أَيْكُمُ مِنْ رَالِحِ مَسْدَقِي أَوْ عَادِ
وَلَقَدْ رَيْتُهَا وَمَا قَضَيْتُ حَقُوقَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَكْبِتُ فِرَادِي^(١)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اختلافاً في البحر، فقصيدة ابن الليانة من البسيط وقصيدة ابن عبد الصمد من الكامل، وقصيدة ابن الليانة متقدمة زمنياً على قصيدة ابن عبد الصمد، فقد قال ابن الليانة قصيدته بعد ولادة المعتمد مباشرة سنة (٤٨٤ هـ)، وأما ابن عبد الصمد فقد قال قصيدته بعد وفاة المعتمد، وما يدعنا بالقول إلى المعارضة الشعرية أن ابن عبد الصمد قد أخذ من معاني ابن الليانة في أكثر من عشرين موضعاً، فضلاً عن اتفاق الصياغة والأسلوب إذ لا يعقل أن يكون ذلك كله عفوية، كما يرى الدكتور منجد مصطفى حيث^(٢):

ومن أمثلة هذا الأخذ الأمثلة التي ساقها بين يدي بحثه قول ابن الليانة:

إِنَّا إِلَى اللَّهِ فِي أَيَّامِهِمْ فَلَقَدْ كَانَتْ لَنَا مِثْلَ أَعْرَاسِي وَأَعْيَادِ

حيث يقول عبد الصمد:

لَمَّا حَلَّتْ مِنْكَ الْقُصُورُ وَلَمْ تَكُنْ فِيهَا كَمَا قَدْ كُنْتَ فِي الْأَعْيَادِ

وإذا قال ابن الليانة:

كَمْ سَأَلُ فِي الْمَاءِ مِنْ دَمِيعٍ وَكَمْ حَمَلْتُ تِلْكَ الْقَطَائِعِ مِنْ قِطَعَاتِ أَكْبَادِ

قال ابن عبد الصمد:

فَإِنَّا بِدَمْعِي كَلِمًا أَجْرَتْهُ زَادَتْ عَلَيَّ حَرَارَةَ الْأَكْبَادِ

وإذا تابعنا أبيات ابن عبد الصمد فإننا نجد كثيراً من الأبيات المناظرة لها في المعنى

(١) ديوان ابن الليانة الأندلسي، القصيدة رقم (٢٤)، وبلغت (١٠٧) بيتاً.

(٢) ديوان ابن الليانة الأندلسي، القصيدة رقم (٢٤)، وبلغت (١٠٧) بيتاً، الدراسة ٦٤.

التي تدعى نطق الشك باليقين ونقر معارضة ابن عبد الصمد لابن اللبابة، لأنَّ أن الشاعرين يختلفان في موقف واحد هو نظرهما إلى المرابطين، حيث جهر ابن اللبابة بعداوتهم، بينما أتى على موقفهم ابن عبد الصمد بقوله:

لولا أمير المسلمين وقضاه
لم تكن حل أجفالكُم برفاد
واله يقنيه لكم ليصولكم
من كل حادلة تحالف فزادي

واختلاف الشاعرين في النظر إلى المرابطين لا يخرج قصيدة ابن عبد الصمد من دائرة معارضتها لقصيدة ابن اللبابة، لأن ابن عبد الصمد قد تابع ابن اللبابة في خطابه للمحمد بن عباد بإكياً متوجعاً.

وسكننا القول بأن معارضة ابن عبد الصمد لابن اللبابة جمعت بين رثاء الأتخاض والممالك (بين المعتمد وملكته).

٦ - المعارضات في الأعراس الأخرى:

كان لسقوط دول الطوائف في الأندلس أثر كبير في ظهور عرض المشكوى من الزمن، ولا سيما عند الملوك الشعراء الذين كانوا يرفلون بالعر والجد، وعندما هوت عروشهم أسفروا عليها وارتفع صوت المشكوى في شعرهم، فقال المعتمد بن عباد قصيدة رائعة شكى بها من زمانه الذي أودى به أسيراً بالغمات في المغرب، وكان هذه القصيدة صدىً في نفوس غيره من الملوك الشعراء الذين هوت عروشهم أيضاً.

وقصيدة المعتمد بن عباد يقول فيها:

غريباً بأرض المغربين أمير
وسندته البيض المصارع والقنا
سيكبه في زواجبه والظاهر الندى
إذا قيل في الغمات قد مات جوده
مضى زمن والملئك مستأن به
برأي من الدهر المحتل قاسد
وحسبها بقوله:

ويلحظنا الزاهي وسعد سعوره
تراه عسيراً أم يسيراً مثاله
الآن كسل ما شاء الإله يسير
غيبورين والصب الهب غيبور

قضى الله في حصن الحمام وبُخِّرَتْ
وعارضها الملك الشاعر المظفر بن عبد الملك بن عبد العزيز بقصيدة قال فيها:^(١)
علمتُ بأن الدائراتِ تدورُ
وقد كُفِّتْنا منها هناكِ بدورُ
ونادي منادي البينَ لينا لرحلوا
فطار فزادَ للفرابي صبورُ
ولسَرُ سلكَ طائِ في المَلِكِ نظمه
كذا كلَّ نظمٍ بالزمانِ نثيرُ
خَرَجْنَا من الدنيا وكانت بأسرها
لصيحٍ لما نومي بهٍ ولشِيرُ
ومنها يقول:

ألا باني ذلك الزمان الذي قضى
وتعسا لدهم جاء وهو عتورُ
تصاحبا فيه الرزايا لسارة
تحيمُ صامحا أو تجمشُ صدورُ
وختما بقوله:

فلو أبصرتُ عيناكِ هيَ حالكا
وشبهُ الدياجي في السماءِ لثيرُ
ومن ادعسي زهراً تاترَ غصنة
تكباءُ يُزجِها جوى وزفيرُ
لأنشدت من طولِ التفجعِ والأسى
وقد قُصِرَتْ عني منى وقصورُ
(غريب بأرضي المغربين أميرُ
ميكي عليه منيرٌ وسيرين)^(٢)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، وجاءت القصيدتان زاخرتين بالأسى والأسف، ولعل ما يعضد قولنا بمعارضة المظفر عبد الملك للمعمد بن عباد هو النصير الذي آلا إليه بسقوط ملكهما، مما جعلهما يعيشان وضعاً نفسياً خاصاً، لهما دائما الحسرة على ملكهما الضائع.

ويبقى لنا ابن سعيد المغربي ضوئاً على الحالة النفسية التي كان يعيشها المظفر بقوله: ((أخبرني أحد الأدباء الأعيان، ممن كان يمازجه ويركن إليه أنه كان دائم الحسرة على كونه لم يطل ملكه...))، للملك جاءت قصيدته على غرار قصيدة المعتمد بن عباد، ولعل تضمين المظفر لسطوع قصيدة المعتمد في قصيدته دليل آخر على المعارضة.^(٣)

(١) ديوان المعتمد بن عباد: ٩٤ - ٩٩، جمعه وحققه: أحمد أسعد بدوي وحامد عبد الهيد، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥١.

(٢) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي: ٩ / ٣٠٢ - ٣٠٣، نج: د. شوقي خليف.

(٣) المصدر نفسه: ٦ / ٣٠٩.

ولابن الحاج اللوزني مقطوعة شعرية في بواكير شعر ولده قالها مشطاً من عزيمة ولده في قول الشعر:

شعرك كالشعراء في شكله
فأصنعت به إن كنت لي طامعاً
بجميع بين الأسى والمضروب
ما صنع المهره (١)

ولأندريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن والد أبي بحر صفوان صاحب كتاب (زاد المسافر) شعر قاله في ولده أبي بحر عندما أطلعه على بواكير شعره أيضاً، فقال أندريس معارضاً ابن الحاج اللوزني:

شعرك عندي بما أبا بحر
فاجتفت في صدرك إن طعنتني
بحساج للطلبه وللمسحر
كسيت يجعلني في القبر (٢)

لدى الموازنة بين المقطعتين نجد معنى اللوزني قدراً كما وصفه أبو بحر صفوان (٣)، بأنه الذوق في حين كان معنى أندريس مهذباً مقبولاً.

ومما قاله أبو بكر بن الهيثم نادماً على فراق بطلوس:

رجى المستوكل فارأده
وكانت بطلوس لي حنة
فلم يرضني بعذة العالم
فجئت بما جاءه آدم (٤)
ومعارضه أبو عامر الأصبلي:

جناح ابن معن لجنته
وكانت مررتك جنتي
فلم يرضني بعذة العالم
فجئت بما جاءه آدم

لدى الموازنة بين المقطعتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي والمعنى، بل يمكننا القول إن معارضة ابن الأصبلي لابن الهيثم أقرب إلى التقليد والمحاكاة الحرفية منها إلى الإبداع.

وأبي مروان عبد الملك الطبري قصيدة في الآداب والسنة يقول فيها:

السوى بعزم تجلدي والصبري
نأي الأحبة واعتياد تذكيري

(١) زاد المسافر: ١٥٤، واستقفاً لقافية البيت لأن الذوق يأخذ.

(٢) زاد المسافر: ١٥٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٤.

(٤) الخليفة، ك ٣ م ٢: ١٦٧٣، ويحظر: شعر ابن الهيثم الثاني، القصيدة (٧٦).

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعِلْمَ أَرْفَعُ رتبةً وَاجْلُ مَكْتَسِبٍ وَأَسْفَى فَخْرٍ
وَحَسْبُهَا بقوله:

وَإِذَا سَطَلَتْ فُجْدَةٌ وَإِنْ قَلَّ الْجَدَى جَبَذَ الْمُقْبِلُ إِزَاءَ جِهْدِ الْمَكْتَسِرِ
وَمَا رَأَيْتُ غَيْبِي قَوْمٍ مُوسِرًا وَلِيْسِيهِمْ يَشْفِي بِمَالِ الْمُعْتَسِرِ^(١)
وعارضها أبو عبد الملك مروان بن عبد الله بن مروان (ت ٥٧٨ هـ) بقصيدة في
مخاطبة النفس الإنسانية مطلعها:

يَا نَفْسُ دُونَكَ فَاجْزَعِي أَوْ فَاصْبِرِي طَلِّحِ الزَّمَانَ بِوَجْهِهِ الْمَتَمِرِ^(٢)
ويحل ابن الأثير القصيدة ويكتفي بمطلعها فيقول: «وهي طويلة ضعيفة لم ير له
فيها كبير إحسان فلذلك تركتها»^(٣).

ويرى أستاذنا الدكتور منجد مصطفى بهجت: «أن قصيدة الجزيري لقيت ذوباً
بين الناس وتجاوزت في نفوسهم لأنها منهج تربوي متكامل، إلا أنها هبطت فنياً لاعتمادها
على المباشرة شأنها في ذلك شأن الشعر التعليمي»^(٤).

ومن القصائد التي لقيت هوى في نفوس الشعراء وعارضوها قصيدة علي بن زريق
البغدادي (ت ٥٢٤ هـ).

لَا تَعْلَمِيهِ فَإِنَّ الْعَدْلَ يُوَلِّعُهُ قَدْ قَلَّتْ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ بِسَمْعُهُ
جَاوَزَتْ فِي لَوْمِهِ حَسْبًا يَضُرُّ بِهِ مِنْ حَيْثُ أُنْذِرَتْ إِنْ اللُّومَ يَنْفَعُهُ
فَأَسْتَعْمَلِي الرَّفِيقَ فِي تَأْيِيبِهِ بَدَلًا مَنْ عَقَلَهُ فَبِهِ فُضِّلَ الْقَلْبُ مَوْجَعُهُ
قَدْ كَانَ مَضْطَلَعًا بِالْبَيْنِ بِحَمَلُهُ فَضَلَعَتْ بِحَطُوبِ السَّيْنِ أَضْلَعُهُ
يَكْفِيهِ مِنْ رُوْعِيَةِ التَّنْبِيدِ أَنْ لَهَ مِنْ السَّوَى كُلِّ يَوْمٍ مَا يَرُوغُهُ
وَحَسْبُهَا بقوله:

عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي أَحْتَمَّتْ بِرَفْقَتَا جَسْمِي تُخَفِّئُنِي يَوْمًا وَالْجَنَفَتَا

(١) جلوة الطيب: ٢٦١.

(٢) لحظة السراء: ٢ / ٢٢٥.

(٣) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٤) الاتجاه الإسلامي: ٨٥.

وإنَّ تَسْلِيَّ أَخِيذَ مَنَا مِيصَّةٌ فما الذي في قضاءِ اللهِ يَصْنَعُهُ ^(١)
 وعارضها أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز ذو الوزارتين بقصيدة وجبها
 إلى الوزير أبي محمد بن عبدون (ت ٥٢٥ هـ) معترفاً فيها عن خلفه عن توديعه عند
 سفره، يقول فيها:

في ذمّة الفضل والعلية مرتحلٌ	فارقتُ صبري إذ فارقتُ موطنهُ
ضاعتْ به برهةٌ أرجاءُ قرطبة	لَمْ استقلَّ فسَدَ السجُنُ فطَلَعُهُ
يا قاطعاً أملاً قد كانَ واصلاً	واللراُ جدلاً قد كانَ جُمُعُهُ
عذراً إلى أحمدٍ عني حينَ فارقتي	ذاك الخلالُ وأعيانُ أشيَعُهُ
قد كنتُ أصحيتُ ليلي فألغيتي	ما كانَ أودعُهُ عن أن أودعُهُ

وحسبها بقوله:

والشمسُ تحنُّ والخصراءُ موضعها	للفضل تعرفُ في الغبراءِ موطنهُ
لا زَعْرَعَتَكَ اللياليُ التكدُّ يا جيلاً	لَم تَرخُ غيرَ الليالي أن تَزَعْرَعُهُ ^(٢)

لدى مولانة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية واحتفاءً في المعنى،
 وقصيدة ابن زريق البغدادي وبها عرف واشتهر، فهو من شعراء الواحدة فقد قاطا في
 شكوى الزمان والحنين إلى الأوطان، حيث قدم إلى الأندلس لكسب الرزق، ووالفه منته
 في الأندلس ووجدت تحت وسادته وقد بلغت ثمانية وثلاثين بيتاً، وجبها إلى زوجته
 الحنون، وطبقت شهرة هذه القصيدة الأنيق في المشرق والمغرب، وتماثلت لها أجزاها
 إلى حد البالغة والخيال وبروي لنا السبكي في طبقاته أنه من ((حفظ قصيدة ابن زريق
 فقد استكمل طرفه)) ^(٣).

أما أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز، فقد نظم على وزنها وقافيتها
 وموضوع قصيدته في الاعتزاز، فنصر دون ابن زريق كثيراً، وكانت قصيدته دونها مرتبة

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ١ / ٣٠٨ - ٣١١، تح: محمد عبد الطاسي وعبد الستار
 محمد الخلسو، ط ١، القاهرة ١٩٦٤، ويظر: المحار من كتاب شعرات الأوراق لابن حجة
 الحموي، اختيار بلقوب عبد النبي، مراجعة حامد عبد القادر: ١٣٠ - ١٣٤، وزارة الثقافة
 والإرشاد القومي.

(٢) الذخيرة، ق ٢ م ٢: ٥٤١.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ١ / ٣٠٨.

وأقلها عاطفة، فضلاً عن الاختلاف بين الشعارين، حيث بدأ ابن زريل متأقفاً في شاعريته علقفاً بعيداً في ساء الشعر على خلاف أبي بكر محمد بن عبد الملك.

وكان موضوع الحمرة من الموضوعات التي اتضحت ملامحها في الشعر الأندلسي، لأن هذا الشعر يصور الحياة لمرقة التي عاشها الأندلسيون وانصرفوا بها إلى مجالس الحمرة نجات هذه الأشعار لتمر عن واقع عايش الأندلسيون، ومن هذه الأشعار ما جاء شوب المعارضة الشعرية، ومن هذه الأشعار مقطوعة للرئيس أبي غالب عبد الله بن هبة الأصباعي يقول فيها:

عَقَرْتَهُمْ مَسْمُولَةً لَوْ سَأَلْتَنِي	شُرَابِيهَا مَا سُمِّيتَ بِعَقَارٍ
وَأَكْرَمْتَنِي حَفَاةَهَا الْقَدِيمَةَ إِذْ عَدْتَنِي	صَرَعِي لِنَدَامِي بَارِجَلِي الْعَصَارِ
لَأَنْتَ لَهُمْ حَتَّى انْقَشُوا وَكَمْ كُنْتَنِي	مِنْهُمْ وَصَاحَتَ فَيَهُمْ بِالْمَارِ ^(١)

ومعارضة ابن زهر الحفيد في المعنى:

وَمَوْمَسِدِينَ عَلَى الْأَكْفِ حِدْوَدِهِمْ	فَدُ غَالِبُهُمْ نَوْمُ الصَّبَاحِ وَغَالِي
مَا زِلْتُ أَسْقِيهِمْ وَأَشْرَبُ لِعُتْنِهِمْ	حَتَّى سَكَرْتُ وَلِأَلْبُهُمْ مَا نَالِي
وَالْحَمْرُ تَعْلَمُ حِينَ تَأْخُذُ نَارَهَا	بِي أَقْلِي إِتَاءَهَا فَامَالِي ^(٢)

لدى الموازنة بين المقطعتين نجد اختلافاً في الوزن والقافية واتفاقاً في المعنى، وقد تمكن ابن زهر الحفيد من معاني مقطوعة ابن هبة الأصباعي، تصورها تصويراً شاعرياً دقيقاً، وشارك ابن زهر الحفيد الندامى مجلسهم وشرب الحمرة، وهذا المعنى لم نجده في مقطوعة ابن هبة الأصباعي، أي أن الشاعر لم يدخل معهم في جلستهم وبقي يصف تأثير الحمرة على الشاربين.

(١) وفيات الأعيان: ٤ / ٤٣٤، ابن خلكان.

(٢) المصنوع القصة: ٤ / ١٤٣٥، ويظر: مقال د. محمد مجيد السعيد (ابن زهر الحفيد حياته وشعره):

١٧ المنشور في مجلة المورد العراقية، المجلد (٩)، ٤ / ١ / ١٩٨٠.

الخاتمة والتناجُ

بعد رحلة ليست بالقصيرة مع المعارضات في القرنين الخامس والسادس الهجريين، نلاحظ الرجال بعد أن أماتنا الله ﷻ على تجاوز فصول الرسالة، ويحسن بنا أن نجعل بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي:

١ - إن المعارضة الشعرية فن قديم ضارب الجذور في الشعر العربي عامة والأندلسي خاصة، وقد قوي عوده في القرنين الخامس والسادس الهجريين، نظراً لما امتازت به الأندلس في هذه المدة من ازدهار فكري وحضاري.

٢ - قامت الدراسة في الفصل الثاني برصد بواكير المعارضات الأندلسية، واستطاعت الوقوف عند شأني عشرة معارضة لشعراء الأندلس، عارضوا فيها المشاركة الأندلسيين، وقد تركزت معارضات الأندلسيين للشعر المشرقي نسبة واضحة بلغت ٦٦.٠٪، إذا ما قيست بمعارضاتهم لآثرهم من الشعراء الأندلسيين ويستج من هذا مكانة المشرق في نفوس الأندلسيين، وإقرارهم بأستازية المشاركة لمقرونه بالأعجاب بهم.

٣ - اتضح لنا أن شعراء المشرق الذين نالوا عناية الأندلسيين، وقازوا باعجابهم، مثلوا نحوال شعراء، فكانوا بمثابة الأساتذة الذين تلمذ على أشعارهم الأندلسيون، وقد وقتنا على سبعة منهم، كان في مقدمتهم أبو نواس، وابن الرومي ثم تبعهما العتفي.

٤ - اتضح لنا من الدراسة أن شعراء الأندلس فيما قبل القرن الخامس الهجري، لم يكثرثوا كثيراً بقن المعارضة، ولم يولوه عنايةهم، فلم يلمع في سماء المعارضة سوى شعراء قليلين بلغ عددهم أربعة عشر شاعراً، في حين نجد أن تيار المعارضة قد قويّ عوده، والضححت معالمه في مطلع القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السادس.

٥ - توصلت الدراسة إلى أن الأندلسيين بدأوا في عهد مبكر يلتفتون إلى شاعرية شعراهم، وانظطوا عدداً منهم مثلاً أعلى يعارضونه على نحو ما نجد في معارضتهم لأدرس بن اليماني والرمادي.

٦ - تبين من الموازنة بين معارضات الأندلسيين للمشاركة قبل القرن الخامس الهجري، ومعارضاتهم للمعائلة في القرنين الخامس والسادس الهجريين أن هذا التيار بدأ ضعيفاً خافت الظلال ثم استقوى فيما بعد، إذ أن الدراسة الاستقصائية توصلت إلى أن مجموع معارضات الأندلسيين للمشاركة قبل القرن الخامس لا يتجاوز ٦٦.٠٪، في حين نجد هذه النسبة تبلغ ٧٨.٠٪ عند شعراء الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس

المجريين، أي أن اصحاب الأندلسيين بالشعر المشرقي كان شديداً فذهب الشعراء بموسون آثارهم.

٧ - وبدأ لنا في الفصل الثالث ومن الدراسة الإحصائية أيضاً، أن ابن شهيد يتصدر لذاته وأنداده من الأندلسيين اللذين عارضوا المشاركة حيث تناولت الدراسة تسع قصائد من مجموع القصائد البالغة ثلاثاً وأربعين قصيدة تلك التي عارضها أربعة وعشرون شاعراً فحفظت قصائده نسبة ٢١٪. من مجموع قصائد المعارضات، كما مثل ابن شهيد مع شاعرين آخرين هما ابن عفاة وابن عبادون أربع نسبة في قصيدة المعارضة بلغت ٣٩٪. من مجموع المعارضات، في حين نجد أن سبعة عشر شاعراً انتصروا على نظم قصيدة واحدة بحيث شكّلت هذه القصيدة بين الشعراء المعارضين نسبة ٤١٪.^(١)

٨ - لاحظت الدراسة ازدياد عدد الشعراء المعارضين خلال القرنين الخامس والسادس المجريين في اتجاهه معارضة الأندلسيين للمشاركة، ومعارضة الأندلسيين فيما بينهم، فبلغ عدد شعراء الاتجاه الأول أربعة وعشرين شاعراً^(٢)، في حين بلغ سبعة وعشرين شاعراً في الاتجاه الثاني^(٣).

٩ - تبين لنا أن تيار معارضة الأندلسيين للمشاركة كان أقوى من صنوه، معارضة الأندلسيين فيما بينهم، وهو ما بسطنا الحديث فيه في الفصلين الثالث والرابع، وبمثل الضرب الأول نسبة ٥٦٪، وهي نسبة ترجح الضرب الثاني الذي يمثل ٤٣٪.^(٤)

١٠ - تبين لنا من الموازنة بين المعارضات قبل القرن الخامس المجري ومعارضات القرنين الخامس والسادس المجريين بوعيهما، أن المعارضات قبل القرن الخامس المجري لا تفضل (أو تقرأ) سبباً، حيث بلغت ١٩٪. بينما مثلت معارضات الأندلسيين للمشاركة في القرنين الخامس والسادس المجريين ٤٥٪، في حين بلغت بين الأندلسيين أنفسهم في المئة فلها ٣٥٪، والنسب الثلاث تدل دلالة واضحة على صو ظاهرة المعارضات الشعرية قبل القرن الخامس المجري وبعده، كما توضح متابعة الأندلسيين للمشاركة، والأندلسيين في معارضاتهم الخارجية والداخلية.

(١) ينظر: الملحق رقم (٢).

(٢) الملحق نفسه.

(٣) ينظر: الملحق رقم (٤).

(٤) ينظر: الملحقان (٢) و (٤).

١١ - ومن الدراسة الإحصائية^(١) للمعارضات التامة والناقصة توصلنا إلى أن القوائد التي عارضها الأندلسيون المشاركة، رجحت فيها المعارضات التامة على الناقصة فكانت نسبة التامة إلى الناقصة ٥٨٪.

ولم يختلف الأمر كثيراً في معارضات الأندلسيين أنفسهم، حيث بلغت نسبة المعارضات التامة إلى الناقصة ٦٤٪.

ومن هنا فإن المعارضات بشكل عام، بين المشاركة والأندلسيين وبين الأندلسيين أنفسهم يتصدر التام منها على الناقص بنسبة ٦٠٪.

١٢ - تبين لنا أن الموضوعات التي طرفتها المعارضات الشعرية لم تخرج عن الموضوعات المألوفة في الشعر الأندلسي، واشتملت على موضوعات الشعر كافة، إلا أنها جاءت على درجات متفاوتة، حيث اختلفت وجهة الشعراء الذين عارضوا المشاركة، فترجحت لديهم معارضة المديح وبلغت ٣٩٪، في حين لم تتجاوز معارضات المديح فيما بين الأندلسيين أنفسهم ١٥٪، ثم تعتبت معارضة الغزل وبلغت ٢١٪. في الضرب الأول، في حين تضاعفت في الضرب الثاني فبلغت ١٢٪، ومن هنا فإن المديح والغزل يتصدران معارضات الأندلسيين أو المشاركة، والأندلسيين فيما بينهم، حيث بلغت نسبتها ٦١٪.

أما معارضات الأندلسيين فيما بينهم، فقد اتجه شعراؤها نحو وصف الطبيعة بشكل عام، والنوادي بشكل خاص، حيث شكّلت نسبة ٤٨٪ من مجموع معارضات الأندلسيين فيما بينهم، في حين لم يمثل الوصف في معارضة الأندلسيين للمشاركة إلا ترواً يسيراً إذا ما قيس بموضوعات الشعر الأخرى التي تناوشتها معارضة الأندلسيين للمشاركة، حيث ألف نسبة ١١٪، وإذا ما قلنا معارضة الأندلسيين للمشاركة بمعارضات الأندلسيين فيما بينهم تتضاءل قصائده ولا تزيد على نسبة ٣١٪.

١٣ - تبين أن موضوعين من الموضوعات التي توقف عندها شعراء المعارضة في معارضاتهم للمشاركة أصلاً، ولم يتوقف عندهما الأندلسيون في المعارضات فيما بينهم، وهما الفخر، والشكوى من الزمن، في حين استجد فن النوادي في معارضة الأندلسيين فيما بينهم.

١٤ - ومن دراسة البحور التي اعتمدها المعارضات الأندلسية، وقد ذكرناها في الملحقين (٦) و(٧)، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١ - لم تحقق الأوزان المستخدمة في المعارضات تنوعاً كبيراً، إذ إن عدد البحور المستخدمة فيهما كانت ضئيلة وهي تشكل نسبة ٥٠٪ من عدد البحور.

ب - اختلفت مذاهب الشعراء الأندلسيين في استخدامهم البحور إذ لاحظنا أنهم في معارضتهم للمشاركة استجابوا للذوق السائد لمترمين بحور القصائد المعارضة، حيث تصدر سيد البحور (الطويل) في معارضات الأندلسيين للمشاركة فألف نسبة ٣٢٪. ويليها مرتبة بحرا البسيط والكامل اللذان حقق كل منهما نسبة ٢٠٪. بين البحور المستخدمة.

ومن هنا فإن البحور الثلاثة المتقدمة، كانت في طليعة البحور المستخدمة في معارضات الأندلسيين للمشاركة وذلك بنسبة ٧٢٪. كما تبين أن هذه المعارضات مالت بشكل واضح إلى استخدام البحور الطويلة الهادئة، فجاءت ثلاث وعشرون قصيدة فيها، وذلك بنسبة ٩٢٪. من مجموع البحور.

وكان أقل البحور استخداماً المديد والمتقارب من البحور الطويلة، والخفيف ومجزوء الكامل من البحور القصيرة، حيث جاءت في كل منهما قصيدة واحدة، وبلغت نسبة الاستخدام بين مجموع البحور ٤٠٪.

أما بحور معارضات الأندلسيين فيما بينهم، فقد تصدر فيها المحدث، حيث جاءت فيه ست قصائد وبلغت نسبة ٣٠٪. من مجموع البحور، ويليها البسيط والطويل والكامل، حيث جاءت في الأول أربع قصائد وفي الثاني والثالث ثلاث قصائد، وتولف هذه البحور الأربعة نسبة ٧٦٪. أما البحور التي استخدمها شعراء المعارضة استخداماً قليلاً، فكانت المديد والمتقارب من البحور الطويلة، والسريع من البحور القصيرة، حيث جاءت في كل منها قصيدة واحدة، أي بنسبة ٥٪. ومن الموازنة بين البحور المستخدمة في معارضات الأندلسيين للمشاركة، والبحور المستخدمة في معارضات الأندلسيين أنفسهم يتضح أن الضرب الأول مائل إلى البحور الطويلة الهادئة، في حين مائل الضرب الثاني إلى البحور القصيرة الهادئة، ولعل في هذا دلالة على تمييز الأندلسيين للأوزان القصيرة خلافاً لمذاهب المشاركة في استحسان الأوزان الطويلة الهادئة.

١٥ - وقد وقفت الدراسة عند قوائم المعارضات الشامة فقط، لأنها التزمت أركان المعارضة بشكل كامل وأصلحت المعارضات الناقصة في هذا المجال ولبن لنا أن الأندلسيين

الذين عارضوا المشاركة حققوا تنوعاً في قوانينهم استخدموا من حروف العربية عشرة أحرف، كما يتضح ذلك من الملحق رقم (٨) وقد مالوا إلى قافية الراء، حيث جاءت ثلثي قصائد فيها من مجموع القصائد الخمس والعشرين أي بنسبة ٣٢٪. وأعقبها قوافي الباء والذال والنون حيث جاءت فيها ثلاث قصائد بمعدل ١٢٪. وكانت أقل القوافي استخداماً (السين والطاء والكاف والميم) حيث استخدمت في كل منهما قصيدة واحدة بنسبة ٤٪. أما القوافي التي استخدمت في معارضة الأندلسيين فيما بينهم، فقد تقدم حرف الصاد حيث نظمت فيه ست مقطعات شعرية بمعدل ٢٨٪. من مجموع القصائد الواحدة والعشرين، ثم جاء بعده حرف الراء الذي ولدها يتصدر قوافي معارضات الأندلسيين للمشاركة.. أما أقل الحروف استخداماً فكانت (المهمزة والهاء والسين والفاء والقاف واللام) حيث جاءت بنسبة ٥٪. ومن مجموع الحروف المستخدمة في المعارضات في ضربي المعارضة بين الأندلسيين والمشاركة والأندلسيين أنفسهم، يلاحظ أن حرف الراء يحرز رتبة الصدارة بنسبة ٢٦٪. من مجموع المعارضات التامة التي بلغت ستاً وأربعين.

وقد أدرج المعري^(١) قافية الراء ضمن القوافي النثر التي تلي الذال في استخدام الشعراء، ويلاحظ أن المعارضات التامة لم تستخدم القوافي الخوص (الهاء، الخاء، الذال، السين، الطاء، العين) روياء، ولعل ذلك يعود إلى الموقف العام للشعراء عنها، حيث يقل استخدامها في الشعر العربي عامة.

٦٦ - تبين لنا أن قصائد المعارضة بنوعها جاءت متنوعة في عدد أبياتها، بين المقطعات ثلثة، والقصائد ثلثة، والمطلوبات ثلثة أخرى، إلى درجة متطابقة في معارضات الأندلسيين للمشاركة، لكن القصائد كانت أقل هذه الأنواع الثلاثة، بلغت نسبتها ٢٨٪..

إلا أن نسبة المطلوبات في معارضات الأندلسيين فيما بينهم قلت حتى بلغت ٢١٪. بين الأضراب الثلاثة^(٢).

٦٧ - إن المرأة الأندلسية لم تسهم في المعارضة الشعرية، إلا بمستوى ضئيل، فلم

(١) لزوم مالا يلزم: ١ / ٣٧.

(٢) ينظر: الملحق رقم (٩).

تجد بين شعراء الأندلس المحمسين الذين نظموا في هذا الاتجاه إلا شاعرة واحدة في الغسانة الجالية التي عارضت ابن دراج.

١٨ - اتضح من الدراسة أن قصيدة المعارضة الأندلسية انتهت منبجاً مشرقياً واضح المعالم، فقد عارض ابن حنيس الصقلي منبج أبي نواس في استهلاله لقصائده بذكره الخمر.

ونجح الأحمس النبطي أيضاً منبج القدماء فعهد إلى معارضة عمر بن أبي ربيعة في الحوار الغزلي، ولا سيما في حوارته مع (أم المهدي).

١٩ - توصلت الدراسة إلى أن لغة المعارضة تتأثر بركة الأسلوب ونصاحتها، إلا أن هذا لا يمنع من وجود ألفاظ معينة التراكيب أحسب أن القارئ لا يستطيع فهمها من غير كان متوسط الثقافة على نحو ما نجد في معارضات ابن دراج الصقلي أو في معارضات المدح أو الفخر بشكل عام.

وبلاحظ أن الشاعر المعارض يرسم خطأ الشاعر المعارض، ويبدو هذا التبغ والتأثر في اللغة كذلك حيث تتكرر ألفاظٌ بعضها على نحو ما نجد في معارضة ابن حيد الصمد مع ابن اللبابة في قصيدته التالية.

٢٠ - ومن خصائص الأسلوب في المعارضات ميلها إلى استخدام المحسنات البدعية في أكثر القصائد على نحو ما نجد في معارضة أبي مظفر البغدادي لصريح الخوامي على سبيل المثال^(١)، ومن هذه المحسنات البدعية الاقتباس الاشاري الذي نجد له أمثلة كثيرة في المعارضات، كما تقدمت الإشارة إليه في معارضة ابن دراج للمتني، ومعارضة أبي الأصمغ بن عبد العزيز للأستحي في قصيدته الضادية^(٢).

(١) ينظر: البديع: ٤٧ في قوله:

أمدى وأولى جيبلا

فاجعل الله فرجه

(٢) حبيب نصيباً إشارياً في قوله تعالى: ﴿مَنْ لَمْ يَلِدْ يُرْجَى اللَّهُ فَرجاً حسناً﴾ الفرق: الآية:

١٢٤٥: الحديث: الأ: ١١.

الملاحق

ملحق رقم (١)

جدول تفصيلي بأسماء الشعراء المشارقة الذين عارضهم الأندلسيون مرتين على حروف الهجاء مع عدد معارضاتهم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

ت	أسماء الشعراء	عدد معارضاتهم
١	امرؤ القيس	٣
٢	البحري	٢
٣	أبو تمام	٤
٤	أبو خراش الطائي	١
٥	ابن الرومي	١
٦	الشريف الرضي	٣
٧	صريع الغواني	١
٨	طرفة بن العبد	١
٩	العباس بن الأحنف	١
١٠	أبو العلاء المعري	٤
١١	علي بن الجهم	٢
١٢	عمر بن أبي ربيعة	٢
١٣	أبو فراس الحمداني	٢
١٤	قيس بن الخطيم	١
١٥	المتصي	١٠
١٦	الشابعة الجعدي	١
١٧	أبو نصر المعالي	١
١٨	الوأياء الدمشقي	٢

طبعين ورقه (٢)

جدول تفصيلي بأسماء الشعراء الأندلسيين الذين عارضوا المشاركة مرتين على حروف الهجاء وعدد معارضاتهم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

ت	أسماء الشعراء	عدد معارضاتهم
١	الأصم المرواني	١
٢	ابن بقي	١
٣	ابن جرج	١
٤	ابن الخداد	١
٥	ابن حصن	١
٦	ابن حمديس	٢
٧	ابن خفاجة	٤
٨	ابن دراج	٢
٩	ابن زيدون	٣
١٠	سليمان المستعين	١
١١	ابن سوار	١
١٢	ابن شهيد	٩
١٣	الطرطوشي	١
١٤	ابن عبد الصمد	١
١٥	ابن عبدون	٤
١٦	ابن عطيون	٢
١٧	غلام المخزومي	١
١٨	الفكيك	١
١٩	ابن قليل	١
٢٠	المستظفر	١
٢١	ابن المسيلي	١
٢٢	أبو المظفر البغدادي	١
٢٣	ابن نصر، أبو بكر الإشبيلي	١
٢٤	ابن وهبون	١

ملحق رقم (٣)

جدول تفصيلي بأسماء الشعراء الأندلسيين الذين عارضوا المشاركة مرتين على حروف الهجاء وعدد معارضاتهم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

ت	أسماء الشعراء	عدد معارضاتهم
١	الاستحي، أبو الحسن علي	٧
٢	ابن الأصباغي، أبو غالب عبد الله	١
٣	الأسعد بن بلبطة	١
٤	ابن باجة	١
٥	الجزيري، عبد الملك	١
٦	ابن حنيفة	١
٧	ابن الحاج، أبو الحسن جعفر	١
٨	ابن الحاج اللورقي	١
٩	ابن حسدي	١
١٠	ابن فراج	٢
١١	أبو الربيع، سليمان القضاعي	١
١٢	ابن رشيق القيرواني	٣
١٣	ابن زريق البغدادي	١
١٤	ابن زيدون	١
١٥	ابن صارة	١
١٦	ابن قاضي ميلة	١
١٧	ابن اللبابة	٢
١٨	أبو المظفر البغدادي	١
١٩	المعتمد بن عباد	١
٢٠	ابن المقترح	١
٢١	ابن نصر، أبو بكر	١
٢٢	ابن هانيء	٢
٢٣	بوتس القسطلي، أبو الوليد	١

ملحق رقم (٤)

جدول تفصيلي بأسماء الشعراء الأندلسيين الذين عارضوا لغاتهم مرتين على حروف الهجاء وعدد معارضاتهم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

ت	أسماء الشعراء	عدد معارضاتهم
١	ابن الأبار، أبو جعفر	١
٢	أندريس بن إبراهيم	١
٣	الأشكوري، أبو الطاهر	١
٤	أبو الأصمغ، ابن عبد العزيز	١
٥	الأصبلي، أبو عامر	١
٦	الحكيم أبو الصلت أمية	٢
٧	الخلواتي، أبو الحسن عبد الكريم	١
٨	ابن حمديس	٢
٩	الحميري، أبو عامر	١
١٠	ابن خفاجة	٢
١١	ابن زهر الحفيد	١
١٢	سليمان القضاعي، أبو الربيع	٢
١٣	ابن شهيد	١
١٤	صفوان التجيبي، أبو بحر	١
١٥	ابن عباد، القاضي محمد بن إسماعيل	١
١٦	ابن عبد الصمد، أبو بكر	١
١٧	ابن عبد العزيز، محمد	١
١٨	العسائبة البجاية	١
١٩	ابن أبي غالب، القاضي	١
٢٠	ابن القوطية	١
٢١	ابن الليانة	٢
٢٢	ابن ليون	١
٢٣	مروان بن عبد الله، أبو عبد الملك	١

١	المظفر بن عبد الملك	٢٤
١	ابن المقفراح، أبو جعفر	٢٥
١	ابن الملح، أبو بكر	٢٦
١	ابن نصر، أبو بكر الإشبيلي	٢٧

ملحق رقم (٥)

جدول تفصيلي بالأغراض الشرعية التي طرفها شعراء المعارضة الأندلسية بشقيها، معارضة الأندلسيين للمشاركة، ومعارضتهم لأبناء جلدتهم

معارضة الأندلسيين فيما بينهم		معارضات الأندلسيين للمشاركة		الموضوعات
الناقصة	التامة	الناقصة	التامة	
١٢	٤	٥	١٢	المدح
١	٣	٤	٥	الغزل
٥	٣	٢	٣	الوصف
		٢	٢	المحرم
		١	١	الشكوى من الزمن
٢	٦			الثوريات
١	١			الرقاء
٢	٤	٤	٢	أغراض أخرى
١٢	٢١	١٨	٢٥	المجموع
٣٣		٤٣		المجموع الكلي

ملحق رقم (٦)

البحر الطويلة المستخدمة في المعارضات التامة

معارضة الأندلسيين فيما بينهم	معارضة الأندلسيين للمشاركة	البحر	ت
٣	٨	الطويل	١
٤	٥	السيط	٢

١	١	المديد	٣
٣	٥	الكامل	٤
٢	٣	الواقف	٥
١	١	المتقارب	٦
١٤	٢٣	المجموع	

ملحق رقم (٧)

البحور القصيرة المستخدمة في المعارضات الثمانية

ت	البحور	معارضة الأندلسيين للمشاركة	معارضة الأندلسيين فيما بينهم
١	الحنيف	١	
٢	السرير		١
٣	الجنث		٦
٤	مجزوء الكامل	١	
	المجموع	٢	٧

ملحق رقم (٨)

ضروب رقابية في المعارضات

معارضة الأندلسيين للمشاركة			معارضة الأندلسيين فيما بينهم		
ت	الروي	عدد النصوص	ت	الروي	عدد النصوص
١	ب	٣	١	ء	١
٢	د	٣	٢	ت	١
٣	ز	٨	٣	ر	٤
٤	س	١	٤	ص	١
٥	ط	١	٥	ض	٦
٦	ك	١	٦	ف	١
٧	ل	٢	٧	ق	١
٨	م	١	٨	ل	١

٢	م	٩	٣	ن	٩
٣	ن	١٠	٢	ي	١٠
٢١	المجموع		٢٥	المجموع	

ملحق رقم (٩)

يمثل فصائد المعارضات بشكل إجمالي

أ - الأندلسيون للمشاركة

والمطولات (٢١ - ٠٠٠)	القصاصد (٨ - ٢٠)	المقطعات (١ - ٧)
١٦	١٢	١٥

ب - الأندلسيون فيما بينهم

والمطولات (٢١ - ٠٠٠)	القصاصد (٨ - ٢٠)	المقطعات (١ - ٧)
٧	١٣	١٣



فهرس المصادر والمراجع

أ - المصادر والمراجع:

١ - القرآن الكريم.

٢ - ابن بسام وكتابه الفخيرة، د. حسين يوسف خريوش، الناشر دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٤ م.

٣ - ابن الرومي لغة ونفسه من خلال شعره، ايليا حاوي، ط ٢، بيروت ١٩٨٠ م.

٤ - ابن شهيد الأندلسي حياته وأثاره، شارل بلا، محاضرات ألقاها على طلبة اللغة العربية وأدائها بكلية الآداب بيروت، في تشرين الأول ١٩٦٥.

٥ - ابن شهيد الأندلسي حياته وأثبه، د. حازم عبد الله حضر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، سلسلة الأعلام والمشهورين (١٩)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤.

٦ - ابن صارة الأندلسي (ت ٥١٧ هـ) حياته وشعره، تأليف د. مصطفى عوض الكريم، مطبعة مصر (سودان)، لهند الخرطوم ١٩٥٨.

٧ - ابن عبد ربه وعقده، جبرائيل جبور، ط ٢، بيروت ١٩٧٩.

٨ - أبو الحسن الحضري القيرواني (ت ٤٨٨ هـ)، الجليلي ابن الحاج يحيى والمزوني، تونس ١٩٦٣ م.

٩ - الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، د. منجد مصطفى بيجت، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت ١٩٨٦ م.

١٠ - أحكام صنعة الكلام، لذي الوزارئين أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي (ت ٥٥٠ هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٦٦ م.

١١ - الأدب الأندلسي، للأستاذين أحمد بلا تريب وعبد الحليل خليفة، مطبعة الوحدة المغربية، تطوان - المغرب ١٩٤١ م.

١٢ - الأدب الأندلسي من الفصح إلى سقرط الخلافة، د. أحمد هيكل، دار

- المعارف بمصر، ط ١٩٨٥ م.
- ١٣ - الأدب العربي في الأندلس، د. عبد العزيز عتيق، ط ١٢، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٦ م.
- ١٤ - أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية وتصويفه العربية، محاضرات ألقاها الأستاذ محمد رضا الشبيبي، على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية ١٩٩٠/١٩٦١ م. مطبعة الرسالة، مصر، نشر جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٦١ م.
- ١٥ - إشبيلية في القرن الخامس الهجري، د. صلاح خالص، سلسلة المكتبة الأندلسية، ط ١، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٥ م.
- ١٦ - الأختاني، لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ)، بيروت ١٩٥٥ م.
- ١٧ - أمثال العوام في الأندلس، لأبي يحيى عبد الله أحمد الزجلي القرطبي، تحقيق: د. محمد بن شريف، القسم الثاني، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأهلي بالمغرب، مطبعة محمد الخامس الثقافية، فاس (المغرب)، جنادي الأولي ١٣٩١ الموافق ١٩٧١ م.
- ١٨ - السديع في وصف الربيع، للحميري (ت ٤٤٠ هـ)، تحقيق: هنري بريس، المطبعة الاقتصادية بالرباط ١٩٤٠ م.
- ١٩ - برنامج شيوخ الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي (ت ٦٦٦ هـ)، حققه: إبراهيم شوح، مطبوعات مديرية أحياء التراث القديمة، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م.
- ٢٠ - بغية الملخص في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت ٥٩٩ هـ)، (ترجمة، المكتبة الأندلسية: ٦)، القاهرة، ١٩٦٧.
- ٢١ - بلاغة العرب، أحمد ضيف، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٢٤ م.
- ٢٢ - بناء القصيدة العربية في البلد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)، د. يوسف حسين بكور، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١٢، بيروت ١٩٨٢ م.
- ٢٣ - البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف، د. سعد إسماعيل شلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ١، ١٩٧٨ م.
- ٢٤ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي (ت

- ٢١٢-)، ج ١، ٢، ٣، نج: ج. س. كولاندا، و. أ. ليفي بروفنسال، ط ٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٠ م. ج ٤، نج: د. إحسان عباس، ط ٢، ١٩٨٠ م.
- ٢٥ - تاريخ ابن السوردي تمة المختصر من اخبار البشر، عمر بن مظفر الوردى، ج ٢، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٩ م.
- ٢٦ - تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس، ط ٦، بيروت ١٩٨١ م.
- ٢٧ - تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف المرابطيين، د. إحسان عباس، ط ٦، بيروت ١٩٨١ م.
- ٢٨ - تاريخ الأدب العربي، ج ٤ (الأدب في المغرب والأندلس إلى عصر الطوائف)، د. عمر فروخ، ط ١، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨١ م.
- ٢٩ - تاريخ الأدب العربي في الأندلس، د. إبراهيم علي أبو الحسب، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، ط ١، القاهرة ١٩٦٦ م.
- ٣٠ - تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام، لسان الدين بن الخطيب، (النسخ الثاني منه)، تحقيق: ل. ليفي بروفنسال، دار المكتشف، ط ٢، بيروت ١٩٥٦ م.
- ٣١ - تاريخ الأندلس في عهد المرابطيين والموحدين، يوسف أشباح، ج ١ - ٢، ترجمة محمد عبد الله عثمان، ط ٢، مؤسسة الخانجي بالقاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر.
- ٣٢ - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن علي الخنجي، دار القلب، ط ١، بيروت ١٩٦٦ م.
- ٣٣ - تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط، واسمه الاكتفاء في أخبار الخلفاء، لابن الكردبوس التوزري (ت بعد ٥٧٣ هـ)، وصلة السمط، لابن الشباط التوزري (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق: أحمد مختار العيادي، مدريد ١٩٢١ م.
- ٣٤ - تاريخ السعدن الإسلامي، ج ٥، جرجي زيدان، راجعه وعلق عليه د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥ م.
- ٣٥ - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د. خليل إبراهيم السامرائي، و د. عبد الواحد ذنون طه، و د. ناطق صالح مطلوب، جامعة الموصل، ١٩٨٦ م.

- ٣٦ - تاريخ الفكر الأندلسي، أنخل جنالك بالثيا، ترجمة د. حسين مؤنس، ط ١، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥ م.
- ٣٧ - تاريخ قضاء الأندلس المسمى كتاب العرفية العليا فيمن يستحق القضاء والقضاء، للشيخ أبي الحسن بن عبد الله بن حسن النباهي المالقي الأندلسي، نج: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٣٨ - تاريخ المعارضات في الشعر العربي، د. محمد محمود قاسم نوفل، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٣٩ - تاريخ النفاض في الشعر العربي، د. أحمد الشاب، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، ط ٢، القاهرة ١٩٥٤ م.
- ٤٠ - تساريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، د. إحسان عباس، دار الثقافة، ط ٢، بيروت ١٩٧٨ م.
- ٤١ - تساريخ النقد الأدبي في الأندلس، د. محمد رضوان الداية، دار الأنوار، ط ١، بيروت ١٩٨٠ م.
- ٤٢ - السجدديد في الأدب الأندلسي، د. باقر ساكنا، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧١ م.
- ٤٣ - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، للكناي، نج: د. إحسان عباس، ط ٢، بيروت ١٩٨٥ م.
- ٤٤ - تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، د. مصطفى عليان عبد الرحيم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٤ م.
- ٤٥ - جذوة المنقسط في ذكر ولاية الأندلس، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فروع بن عبد الله الأزدي الحميدي (ت ٤٨٨ هـ)، نج: محمد بن تاروت الطنجي، ط ١، القاهرة ١٩٥٢ م.
- ٤٦ - الحلة السبراء، ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)، نج: د. حسين مؤنس، طبع الشركة العربية للطباعة والنشر، ط ١، القاهرة ١٩٦٣ م.
- ٤٧ - الخلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، شكيب أرسلان، ط دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).
- ٤٨ - الحياة العلمية في مدينة بلنسية، كريم عجيل حسين، ساعدت جامعة بغداد

- على نشره، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت ١٩٧٦ م.
- ٤٩ - دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، د. سعد إساعيل شلي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، ط ١، القاهرة ١٩٧٣ م.
- ٥٠ - دراسات في الأدب الأندلسي، د. سامي مكي العاني، بغداد ١٩٧٨ م.
- ٥١ - دراسات في تاريخ الأدب العربي (منتخبات قديمة عن الرومية)، اغناطيوس كراتشكوفسكي، شعر العربي في الأندلس ١٩٤٠ م، كراتشكوفسكي، ترجمة محمد المعصراوي، دار النشر دار النشر ((علم))، موسكو ١٩٦٥ م.
- ٥٢ - دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، محمد عبد الله عنان، ط ١، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ م.
- ٥٣ - المذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنفرني (ت ٥٤٢ هـ)، أربعة المصاحف، ط ١، إحصان عباس، بيروت ١٩٧٩ م.
- ٥٤ - رليات المبرزين وخطبات المميزين، لابن سعيد المغربي (ت ٦٨٠ هـ)، نجح: د. السعمان محمد المتعال القاضي، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٣ م.
- ٥٥ - السروض المعطار في خير الأقطار (معجم جغرافي مع سرد عام)، أبو عبد الله محمد بن عبد النعمان الحميري (ت ٩٠٠ هـ)، نجح: د. إحصان عباس، طبع دار الفلم، بيروت ١٩٧٥ م.
- ٥٦ - زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، لأبي بحر صفوان بن يحيى التنجسي المرسبي (ت ٥٩٨ هـ)، أشعار الأندلسيين من عصر الدولة الموحدية، أعده وعلق عليه عبد القادر محمدا، الناشر دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٠ م.
- ٥٧ - شخصيات أدبية من المشرق والمغرب، أبو القاسم محمد كرو وعبد الله شريط، منشورات دار مكتبة الحياة، ط ٢، بيروت ١٩٦٦ م.
- ٥٨ - شذا العرف في فن الصرف، للشيخ الحسلاوي، ملزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ١٨، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ٥٩ - شرح شافية ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) رضي الدين الإسراهابي (ت ٦٨٦ هـ)، نجح: محمد عيسى الدين وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (أوكست) ١٩٧٥ م.

- ٦٠ - شرح التعليقات السبع، لثروزي، دار الجليل، ط ٢، بيروت ١٩٧٢ م.
- ٦١ - الشعر الأندلسي، غرسيه غومس، ترجمة د. حسين مؤنس، النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٦ م.
- ٦٢ - الشعر العربي المعاصر ورائعه ومدخل القراءه، د. الظاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط ١، القاهرة ١٩٨٠ م.
- ٦٣ - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، د. محمد محمد السعيد، طبع مطابع الرسالة، الكويت، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٦١)، ١٩٨٠ م.
- ٦٤ - شعر النصرانية قبل الإسلام، جمع لويس شيخو السويحي، ط ٢، بيروت ١٩٦٧ م.
- ٦٥ - الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٨٢ م.
- ٦٦ - الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة، ط ٢، بيروت ١٩٧٥ م.
- ٦٧ - الصلوة، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري (ت ٥٧٨ هـ)، ج ١ - ٢، مطابع سجل العرب، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة (تراثنا، المكتبة الأندلسية: ٤)، مصر ١٩٦٦ م.
- ٦٨ - طبقات الأطباء والحكماء، أبو داود سليمان بن حيان الأندلسي المعروف بابن جلجل، ألفه سنة (٣٧٧ هـ)، تيج: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ م.
- ٦٩ - طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١ هـ)، تيج: محمود محمد الطاهي، عبد الفتاح محمد الحلوة، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط ١، ١٩٦٤ م.
- ٧٠ - طبقات الشعراء، لابن المعز (ت ٢٩٦ هـ)، تيج: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م.
- ٧١ - الطيبة في القرآن الكريم، د. كاسد ياسر حسين الزبيدي، سلسلة دراسات (٢٣٦)، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ م.
- ٧٢ - طوق الحمامة في الألفة والالاف، لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، ضبطه د.

- المطاهر أحمد مكّي، ط ١، مصر ١٩٧٥ م.
- ٧٢ - ظهر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة المعرفة، ط ٥، ١٩٨٢ م.
- ٧٤ - العرب في الأندلس، جورج غرب، سلسلة موسوعة الأدب العربي (٢١)، نصر وتوزيع دار الثقافة، (د. ت.)، بيروت - لبنان.
- ٧٥ - عصر سلاطين المماليك وتواجه العلمي والأدبي، ج ٨، د. عمود رزق سليم، مكتبة الآداب بالقاهرة ومطبعها بالجمار، ط ١، ١٩٦٥ م.
- ٧٦ - العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، شرحه وضبطه وصححه وعلّق موضوعاته ورتب قهارسه: أحمد أمين، أحمد السزّين، إبراهيم الأبياري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الناشر، بيروت، دار الكتاب العربي، ج ١، ط ٣، ١٩٦٥ م. ج ٢، ط ٢، ١٩٥٦ م. ج ٣، ط ٣، ١٩٥٢ م. ج ٤، ط ٤، ١٩٦٢ م. ج ٥، بلا، ١٩٦٥ م. ج ٦، بلا، ١٩٤٩ م. ج ٧، بلا، ١٩٥٣ م. وهو قهارس.
- ٧٧ - علاقات المرابطين بالمماليك الإسبانية بالأندلس وبالفرق الإسلامية، د. خليل إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٣٧٧)، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٦ م.
- ٧٨ - عمدة الصرفاء، كمال إبراهيم الزهران، ط ٢، بغداد ١٩٥٧ م.
- ٧٩ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)، ج ١ - ٢، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط ٤، بيروت ١٩٧٢ م.
- ٨٠ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ)، شرح وتحقيق: د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥ م.
- ٨١ - فجر الأندلس، د. حسين مؤنس، ط ١، القاهرة ١٩٥٩ م.
- ٨٢ - فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. حكمت علي الأوسى، مطبعة النهضة، ط ٢، بغداد ١٩٧٤ م.
- ٨٣ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٧، القاهرة ١٩٦٩ م.

- ٨٤ - فهرست ما رواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ)، نج: فرنكشة نقارة زبدن وحليان رياه طرغوه، (المكتبة الأندلسية)، بيروت، بغداد، القاهرة، الطبعة الجديدة، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
- ٨٥ - قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي - الخامس المغربي - الحياة الاقتصادية والاجتماعية، د. محمد عبد الوهاب خلاف، ط ١، الدار التونسية للنشر، مطبعة اومينا للنشر (قصر السعيد)، تونس ١٩٨٤ م.
- ٨٦ - قضايا أندلسية، د. بدر متولي حيد، دار المعرفة، القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٨٧ - فلاند العقيان في محاسن الأعيان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاتان القيسي الإشبيلي (ت ٥٢٨ أو ٥٢٩ هـ)، مصورة عن طبعة باريس، قدم له ووضع فهرسه محمد العناني، تونس (من تراثا الإسلامي: ١)، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٨٨ - محمد بن عمار الأندلسي، دراسة أدبية تاريخية، د. صلاح خالص، ط الهدى، بغداد ١٩٥٧ م.
- ٨٩ - المختار من كتاب شعرات الأوراق، لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) اختيار يعقوب عبد النبي، مراجعة حامد عبد القادر، مطبعة كوستا توماس وشركاه.
- ٩٠ - مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (٤٦٩ - ٤٨٣ هـ)، المسماة كتاب البيان، نشر وتحقيق: ل. ليني بروفسال، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٥ م.
- ٩١ - المرقصات والمطربات لرئيس الأدباء وعميد الفضلاء نور الدين علي ابن الوزير أبي عمران (ت ٦٧٣ هـ)، دار حد وحبوب، بيروت ١٩٧٣ م.
- ٩٢ - المطرب من أشعار أهل المغرب، أبو الخطار عمر بن حسين بن علي بن دحية الككلي (ذو النسبون) الأندلسي (ت ٦٣٣ هـ)، نج: الأستاذ إبراهيم الأبياري و د. حامد عبد الحميد، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤ م.
- ٩٣ - مظمج الأتقيس ومسرح التأس في ملح أهل الأندلس، تأليف الوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاتان (ت ٥٢٩ هـ، ١١٣٥ م) دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، دار عمار، ط ١، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٩٤ - المعتمد بن عباد الإشبيلي، دراسة أدبية تاريخية، د. صلاح خالص، ط

- شركة بغداد للطبع والنشر والتوزيع، بغداد ١٩٥٨ م.
- ٩٥ - المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشاعر المروء، د. عبد الوهاب عزام، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٩ م.
- ٩٦ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، محي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي (ت ٦٤٧ هـ)، نج: محمد سعيد العريان، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- ٩٧ - المغرب في حلى المغرب، ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت ٦٧٢ هـ)، ج ١ - ٢، نج: د. شوقي ضيف، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٩٨ - منهاج البلغاء وسراج الأدياء، حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ)، نج: محمد بن الحبيب بن الخوجة، تونس ١٩٦٦ م.
- ٩٩ - النشر الأندلسي في عصر الطوائف والمرايطين، د. حازم عبد الله خضر، دار الحرية للطباعة، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٢٤٤)، بغداد ١٩٨١ م.
- ١٠٠ - فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ هـ)، نج: محي الدين عبد الحميد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٩٤٩ م.
- ١٠١ - فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) نج: د. إحسان عيسى، ط دار صادر، بيروت ١٩٦٨ م.
- ١٠٢ - فسانض جرير والفردق، طبع مطبعة لبنان، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المنى، بغداد لصاحبها تاسم محمد الرجب (١٩٠٥ م).
- ١٠٣ - وصف الحيوان في الشعر الأندلسي - عصر الطوائف والمرايطين، د. حازم عبد الله خضر، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)، بغداد ١٩٨٧ م.
- ١٠٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، نج: د. إحسان عيسى، (سبعة أجزاء) والثامن نهارس، بيروت ١٩٦٨ م.
- ١٠٥ - تسمية الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن

إساعيل النعماني البسابوري (ت ٤٢٩هـ)، نج: محمد محي الدين عبد الحميد، ج ٢، القاهرة ١٩٥٦ م.

ب - الدواوين والشروح والمجاميع الشعرية:

١ - ديوان الأعمى التليلي (ت ٥٢٥هـ)، نج: د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٣ م.

٢ - ديوان امرئ القيس (ت نحو ٨٠ ق.هـ)، نج: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، مصر ١٩٦٩ م.

٣ - ديوان البحري (ت ٢٨٤هـ)، نج: حسن كامل الصيرفي، سلسلة ذخائر العرب (٣٤)، (١ - ٥) أجزاء، ط ٢، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م.

٤ - ديوان الحكيم أبو الصلت بن أبي الصلت (ت ٥٢٨هـ)، نج: محمد المرزوقي، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٤ م.

٥ - ديوان ابن حمديس (ت ٥٢٧هـ)، نج: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٠ م.

٦ - ديوان ابن حنيفة (ت ٥٣٣هـ)، نج: د. سيد مصطفى غازي، ط دار المعارف ١٩٦٠ م.

٧ - ديوان ابن دراج اللسطلبي (ت ٤٢١هـ)، نج: د. محمود علي مكلي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٦١ م.

٨ - ديوان ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، نج: جع وتحقيق: د. عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت (د. ت).

٩ - ديوان ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ)، نج: د. حسين نصار، القاهرة ١٩٧٤ م.

١٠ - ديوان ابن زيدون (ت ٤٦٣هـ) ورمائله، شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القنينة، القاهرة ١٩٥٧ م.

١١ - ديوان السيد الحميري (ت ١٧٠هـ)، لإساعيل بن محمد السيد الحميري، جمعه وحفظه: شاكِر هادي شاكِر، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٦ م.

١٢ - ديوان الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، مطبوعات دار الأمل، بيروت.

- ١٢ - ذبوان ابن شهيد الأندلسي (ت ٤٢٦ هـ)، تج: يعقوب زكي، سلسلة تراثنا، القاهرة (د. ت).
- ١٤ - ذبوان طرفة بن العبد (ت نحو ٦٠ ق. هـ)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ١٥ - ذبوان الظليل الغنوي (ت نحو ١٢ ق. هـ)، تج: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٨ م.
- ١٦ - ذبوان ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) جمع وتحقيق: د. محمد رضوان الندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٧ - ذبوان علي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ)، تج: خليل مردم بلخ، ط ٢، بيروت ١٩٥٩ م.
- ١٨ - ذبوان عمرو بن أبي ربيعة (ت ٩٣ هـ)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، كتاب التراث (٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ م.
- ١٩ - ذبوان أبي فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ)، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت ١٩٦٦ م.
- ٢٠ - ذبوان قيس بن الخطيم (ت نحو ٢ ق. هـ)، تج: د. إبراهيم السامرائي، د. أحمد مطلوب، ط ١، بغداد ١٩٦٢ م.
- ٢١ - ذبوان ابن الليث (ت ٥٠٧ هـ)، دراسة وتحقيق (مخطوط): د. محمد مصطفى سحرت.
- ٢٢ - ذبوان ليل الصب، مجموعة معارجات قصيدة أبي الحسن الخصري القيرواني، عمى بجمعية محمد علي حسن، منشورات الأذب، دار الإيمان، بغداد، ط ١، ١٩٦٨ م.
- ٢٣ - ذبوان المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ)، تج: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد الحميد، القاهرة ١٩٥١ م.
- ٢٤ - ذبوان أبي نواس (ت ١٩٨ هـ) برواية الصولي، تج: د. هجرت عبد الغفور الحديشي، بغداد ١٩٨٠ م.
- ٢٦ - ذبوان الفذالين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتاب، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ م.

- ٢٦ - ديوان السواواء الدمشقي (ت ٣٨٥ هـ)، نج: د، سامي الدهان، ط دمشق ١٩٥٠.
- ٢٧ - شرح ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ)، شرح وتعليق د. ن. رضا.
- ٢٨ - شرح ديوان صريع الفواني (ت ٢٠٨ هـ)، نج د، سامي الدهان، ط ١، مصر ١٩٥٧ م.
- ٢٩ - شرح ديوان المتنبي (ت ٣٥٦ هـ)، عبد الرحمن البرنوقى، بيروت ١٩٧٩ م.
- ٣٠ - شعر الرمادي يوسف بن هارون (ت ٤٠٣ هـ)، جمع وتحقيق: ماهر زهير جرارة، ط ١، بيروت ١٩٨٠ م.
- ٣١ - شرح الصولي لديوان أبي تمام (ت ٢٣١ هـ)، دراسة وتحقيق: خلف رشيد نعمان.
- ٣٢ - شعر ابن الليثاء المدني (ت ٥٠٧ هـ)، جمع وتحقيق: د. محمد مهيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، طبع بمطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل لسنة ١٩٧٧ م.
- ٣٣ - شعر السابعة الجعدي (ت نحو ٥٠٠ هـ)، عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، ط ١، دمشق، ١٩٦٤.
- ج - المعاجم اللغوية والأدبية:
- ١ - أساس السلاخفة، للرحمشري (ت ٥٣٨ هـ)، ج ٢، ط ٣، مطابع ائينة المصرية للكتاب ١٩٨٥ م.
- ٢ - تاج العروس، للإمام اللغوي السيد محمد مرطضى الزبيدي (ت ١٢١٥ هـ)، المجلد الخامس، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، طبع على مطابع دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٣ - المتكلمة والسبيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف الحسن بن محمد بن الحسن الصاغانى، نج: عبد العليم الطحاوي، القاهرة ١٩٧٤ م.
- ٤ - تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ)، ج ١، حققه وقدم له: عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي الحجار، المؤسسة المصرية

العامسة للتأليف والأبهاء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الدار القومية العربية للطباعة، ١٩٦٤ م.

٥ - جمهورية اللغة، تأليف الشيخ الخليل إمام اللغة والأدب، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ)، ج ٢، الطبعة الأولى في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الكاتبة بحيدر آباد - المذكن، ١٣٤٥ هـ.

٦ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، ج ٣، نج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٧ - العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد القرايعدي (ت ١٧٥ هـ)، ج ١، نج: د. مهدي المحروسي، و د. إبراهيم السامرائي، طبع في مطابع الرسالة، الكويت، دار الرشيد للنشر، سلسلة المعاجم والفهارس (١٦)، بغداد ١٩٨٠ م.

٨ - القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، القاهرة (د)، ت.

٩ - لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١ هـ)، طبعة دار صادر ١٩٥٦ م.

١٠ - مجمل اللغة، صنفه أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، ج ٣، حققه: الشيخ هادي حسن حودي، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، الكويت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١١ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تأليف علي بن إسماعيل ابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ)، ج ١، نج: مصطفى السقا، د. حسين نصار، الطبعة الأولى ١٩٥٨ م، نشرته مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٢ - المحيط في اللغة، تأليف الصحاح إسماعيل بن حماد (ت ٣٨٥ هـ)، ج ١، نج: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط ١، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٣ - مختار الصحاح، للرازي (ت ٦٦٦ هـ)، الناشر دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت ١٩٧٩ م.

١٤ - المصباح المستير في غريب الشرح الكبير للرازي، تأليف أحمد بن محمد بن علي المقرئ القيروني، صححه مصطفى السقا، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

- ١٥ - المعجم الأدي، جئور عبد النور، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩ م.
- ١٦ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأداب، مهدي وهبة وكامل السندس، لبنان ١٩٧٩ م.
- د - المطبوع على الآلة الكاتبة:
- ١ - ابن حمدس حياته وشعره، نايف خالد محمد الحسن، رسالة ماجستير في اللغة العربية، مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٧٤ م.
- ٢ - الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري، حازم غلام حسين، مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل، قسم التاريخ، ١٩٨٠ م.
- ٣ - ابن ذواج القسطلي، محمد مهوود بونس، رسالة ماجستير في اللغة العربية، مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٧٥ م.
- هـ - المجلات والدوريات:
- ١ - الأبحاث، مجلة الأبحاث، تصدر عن الجامعة الأمريكية، بيروت، المعهد الملك الشاعر، حيرابيل جبور، ج ٢، السنة ١٦، حزيران ١٩٦٣ م.
- ٢ - الآداب الأردنية، مجلة كلية الآداب الأردنية، عمان، هلامج من الثقافة الأندلسية، د. هاشم باغي، مج ٢، أيار (ص ٣٧ - ٥٤)، ١٩٧٧ م.
- ٣ - آداب بغداد، مجلة تصدرها كلية الآداب - جامعة بغداد:
- أ - الأندلسيون الأوائل من حملة الثقافة العراقية، د. محسن جمال الدين، العدد (١١)، حزيران ١٩٦٨ م.
- ب - الشاعر أبو إسحق، الأطلعة ومعارضاته الشعرية، د. أمين علي سعيد، العدد (٢٣) سنة ١٩٧٨ م.
- ٤ - آداب المستنصرية، تصدرها كلية الآداب - الجامعة المستنصرية:
- أ - تاريخ النوريات في الشعر العربي والمشرق في الأندلس، مقدار رحيم حضر، العدد (١١) لسنة ١٩٨٥ م.
- ب - شطحية الآداب الأندلسية، د. علي الزبيدي، العدد (٢)، السنة الثانية ١٩٧١ م.
- ٥ - الجامعة، مجلة جامعة الموصل - العراق:

أبو صام الأندلسي، د. محسن جمال الدين، عدد خاص بمناسبة ذكرى أبي صام
١٩٧٠ م.

٦ - زانكو، جامعة السلطانية - العراق:

الدعوة إلى توحيد الأندلس في أيام الطوائف، د. خليل إبراهيم صالح، المجلد
الثالث، العدد الأول لسنة ١٩٧٧ م.

٧ - الكتاب، مجلة الكتاب - بغداد، يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين
ببغداد، عدد خاص بالذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون (٣٩٤ هـ - ١٣٩٤ هـ)،
العددان (١١، ١٢) ١٩٧٥ م:

أ - ابن زيدون ومعارضوه، د. مختار الوكيل، ص (١١٧ - ١٢٤).

ب - الإيقاع الموسيقي في شعر ابن زيدون، د. شوقي طيف ص (٤ - ١٤) .

٨ - الكتاب، مجلة الكتاب المصرية:

المعارضات في الشعر الجاهلي، الأستاذ علي الحارم، السنة الأولى، المجلد الثاني،
يوليه ١٩٤٦ م.

٩ - المجمع العلمي العربي، دمشق، مجلة (الشعر الأندلسي)، د. عبد الله كتون، ج
٣، المجلد الحادي والثلاثون، ص ١٩٥٦ م، ص (٣٧١ - ٣٩٦).

١٠ - المورد، مجلة المورد العراقية:

أ - ابن زهير الحقيفة حياته وشعره، د. محمد محمد السعيد، ج ١٩، ٢/١٩٨٠ م.

ب - معالم شخصية المنسي في الأندلس، د. محسن جمال الدين، ج ٦،
١٩٧٧/٣ م.

ج - المورد، مج ٦ / ٢٤ ١٩٧٧ م، المستشرق علي شعر الأعمى القطلي،
د. محمد محمد السعيد.

د - المورد، مج ٧ / ١ ١٩٧٨ م، ابن بقي القرطبي حياته وشعره، جمع
وتحقيق: د. محمد محمد السعيد.

هـ - المورد، ١٤ / ١ ١٩٨٥ م، شعر أبي بكر بن القوطية، من أعيان القرن
الخامس الهجري، جمعه وتحققه: عدى شوكت حنام.

ABSTRACT

The research studies the phenomenon of poetical imitation and comparison in Andalusia (the Moslem Spain) during the fifth and sixth centuries (A.H. Undoubtedly, emulation of other poets' works constitutes an amusing and deep-rooted phenomenon in Arabic poetry.

The period covered by the study was selected because such poetical activities reached a high degree of perfection in it. The period is characteristic of works of this nature.

At the outset, the research, consisting of four chapters investigates the political, social and cultural setting.

Then moves on to discuss the roots and concepts of the phenomenon along with the Andalusian Arabs' endeavour to emulate the social and cultural life of their counter parts in the Arab East.

The incentives behind analogies in Arabic poetry are dealt with in chapter two. Here it was found that the phenomenon acquires increasing significance in Arabic poetry; hence, the importance of the study.

The third chapters is specifically assigned to the Arabs in Andalusia's emulation of the Arabs in the East in a variety of poetical themes.

The phenomenon in Andalusia itself is investigated in chapter four.

Results and conclusions with the outcome of a statistical survey are given in a separate chapter.

فهرس المحتويات

٧ المقدمة
١١ السبب
١١ أولاً - الإطار السياسي
٢٢ ثانياً - الإطار الاجتماعي
٢٩ ثالثاً - الإطار الثقافي
٢٩ الظاهرة الأولى
٢٩ الظاهرة الثانية
٢٢ الأول - المرحلة الداخلية
٢٢ الثاني - المرحلة الخارجية
٢٤ أ - روائد الثقافة الدينية
٢٧ ب - روائد الثقافة الأدبية والفنية
٢٩ ١ - الامانة الخيرية
٢٧ ب - الامانة المسيحية
٢٧ ج - الرائد الحضاري
٢٨ د - رائد الثقافة العقلية
٢٨ الثانية: الروائد الأجنبية، وتفرع إلى رائدين
٢٨ أ - الرائد المسيحي اللاتيني
٢٩ ب - الرائد الإفريقي
٤١ الفصل الأول: مفهوم المعارضة وحولها ودورها
٤١ ١ - المعارضة في اللغة
٤٥ ٢ - المعارضة في الاصطلاح
٤٩ ٣ - المعارضة والمقابلة والمنحصر والسراجعة والمحاولة
٥٥ ٤ - المعارضة في النشاط الثقافي والحضاري
٦١ ٥ - دورات المعارضات
٦٢ ٦ - الدورات العامة
٦٢ أ - زعة الاصحاب والتقليد
٧٠ ب - زعة الشوك والإبداع
٧٧ ٦ - الدورات الخاصة
٨١ الفصل الثاني: المعارضات في الشعر الأندلسي قبل القرن الخامس الهجري

٨٢.....	١ - المعارضات في المدح.....
٩٢.....	ب - المعارضات في الوصف.....
١٠١.....	د - المعارضات في العيون.....
١٠٣.....	هـ - المعارضات في الغزل.....
١٠٥.....	و - المعارضات في أغراض أخرى.....
١٠٩.....	الفصل الثالث: معارضة الأندلسيين للمشاركة.....
١١٠.....	١ - المعارضات في المدح.....
١٣٣.....	٢ - المعارضات في الغزل.....
١٤٢.....	٣ - المعارضة في الوصف.....
١٤٨.....	٤ - المعارضات في القبح.....
١٥١.....	٥ - معارضات في الشكوى.....
١٥٤.....	٦ - المعارضات في أغراض أخرى.....
١٦٣.....	الفصل الرابع: معارضة الأندلسيين فيما بينهم.....
١٧٣.....	٢ - معارضات في الوصف.....
١٨٠.....	٣ - معارضات في المدح.....
١٨٥.....	٤ - المعارضات في الغزل.....
١٨٩.....	٥ - المعارضات في الرثاء.....
١٩٣.....	٦ - المعارضات في الأغراض الأخرى.....
١٩٩.....	المخاتبة والتكاتب.....
٢٠٥.....	الملاحق.....
٢٠٧.....	ملحق رقم (١).....
٢٠٨.....	ملحق رقم (٢).....
٢٠٩.....	ملحق رقم (٣).....
٢١٠.....	ملحق رقم (٤).....
٢١١.....	ملحق رقم (٥).....
٢١١.....	ملحق رقم (٦).....
٢١٢.....	ملحق رقم (٧).....
٢١٢.....	ملحق رقم (٨).....
٢١٣.....	ملحق رقم (٩).....
٢١٥.....	فهرس المصادر والمراجع.....
٢٣١.....	فهرس المحتويات.....

المعارضات في الشعر الأندلسي

- تقع هذه الدراسة في تمهيد وأربعة فصول، أما التمهيد فنحاول فيه الوقت دراسة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للأندلس، يوقف فيه على الأحداث السياسية المعقدة، التي انعكست أثرها على الحياة الاجتماعية والثقافية، وهناك له وقفة مثالية عند إرث الثقافة الأندلسية المتنوعة.
- أما الفصل الأول فقد تحدث فيه عن مفهوم المعارضة وبنيتها في الأندلس، ونحاول منهجياً في اللغة والإصطلاح، ثم وقف على الفرق بينها وبين فنون شبيهة أخرى لتلقي معها من قريب أو بعيد، كالمسبحة والمصحة والراجعة والجاوبة، ثم بين الخيوط الأبن لمعارضة الأندلسيين في ميادين الحياة الثقافية والاجتماعية والمشاركة للمشاركة.
- وفي هذا الفصل وقف عند مواضع المعارضة محاولاً التعرف على النواحي الحقيقية التي دعت إلى المعارضة الشعرية وجعلت منها ظاهرة تستحق الدرس، وجاءت هذه النواحي على نوعين عامة وخاصة.
- وفي الفصل الثاني عرض كمثلك شعراء المعارضة في العربة التي سبقت القرن الخامس الهجري تجديراً للظاهرة وسجدة إلى البواكير، وهناك وفقاً للأغراض الشعرية فتصدها المديح ثم أمقبتها الجوف، والنوبرات، والمجون، والغزل، وغيرها.
- واختص الفصل الثالث بمعارضة الأندلسيين للمشاركة التي كانت نابعة من نظرة الإعجاب والإعجاب للنتاج الشعري المغربي، حيث تعمقت جذور هذا الاتجاه أكثر من نظيره معارضات الأندلسيين فيما بينهم، وحسب كثرة هذه المعارضةات وقف عند النهج أولاً، ثم أصقبه الغزل والجوف والشكوى وأغراض أخرى، وهناك يقدم المعارضة التامة على التالقصة في تلباه للأغراض الشعرية المتممة.
- أما الفصل الرابع فاطعن بمعارضات الأندلسيين فيما بينهم، ولى النهج الذي أتبعه في الفصل السابق، حيث عرض لموضوعات المعارضة حسب كثرة النماذج في الموضوع فصارت وأقلته عند التويرات فالجوف فالمدح فالغزل فالرثاء. ثم موضوعات أخرى.
- وختم البحث بالأحدث عن النتائج التي تمخضت عنها الدراسة، معرزة بالملاحق الإحصائية.



دار الكتب العلمية
 4941 S B0485-41 11-13-2008
 4941 S B0485-41 11-13-2008
 1187 2326
 41822
 www.daral-aydine.com
 daral-aydine@daral-aydine.com



دار الكتب العلمية